

الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية



محموظة
بمبمع محموظة

2014

طرابلس - لبنان

جامعة الجنان

ص.ب.: 818

هاتف: +961 - 6 - 447 909

فاكس: +961 - 6 - 447 900

e-mail: aljinan.mag@jinan.edu.lb

jinan@jinan.edu.lb

website: www.jinan.edu.lb

ISSN 2308 - 0671

صَدَرَ فِي لَبْنَانَ عَن
دار المنى للطباعة والنشر
70/711442

تصميم وطباعة: وليد محمود شكشك
03/217643

الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

العدد الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجنان

مجلة علمية محكمة – فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في جامعة الجنان

المشرف العام : أ. د. عابد أمين يكن / رئيس الجامعة

نائب المشرف العام : أ. د. علي لاغا / مدير مركز البحث العلمي

هيئة التحرير:

أ.م. د. رياض عثمان رئيس التحرير

د. كلوديا شحادة اللغة الفرنسية

أ. لينا الجراح مساعداً للغة الفرنسية والإنكليزية

أ. مالك خليل مساعداً للغة العربية

أ. الحبيب عبد الفني مساعداً للغة العربية

أمين سر التحرير : أ. عايدة كبارة

المستشارون:

أ.د. انطوان ديري: هندسة

أ.د. أحمد سفر: إقتصاد إسلامي

أ.د. أسامة كبارة: صحافة وإعلام

أ.د. بشار الحسن: هندسة

د. ثائر علوان: صيدلة

أ. د. جوزيف فاضل : علوم سياسية

د. حسام سباط: أصول الفقه وحضارة

أ.د. حسن الرفاعي: إقتصاد إسلامي

أ.د. خالد حسين: فيزياء وإعجاز علمي في القرآن الكريم

د. ربي شعراني: تربية

د. ريما بركة: لغة فرنسية

أ. د. سعدي ضناوي: لغة عربية

أ.د. عمر عبد السلام تدمري: تاريخ

أ.د. عاطف عطية: علم الإجتماع

أ.د. عبد الغني عماد: علم إجتماع تربوي

د. عمار يكن: هندسة وإدارة أعمال

د. غادة صبيح: لغة فرنسية

د. فواز حلاب: طبيب نسائي

أ.د. مهى خير بك: لغة عربية

أ.د. منذر حمزة: مايكروبيولوجي

أ.م.د. ماجد الدرويش: علوم الحديث

أ.د. محمود عبود: فقه وأصوله

أ.م.د. محمد خالد: صحة عامة

قواعد النشر

«الجنان» مجلة علمية محكمة ، تصدر عن مركز البحث العلمي – جامعة الجنان، غايتها نشر الأبحاث العلمية والمحكمة في مختلف الاختصاصات، وتشر باللغات العربية، والإنكليزية، والفرنسية، تُفضّل الأبحاث التي تعالج مشاكل تحتاج إلى حل أو تطرح نظريات افتراضية.

هدف المجلة

إن هدف المجلة في الأساس هو المساهمة في إضافة جديدة للعلوم الإنسانية أو العلمية، فالماضي هو هذا الحاضر، وبما أن العلم تراكمي فإن علينا واجب القيام بهذا الدور، لذلك فإن سياسة المجلة هي على الوجه التالي :

1. تخصيص محور واحد لكل عدد من أعدادها إذا أمكن، وإلا تنوّعت أبحاث العدد.
2. يُطرح الموضوع العام والمحاور التي يمكن للباحثين الكتابة فيها، مع حرية التنوع، فالعناوين المطروحة هي لاستدراار الأفكار وإثارة التنافسية العلمية .
3. لا تُنشر الأبحاث إلا بعد خضوعها للتحكيم، وإدارة المركز غير ملزمة بإعادة الأبحاث التي لم تقبل وذلك دون تعليق لسبب عدم قبولها.

شروط أساسية :

1. الجدة في البحث، والتوثيق في الهامش وفق قواعد البحث العلمي (يرفق دليل الباحث).
2. ألا تزيد عدد صفحات البحث على ٣٠ صفحة.
3. التعهد بالألا يكون البحث قد نُشر من قبل ولن ينشر إلا بعد تصريح من هيئة المجلة.
4. إرسال البحث على عنوان المجلة الإلكتروني وعند عدم تسلّم إشعار بالاستلام فلا بد من إرساله مرّة أخرى.
5. تزويد إدارة المجلة بالسيرة الذاتية مع صورة شخصية للباحث.

٦. مقدمة تبين الحقل الذي يعالجه البحث مع تحديد للمشكلة والأهداف المفترضة.
٧. المنهجية المتبعة في البحث مع ذكر لكل الوسائل المستعملة والمراحل المتبعة، وقائمة بالمراجع في آخر البحث.
٨. على الباحث مراعاة سلامة اللغة والتدقيق قبل الإرسال

خطوات التحكيم:

يحول البحث المقبول شكلاً إلى أستاذين متخصصين في المادة التي حوتها الدراسة. ويكون البحث مقبولاً للنشر بموافقة كلا المحكمين، وإذا تناقض تقييم المحكمين يتم إرسال البحث لمحكم ثالث من ذات الاختصاص ويؤخذ القرار حسب الأكثرية.

ملاحظات شكلية:

١. يتم التوثيق في الهامش.
٢. يذكر اسم المؤلف أولاً، الكتاب، الناشر، مكانه، الطبعة، السنة، الصفحة (عند ذكر المرجع للمرة الأولى).
٣. وعند تكرار استعمال المرجع يكتب: اسم المؤلف، الكتاب، م. س. ص.

وفي النهاية:

إن مجلة الجنان جاءت للإسهام بجديد وتشق الطريق أمام الباحثين الجادين، آملّة التوصل إلى بحث علمي نموذجي يستخدم الطاقات المحلية ويكون رافداً للثروة الوطنية، من منطلق المنافسة والسعي إلى الأفضل إن شاء الله تعالى.

مقدمة

أ.د. علي لاغا

مدير مركز البحث العلمي

حتى ينتقل البحث العلمي من التقليد إلى أن يصبح رافدا للثروة المحلية والإقليمية

تحت عنوان : ميزانية البحث العلمي في الولايات المتحدة الأميركية تخطف عقولاً لعلماء الألمان كتب علاء الدين سرحان: «لقد أخذ الأميركيون مفهوم العولمة محمل الجد بعد أن أدركوا أنهم إن كانوا يرغبون في المنافسة عالمياً فعليهم الاستثمار وإنفاق مبالغ طائلة في مجال البحث العلمي». ولكي تقوى ألمانيا على منافسة أمريكا في هذا المجال عليها أن تقوم باتخاذ خطوات شبيهة، تتمثل في العمل على زيادة دعم وتشجيع البحث العلمي فيها⁽¹⁾

إذا كان هذا هو حال ألمانيا، فأين نحن وكيف حالنا.

إن البحث العلمي عندنا، وكذا في العالم الثالث، أقرب إلى التقليد منه إلى البحث الجاد. والثروة الآن لم تعد مقتصرة على عقارات فحسب، أو أموال تستثمر في تجارة أو غير ذلك، بل أضحت البحث العلمي متقدماً على كل وسائل جلب الثروة وأكثر من ذلك السيطرة وفرض مواصفات حضارية وحضور في المنتدى الدولي .

أمام هذا الواقع الذي لم يعد خافياً على أحد، فأين هي معوقات السير في ركب البحث العلمي الجاد: المنهج العقيم (البنزطي القديم) الذي أضحت مسيطراً على العقل المعاش في مجتمعنا في بعده الأرحب؟

أم العقلية العربية المطبوعة بالفرديّة وعدم الرغبة في المشاريع الجماعية ؟
أو أحفاد أمة عاشت في ما مضى ثرية إلى حد الترف، متفردة بالسيطرة على مصادر الثروة حسب الطاقات القديمة قبل استخراج الخامات النفطية وغيرها وحالياً تنعم بعض مجتمعاتنا

بثراء كبير، بالرغم من كل ما يسلبه الغزاة الذين سيطروا على العالم؟
أو عقلية بسيطة كما وصفها بعض المستشرقين غير صالحة للبحث والتحليل؟
أم ماذا....

وكي لا تكون المقدمة نظرية فسوف أقدم نموذجاً من عدم الرغبة في تحصيل ثروة وتأمين سعادة ورفاه شعب، هذا النموذج من منطقة في شمالي لبنان (الضنية) لقد قررت وزارة الأشغال فتح طريق جديدة تصل بلدة بخعون بقرية طاران مختصرة مسافة ١٢ كلم حسب الطريق القديمة، وعليه فإنها قامت ببناء جسر (حقليت) فوق واد كان بإمكانه أن يشكل سداً لتخزين المياه يكفي لمناطق شاسعة جداً ويتم تركيب مولداً كهربائياً على الماء وكلفة بناء السد لا تساوي نصف كلفة بناء الجسر، فهل كان الفريق الهندسي متخلفاً إلى هذا الحد، وما كان عليه إلا أن يبعد خمسين متراً عن مكان بناء الجسر الحالي ويرفع حائطاً من الإسمنت وبذلك يؤمن وجود سداً طبيعياً لا يحتاج إلا حوالي ثلاثين متراً تمر فوقه الطريق.

والخطأ نفسه يتكرر في هذه الأيام بتركيب جسر معلق يصل بقرصونا بقرية نمرين على مسافة ٣٥ متراً فوق وادي سحيق وعميق جداً (وادي الحمام) ولو أقام حجازاً وفوقه الطريق لكانت الكلفة أقل من الثلث ولتم تأمين سد للمياه مع مولد للطاقة الكهربائية على الماء لبقية مناطق الضنية هذا عن إمكانية بناء سدود أخرى في الوادي المنحدر من علو ٢٥٠٠م حتى يصل إلى ٤٠٠م في وادي نهر موسى الذي بنيت فيه بحية عيون السمك.

وبعد: فهل الفريق الهندسي الذي غفل هذه الفوائد ليس على دراية أم التنمية ممنوعة؟ وفي أي كتب وأية جامعة درس هؤلاء..؟

ثم إن المراكز البحثية في كليات الهندسة لا تعرف ماذا يوجد في بلدها من إمكانيات إحداث تنمية وتطوير ثروة..؟

معذرة، لم نعتذر على إعطاء أمثلة ميدانية، بل أن ثقافتنا تقتصر على النقولات والانتقاد دون وضع حلول ودونما إشارة إلى مشاريع تغير من واقعنا التعتيس.

فإلى متى سيبقى البحث مقتصرًا على الملخصات وجمع الاقتباسات، أو إجراء دراسات ووضعها في الأدراج لأنه لا توجد علاقة بين الواقع الجامعة؟

إنها دعوة للانكباب على دراسة كل الخامات المتوفرة في بلادنا أو البلاد المحيطة والعمل على تسخيرها واستخراجها، وإفراد ميزانية كافية للبحث في المجالات الأخرى (تكنولوجيا وغيرها) في بلادنا أو البلاد المحيطة والعمل على تسخيرها واستخراجها، وإفراد ميزانية كافية للبحث في المجالات الأخرى (تكنولوجيا وغيرها).

وهكذا عندما تلامس أبحاثنا ما هو كامن في أراضينا وفي أدمغة أجيالنا، عندها سنبدأ بالتخلص من واقعنا المأزوم.

وليد خالد القدوة

علم نفس

انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته بالاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للكشف عن العلاقة بين انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة، حيث بلغت عينة الدراسة (٥٦) مجموعة من العاملين بهيئة التقاعد العام، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث مقياس بيك للاكتئاب، وقام بإعداد اختبار يتعلق بانقطاع التيار الكهربائي، وللتحقق من صدق وثبات وفروض الدراسة استخدم الباحث مجموعة من الأساليب الإحصائية أهمها صدق الاتساق الداخلي، ومعامل ألفا كرونباخ، ومعامل ارتباط بيرسون، واختبار «ت» T. Test، وتحليل التباين الأحادي (one way Anova).

وقد جاءت نتائج الدراسة على النحو التالي:

وجود علاقة ارتباطية بين الآثار المختلفة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي (الآثار الاقتصادية - الآثار الاجتماعية - الآثار النفسية) ومستوى الاكتئاب النفسي ما عدا الآثار الصحية حيث أشارت النتائج إلى عدم وجود علاقة ارتباطية بين الآثار الصحية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي.

لا توجد فروق دالة إحصائياً تتعلق بانقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام في محافظات غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي (دبلوم، بكالوريوس، دراسات عليا)، ومتغير عدد سنوات الخدمة (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات).

لا توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي (دبلوم، بكالوريوس، دراسات عليا)، أو متغير عدد سنوات الخدمة (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات).

مقدمة

يعتبر التيار الكهربائي من أهم مصادر الطاقة في العالم، كما يعتبر مقدار استهلاكه أحد مقاييس تقدم المجتمعات وتطورها، إذ يشكل عصب الحياة والتطور الاقتصادي والتقني آخذين في الاعتبار أن جميع مصادر الطاقة الأخرى المعروفة تستخدم لتوليد التيار الكهربائي، فبدلاً من الطاقة النووية مروراً بالبتروول وانتهاءً بطاقة الرياح والأشعة الشمسية يتم تسخيرها بالدرجة الأولى لتوليد هذه الطاقة التي تستعمل في جميع مناحي الحياة من مستوى محطات مراقبة الفضاء المعقدة إلى جهاز راديو في إحدى القرى النائية.

أصبحت قضية التيار الكهربائي والوقود في محافظات غزة المشكلة الرئيسية التي تواجه المواطنين وأصحاب القرار مجتمعين، بسبب الاعتماد الكامل على التيار الكهربائي في الحياة اليومية للمواطنين وفي عمل وتشغيل المرافق الحيوية في محافظات غزة، كما أن الوقود الذي يعتبر البديل الأساسي في حال انقطاع التيار الكهربائي غير متوفر على مدار الساعة، والسبب في انقطاع التيار الكهربائي وعدم توفر الوقود البديل هو تقليص دولة الاحتلال الإسرائيلي بشكل دائم تزويد محافظات غزة بما يحتاجه من الوقود.

ولأن التيار الكهربائي مرتبط بشكل مباشر في الحياة اليومية للمواطنين، وفي تشغيل المرافق الحيوية، فإنه من الطبيعي أن يكون لانقطاعه الأثر الكبير على الصحة العامة والبيئة والاقتصاد الوطني الفلسطيني والروابط الاجتماعية إضافة إلى تأثيراته السلبية النفسية على الأطفال وطلاب وطالبات المدارس والجامعات بشكل خاص وعموم أبناء شعبنا الفلسطيني بشكل عام، لهذا انطلقت نداءات متواصلة من قبل المؤسسات المختلفة، والسلطة الوطنية الفلسطينية ومؤسسات حقوق الإنسان ومؤسسات المجتمع المدني، من أجل الضغط على دولة الاحتلال لتوقف إجراءاتها وقراراتها المتلاحقة بشأن منع وتقليص إمدادات الوقود والتيار الكهربائي عن محافظات غزة والتي بدأت في ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٧.

كل هذه الجهود أحبطت بفعل السياسة الإسرائيلية الممنهجة لإيقاع العقاب الجماعي

على المواطنين المدنيين وعلى جميع مناطق محافظات غزة بلا استثناء، الأمر الذي يعتبر انتهاكاً واضحاً لجميع مبادئ القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني وعدم احترامها لمبادئ حقوق الإنسان^(١).

لا شك بأن تأثيرات انقطاع التيار الكهربائي ممتدة بلا حدود وطالت الجميع أفراداً ومؤسسات وخدمات، لكن في ظل عدم توفر حلول جذرية للأزمة فإنه توجد حاجة ماسة وملحة من جميع المؤسسات المعنية كافة الرسمية والأهلية للحد من تأثيرات تلك الأزمة عبر التوعية والتثقيف وإعداد الدراسات والأبحاث النفسية والتربوية، والتدخل بالعلاج النفسي ومتابعة الظواهر الناجمة عن تلك الأزمة لمعالجتها بشكل مستمر ودائم خشية تراكمها وتسببها بأمراض نفسية خطيرة كالإكتئاب النفسي والقلق والإحباط والتوتر.

في هذه الدراسة سوف نتناول العلاقة الإرتباطية بين الآثار الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية المترتبة على انقطاع التيار الكهربائي في محافظات غزة وعلاقتها بالإكتئاب النفسي كأحد أبرز الأمراض النفسية الخطيرة المنتشرة في جميع دول العالم بنسب متفاوتة وأسباب مختلفة.

نتمنى من الله العليّ القدير أن تكون هذه الدراسة المتواضعة سنداً وعوناً لأصحاب القرار السياسي والاختصاصيين النفسيين لبلورة حلول عملية وواقعية تتلاءم مع متطلبات المجتمع الفلسطيني، وتساهم في وضع حلول نسبية لهذه الأزمة الخطيرة والمتفاقمة منذ عام ٢٠٠٦.

مشكلة الدراسة :

أدى انقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة يومياً إلى تدهور الحالة الصحية لكثير من أنواع المرضى مثل مرضى الغسيل الكلوي والشلل الدماغي، وغيرهم ممن يرتبط علاجهم بتوفر دائم ومستمر للتيار الكهربائي، كما ازدادت بشكل قياسي أعداد المترددين على عيادات الصحة النفسية نتيجة الإحباط الشديد والخوف والهلع والظلام، وازدياد الأعباء الاقتصادية على كاهل أرباب الأسر الفلسطينية نتيجة انقطاع التيار الكهربائي بشكل يومي، الأمر الذي يؤدي بمجمله إلى تهديد خطير وجدي لحياة وصحة الإنسان الفلسطيني في محافظات غزة.

لقد أثار انقطاع التيار الكهربائي وتقنين إمدادات الوقود سلباً على تزويد المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية الأولية بكميات المياه اللازمة للاستحمام والغسيل والنظافة العامة مما يسرع من انتشار الأمراض المعدية، حيث يقدر الاحتياج اليومي لوزارة الصحة من الوقود

١- (مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨: ٢)

بـ ٣٠،٠٠٠ لتر سولار وبنزين لتشغيل المولدات الكهربائية في ظل انقطاع التيار الكهربائي، ولكن بسبب تقنين المحروقات من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي فإن وزارة الصحة لا تستطيع توفير الكمية اللازمة لتشغيل المولدات الكهربائية، وتوفر فقط ٥٠٪ من الكمية المطلوبة.

كما أدى انقطاع التيار الكهربائي إلى توقف عمل الثلجات مما سبب فساد الأغذية المحفوظة بصفة عامة واللحوم والألبان والأسماك بصفة خاصة، والتي قد تتحول إلى ناقل أساسي للبكتيريا المسببة للإسهال والتسمم الغذائي بين الأطفال.

وأدى انقطاع التيار الكهربائي إلى تعطيل النشاط الاقتصادي للسكان مما تسبب في ارتفاع معدلات الفقر والبطالة بصورة كبيرة جداً، وهذا أدى إلى تفاقم المشكلات النفسية خاصة الهلع والذعر والخوف والإحباط والتبول اللاإرادي للأطفال والاكْتئاب النفسي لدى جزء من أبناء شعبنا الفلسطيني^(١).

في ضوء ما سبق يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

هل توجد علاقة إرتباطية دالة إحصائياً بين انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكْتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام؟

وينبثق عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكْتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى)؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكْتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير المستوى التعليمي (دبلوم سنتين، بكالوريوس، دراسات عليا)؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكْتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة. (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنة)؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آثار انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير المستوى التعليمي (دبلوم سنتين، بكالوريوس، دراسات عليا)؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آثار انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة. (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنة)؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكْتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد

١- (مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨)

العام تُعزى لمتغير الحالة الاجتماعية. (متزوج، أعزب) ٩

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير العمر. (أقل من ٣٠ سنة، من ٣١ - ٤٥ سنة، أكثر من ٤٥ سنة) ٩

أهمية الدراسة :

يمر الشعب الفلسطيني في محافظات غزة بظروف صعبة ومعقدة ومساوية نتيجة انقطاع التيار الكهربائي بشكل يومي، الأمر الذي انعكس بصورة سلبية على كل مقومات الحياة الإنسانية، من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة سواء من الناحية النظرية أو الناحية التطبيقية.

أولاً: الأهمية النظرية للدراسة :

تبرز أهمية هذه الدراسة كونها تعتبر الدراسة الأولى في محافظات غزة التي تتناول العلاقة الإرتباطية بين مشكلة انقطاع التيار الكهربائي وما يترتب عليه من آثار صحية واجتماعية واقتصادية ونفسية سيئة ومدمرة على حياة المواطنين في محافظات غزة ومستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام.

إن الاهتمام بهذا الموضوع في ظل الأوضاع الصعبة والمساوية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في محافظات غزة سوف يساهم بصورة إيجابية في إعطاء مؤشرات واضحة للمهتمين في المجالات المختلفة «السياسة - الاقتصاد - الإعلام - التعليم - حقوق الإنسان» من أجل تخفيف الآثار السلبية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي.

ثانياً: الأهمية التطبيقية للدراسة :

ستكون نتائج هذه الدراسة عوناً للعاملين في وزارة الصحة لوضع برامج إرشادية تساهم في خفض مستوى الاكتئاب النفسي لدى أبناء شعبنا الفلسطيني في محافظات غزة.

سوف تساهم هذه الدراسة في تزويد العاملين في مجال حقوق الإنسان بالمعلومات المهمة لتنفيذ القوانين والتشريعات المحلية والدولية التي تساهم في إبراز الجانب العنصري للاحتلال الإسرائيلي.

تفيد نتائج هذه الدراسة العاملين في مجال الصحة النفسية، والتوجيه والإرشاد النفسي والتربوي لإعداد برامج علاجية تساهم في خفض مستوى الاكتئاب النفسي لدى أبناء شعبنا الفلسطيني في محافظات غزة.

تقدم نتائج هذه الدراسة للعاملين في المؤسسات الاجتماعية والخيرية والإنسانية والإعلامية تغذية علمية لإعداد برامج تلفزيونية تساهم في خفض مستوى الاكتئاب النفسي لدى أبناء شعبنا الفلسطيني في محافظات غزة.

تفيد نتائج هذه الدراسة العاملين في مجال التربية والتعليم، خاصة مصممو المناهج التعليمية لإعداد برامج وقائية وعلاجية تساهم في حل المشكلات النفسية للأطفال والناجحة عن انقطاع التيار الكهربائي.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الإرتباطية بين انقطاع التيار الكهربائي كضرورة هامة وحيوية واستراتيجية من ضروريات الحياة ومستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام في محافظات غزة.

مصطلحات الدراسة :

الاكتئاب النفسي :

يرى (Beck، 1967) أن الاكتئاب يحتوي على مظاهر انفعالية مثل فقدان الفرد القدرة على الاستمتاع والمرح والضحك ويقلل من قيمة ذاته، ومظاهر معرفية وتتمثل في تكوين صورة سلبية عن الذات، وتضخيم المشكلات، وعدم القدرة على الحسم، والحط من قيمة الذات، ومظاهر متعلقة بالدوافع وتتمثل في شلل الإرادة، والرغبة في الهروب والموت، وتزايد الرغبات الإتكالية⁽¹⁾. يعرف (عبد العزيز المعايطه وآخرون، ٢٠٠٢ : ٢٠٧) الاكتئاب بأنه عبارة عن رد فعل لبعض الأحداث في حياة الفرد، تلك الأحداث التي تسبب الشعور بالحزن والغم والضيق، ويعبر الاكتئاب لدى غالبية الناس عن استجابة عادية تثيرها خبرة مؤلمة.

التعريف الإجرائي :

حالة من الحزن والهم والغم تتاب الفرد نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصحية الخطيرة والمعقدة السائدة في المجتمع والتي تؤدي إلى ضعف التركيز، وانخفاض مستوى الإنتاج، واللامبالاة، وكراهية المجتمع، وفقدان الأمل والتعاسة، نتيجة تفكك الروابط الإنسانية بين أفراد المجتمع.

التيار الكهربائي: هو ضرورة من الضروريات الهامة والحيوية والاستراتيجية للجنس البشري في العصر الحديث، ويؤدي انقطاعه إلى آثار صحية واقتصادية واجتماعية ونفسية خطيرة جداً ومدمرة لمعنويات الناس ومصالحهم الانتاجية ووجودهم.

حدود الدراسة :

الحد المكاني: تم إجراء الدراسة على جميع العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة والمسجلين لدى الإدارة العامة للشئون المالية والإدارية بالهيئة.

١- (رشاد موسى، ١٩٩٣ : ١٥)

الحد الزمني: تم إجراء الدراسة خلال شهري نوفمبر وديسمبر لعام ٢٠١٢.

الحد النوعي: تم تطبيق الدراسة على جميع العاملين بهيئة التقاعد العام خلال شهري

نوفمبر وديسمبر لعام ٢٠١٢.

الإطار النظري للدراسة:

انقطاع التيار الكهربائي:

تعيش الأراضي الفلسطينية المحتلة دون غيرها من باقي دول العالم حالة من المعاناة الدائمة على جميع الأصعدة، فمنذ بداية عام ٢٠٠٦ تعاني محافظات غزة أوضاعاً سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية تهدد أمنه ومستقبل أجياله، وذلك بعد الانتخابات التشريعية الفلسطينية الأخيرة وسيطرة حركة المقاومة الإسلامية حماس على محافظات غزة، وما أعقب ذلك من حصار إسرائيلي ودولي، وقد شمل هذا الحصار جميع النواحي الصحية والإنسانية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني في محافظات غزة.

ومن الآثار السلبية الخطيرة الناتجة عن هذا الحصار الظالم وغير الإنساني انقطاع التيار الكهربائي وتقليل إمدادات الوقود عن محافظات غزة من قبل الاحتلال الإسرائيلي.

يعتمد ٩٨,٥٪ من المواطنين في محافظات غزة على التيار الكهربائي بشكل أساسي وهام وحيوي، حيث يمثل التيار الكهربائي الطاقة الرئيسة لتشغيل وتحريك الحياة اليومية والمعيشية، والمرافق الحيوية المختلفة لكافة القطاعات التي تلبى الحاجة الإنسانية للمجتمع الفلسطيني، وفي مقدمتها قطاع المياه والصرف الصحي، والقطاع الصحي بما يشمل من مستشفيات ومراكز صحية، وكافة قطاعات النشاط الاقتصادي، إضافة إلى المنفعة المباشرة للمواطنين في الاستخدامات المنزلية لأغراض الطهي والنظافة الشخصية والشرب^(١).

الطاقة في محافظات غزة:

منذ الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م، أُلحقت الأراضي الفلسطينية المحتلة بعجلة الاقتصاد الإسرائيلي، واعتمد القطاع على الشبكة الإسرائيلية لتزويده بالكهرباء، وحسب اتفاق باريس الاقتصادي بين منظمة التحرير الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي يتم استيراد مصادر الطاقة خاصةً جميع أنواع الوقود من إسرائيل واحتكار توريد هذه السلعة الإستراتيجية من شركات إسرائيلية لجميع مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية، وحُظر على الجانب الفلسطيني استيراد الوقود من الدول العربية.

(١) - مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨: ٢ - ٣

مع قيام السلطة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٩٤م جرت محاولات ومشاورات لإقامة شركة لإنتاج الكهرباء في محافظات غزة، وبرغم المعوقات الإسرائيلية الكثيرة بدأ العمل في مشروع إنشاء محطة توليد الكهرباء في محافظات غزة عام ١٩٩٩م.

كان من المقرر أن تبدأ عملية إنتاج الطاقة الكهربائية أواخر عام ٢٠٠٠م، إلا أن الأوضاع التي مرت بها الأراضي الفلسطينية واندلاع انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، حالت دون تنفيذ المشروع وفق المواعيد المحددة لها، وقد بدأت المحطة في العمل فعلياً في ٢٠/٦/٢٠٠٢م، في حين بدأ التشغيل التجاري لمحطة كهرباء غزة في إبريل ٢٠٠٤م بقدرة إنتاجية ١٤٠ ميغاوات، لم يتم تشغيل المحطة بكامل قدرتها بسبب محدودية كمية الوقود المتوفرة وذلك بسبب الارتفاع الفاحش في سعر الوقود السائل المستخدم وقد وصلت أعلى إنتاجية لها إلى حوالي ١٠٠ ميغاوات^(١).

التقليص الإسرائيلي لإمدادات السولار والبنزين والغاز الطبيعي إلى محافظات غزة مر بمراحل عدة شهدت جميعها بطبيعة الحال سيطرة إسرائيلية مطلقة على الكميات المسموح بمرورها، وتفاوت أسبوعياً هذه الكميات.

إنّ التقليص المستمر والمتواصل لإمدادات الوقود لمحافظات غزة أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة عن أبناء شعبنا الفلسطيني وهذا يعني أن وصول التيار الكهربائي خلال اليوم الواحد لن يتجاوز في أحسن الأحوال ٧ أو ٨ ساعات.

يُقدَّر الاحتياج اليومي والفعلي لمحافظات غزة من التيار الكهربائي ب ٢٦٠ ميغاوات، وذلك في الوقت الطبيعي لتلبية احتياجات كل المواطنين والقطاعات التي تعتمد على الكهرباء.

والكميات المتوفرة من التيار الكهربائي منذ منتصف شهر يناير / كانون ثاني ٢٠٠٨

موضحة بالجدول التالي ، حيث تصل إلى محافظات غزة من المصادر التالية :

المصدر	الكمية
شركة توليد الكهرباء في محافظات غزة	٥٥ ميغاوات/ يوم
الشركة الإسرائيلية عبر ١٠ خطوط كهربائية	١٢٠ ميغاوات/ يوم
مصر	١٧ ميغاوات/ يوم
المجموع	١٩٢ ميغاوات

وعند مقارنة الكمية الفعلية المطلوبة مع ما هو متوفر من الطاقة الكهربائية ، فإن محافظات غزة تحصل فقط على (١٩٢) ميغاوات ، ويبلغ النقص اليومي في كمية التيار الكهربائي المطلوب لتلبية الحاجة من الكهرباء (٥٨) ميغاوات)

إن هذا العجز الهائل في كمية التيار الكهربائي كفيلاً بتدمير كل مقومات الحياة الإنسانية

١- (مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨: ٢)

في محافظات غزة ، وإصابة جميع المرافق الحيوية والقطاعات الخدمائية و الإنتاجية التي تعمل بواسطة التيار الكهربائي والوقود بالشلل التام، وبالتالي تقليص نشاطاتها بشكل خطير يندرج بكارثة إنسانية وصحية وبيئية^(١).

قام الطيران الحربي الإسرائيلي بقصف محطة توليد الكهرباء الوحيدة في محافظات غزة يوم ٢٨ حزيران ٢٠٠٦ ، في إطار العملية العسكرية التي أطلقت عليها قوات الاحتلال الإسرائيلي آنذاك «عملية أمطار الصيف»، على خلفية اختطاف الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط من أحد المواقع العسكرية في القطاع .

إن قصف واستهداف محطة توليد الطاقة الوحيدة في محافظات غزة أثر على جميع النواحي المعيشية للمواطنين المدنيين، الأمر الذي أدى إلى توقف المحطة عن العمل بشكل كامل لمدة أربعة شهور أي حتى بداية نوفمبر ٢٠٠٦.^(٢)

الآثار الصحية والاجتماعية لانقطاع التيار الكهربائي:

يعمل في محافظات غزة ٢٢ مستشفى، تمتلك وزارة الصحة ١٠ مستشفيات منها، وهي تمثل المستشفيات الأساسية التي تحتوي على حوالي ٧٥% من الأسرة وتقدم حوالي ٩٠% من الخدمات الصحية، وتعتمد هذه المستشفيات بشكل رئيس على الكهرباء العامه .

اضطرت المستشفيات للعمل وفقاً لنظام الطوارئ وتأجيل العديد من أنواع العمليات الجراحية نتيجة لنقص المواد الطبية والخيوط الجراحية، وتوقف أجهزة الأشعة عن العمل أثناء تشغيل المولدات الكهربائية الصغيرة الحجم التي لا تستطيع تغطية احتياج جميع الأقسام، ولهذا تم حصر تشغيل التيار الكهربائي في الأقسام الهامة مثل العمليات، الأشعة، التعقيم، والعيادات الخارجية.

والجدول التالي يوضح عدد واحتياجات سيارات الإسعاف والخدمات في محافظات غزة من الوقود.

الاحتياج اليومي من الوقود	نوع الوقود	نوع السيارة	العدد
-	-	إسعاف	٥٧
٤٠٠ - ٥٠٠ لتر	بنزين	إسعاف	٤٢
٢٠٠ - ٣٠٠ لتر	سولار	إسعاف	١٥
-	-	خدمات	٦٢
١٦٥ لتر	بنزين	خدمات	٢٢
٣٨٦ لتر	سولار	خدمات	٤٠

١- (جمال الدردساوي، ٢٠٠٨)

٢- (رفيق مليحة، ٢٠٠٨)

تحاول الجهات المختصة جاهدة مواجهة الكارثة الصحية التي من الممكن أن تنشأ عن قطع التيار الكهربائي وتقليص إمدادات الوقود، من خلال توفير المولدات الكهربائية لتقوم بضمان وصول التيار الكهربائي لأقسام المستشفيات، وقد بلغ عدد المولدات الموجودة حالياً ٤٥ مولداً في كامل القطاع الصحي تتراوح قوتها من (٥ - ٥٠٠ Kva) وهي لا تغطي كامل احتياجات القطاع الصحي، والأهم من ذلك عدم توفر الوقود اللازم لتشغيلها فهي تحتاج من ٦٠٠ إلى ٦٥٠ لتر في الساعة الواحدة لو تم تشغيلها مجتمعة^(١).

وفيما يتعلق بالآثار الصحية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي أكد الدكتور/ حسان خلف مدير عام مستشفى الشفاء بغزة أن الزيادة الكبيرة في ساعات انقطاع التيار الكهربائي تؤثر على الخدمات الصحية للمرضى خاصة مرضى الفشل الكلوي والأطفال حديثي الولادة.

المواطنة نهلة المغني وصفت حياتها في ظل أزمة الكهرباء بالكئيبة حيث قالت «انقطاع الكهرباء اعتدنا عليه لكن ما لا يمكن احتماله هو الضرر الذي يواجه المرضى فأنا لدي ابنة تحتاج لغسيل الكلى كل يومين وفي العديد من المرات نفضل في إتمام العملية بفعل انقطاع التيار الكهربائي عن المستشفيات مما يسبب لي معاناة كبيرة وآلاماً لا تحتمل»^(٢).

الاختصاصي الاجتماعي عطا أبو ناموس أشار إلى الضوضاء التي تحدثها المولدات الكهربائية المستخدمة عند انقطاع التيار الكهربائي، والتي تخلق في بعض الأحيان مشكلات بين الجيران، فضلاً عن الكوارث البشرية والمادية التي تحدثها إذا ما انفجرت نتيجة سوء استخدامها أو تلفها أحياناً.

وقال أبو ناموس إن طلبة الثانوية العامة تأثروا تأثراً سلبياً، حيث يصعب على بعضهم المذاكرة في ظل انقطاع الكهرباء الأمر الذي ينعكس سلباً على تحصيلهم الدراسي.^(٣)

وتقول المواطنة أم ياسر صايمة (٤٥ عاماً) التي تسكن مخيم المغازي الواقع وسط محافظات غزة والتي تعيل هي وزوجها أسرة مكونة من ٨ أفراد «أن الصحو والنوم وأعمال المنزل والنشاطات اليومية أصبحت مرتبطة بوصول الكهرباء، مما أوجد أنماط حياة جديدة في ظل انقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة».

وتقول ابنتها دعاء (١٧ عاماً) إنها «عملت بكل جهدها على برمجة حياتها اليومية بشكل يتناسب مع جدولة الكهرباء والأوضاع الجديدة التي تعيشها مع أسرتها كباقي الأسر الفلسطينية

١- (مركز المعلومات الصحية الفلسطيني في وزارة الصحة، ٢٠٠٨)

٢- (المنطار .. النشرة الإعلامية للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨: ٩٠-١٠)

٣- (خطوة... مجلة تصدرها جمعية الوداد للتأهيل المجتمعي، ٢٠١٠: ١٣)

في القطاع مشيرة إلى أنها «تستغل ساعات وصول الكهرباء، بعد الفراغ من أعمال البيت، في تشغيل الحاسوب واستخدام الإنترنت للمطالعة أو التواصل مع زميلاتها، أو إعداد بعض الأبحاث التي تحتاجها».^(١)

الأثار النفسية والاقتصادية لانقطاع التيار الكهربائي :

لاشك بأن انقطاع التيار الكهربائي كانت له آثار نفسية خطيرة على الأطفال وطلاب وطالبات الجامعات بشكل خاص وعموم أبناء شعبنا الفلسطيني بمحافظات غزة بشكل عام، كما كانت له آثار اقتصادية معقدة للغاية على معدلات دخل الفرد، مما أدى إلى ارتفاع معدلات الفقر والجوع والبطالة بصورة كبيرة .

المواطن عبد الرحمن أحمد عبّر عن استيائه الشديد جراء استمرار انقطاع الكهرباء عن منزله الواقع في محافظة شمال مدينة غزة، مبيناً أن طفليه يصابون بالخوف والذعر كلما انقطع التيار الكهربائي فجأة، لاسيما في ساعات الليل الأولى.

تقول الأم فداء جمال من سكان غزة: «غالباً ما ينقطع التيار الكهربائي ليلاً الأمر الذي يتسبب في خوف طفلي ويجعله يتبول بشكل لاإرادي».

الأوضاع النفسية الصعبة التي يمر بها الأطفال جراء استمرار تلك الأزمة يؤكدها الدكتور درداح الشاعر أستاذ علم النفس بجامعة الأقصى موضحاً أن «انقطاع التيار الكهربائي أحدث مشكلات سلوكية وانفعالية. خصوصاً لدى الأطفال الذين يخشون الظلام» وقال د. الشاعر: «الخوف من الظلام يعتبر من الخصائص الانفعالية للأطفال مما يدفعهم للهلع ويظهر عليهم أنماطاً سلوكية كالقلق والبكاء والخوف والتبول اللاإرادي».^(٢)

ومن الآثار الاقتصادية السلبية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي تقلص عدد المنشآت الصناعية وبالتالي ازدياد معدلات البطالة والفقر والجوع والمرض فعلى سبيل المثال بلغ عدد المنشآت الصناعية في محافظات غزة بشهر يوليو ٢٠٠٧ (٧٨٠) منشأة، تقلص هذا العدد في بداية عام ٢٠٠٨ ليصبح (١٥٠) منشأة فقط، في حين كان عددها عام ٢٠٠٥ (٢٩٠٠) منشأة، إضافة إلى أن عدد العاملين في محافظات غزة بلغ في يناير ٢٠٠٨ (١٥٠٠) عامل، في حين كان عددهم في يونيو ٢٠٠٥ (٢٥٠٠٠) عامل.^(٣)

الدراسات السابقة :

لم يتوفر لدى الباحث دراسات مباشرة تناولت مشكلة انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته

١- (الغيداء... مجلة تصدر عن مركز شؤون المرأة، ٢٠٠٦: ٢٨)

٢- (خطوة... مجلة تصدرها جمعية الوداد للتأهيل المجتمعي، ٢٠١٠: ١١)

٣- (مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨: ٢)

بالاكتئاب النفسي، ولذلك اعتبر الباحث الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي تلعب دوراً هاماً في الاصابة بالاكتئاب النفسي.

فروض الدراسة :

لا توجد علاقة إرتباطية دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0,05$) بين انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0,05$) في أثار انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى للمستوى التعليمي (دبلوم سنتين، بكالوريوس، دراسات عليا).

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0,05$) في أثار انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنة).

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0,05$) في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى للمستوى التعليمي (دبلوم سنتين، بكالوريوس، دراسات عليا).

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0,05$) في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام تُعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنة).

إجراءات الدراسة :

وتتناول وصفاً مفصلاً للإجراءات التي اتبعها الباحث في تنفيذ الدراسة، موضحاً منهج الدراسة، والمجتمع الأصلي، وتحديد عينة الدراسة، وإعداد أدوات الدراسة، والتأكد من صدقها وثباتها، وتوضيح الأساليب الإحصائية التي استخدمت في معالجة النتائج، وفيما يلي وصف لهذه الإجراءات.

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بهدف وصف وتحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة وتفسيرها بناءً على ما تم جمعه من بيانات ومعلومات حول تلك المتغيرات. ويعتبر المنهج الوصفي التحليلي من المناهج البحثية التي تتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات بحثية قائمة ومتاحة للدراسة، دون أن يكون للباحث أي تدخل مقصود في مجرياتها

وعلى الباحث أن يتفاعل معها بالوصف والتحليل^(١).

المجتمع الأصلي للدراسة:

يتكون المجتمع الأصلي للدراسة من جميع العاملين بهيئة التقاعد العام في محافظات غزة والمعتمدين لدى الإدارة العامة للشؤون المالية والإدارية بالهيئة، وعددهم (٧٠) فرداً.

عينة الدراسة:

نظراً لصغر حجم المجتمع الأصلي، قام الباحث باعتماد جميع أفراد المجتمع الأصلي لتمثل عينة الدراسة

حيث تم توزيع المقاييس على أفراد العينة ، وقد بلغ عدد الذين تجاوبوا مع المقاييس (٥٦) فرداً أي ما يعادل ٨٠٪ من المجتمع الأصلي.

توزيع عينة الدراسة حسب متغيراتها:

جدول رقم (١)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	العدد	النسبة المئوية
دبلوم	٩	١٦,١
بكالوريوس	٤٠	٧١,٤
دراسات عليا	٧	١٢,٥
المجموع	٥٦	١٠٠,٠

جدول رقم (٢)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير عدد سنوات الخدمة

سنوات الخدمة	العدد	النسبة المئوية
أقل من ١٠ سنوات	٢٢	٥٧,١
أكثر من ١٠ سنوات	٢٤	٤٢,٩
المجموع	٥٦	١٠٠,٠

أدوات الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على أداتين هما:

مقياس بيك للاكتئاب. (من إعداد بيك)

١- (إحسان الأغا، ١٩٩٧: ٤١)

اختبار انقطاع التيار الكهربائي. (إعداد الباحث)

وقد راعى الباحث عند إعداده لهاتين الأداتين الخطوات العلمية في بناءها، وقدرتها على الخروج بنتائج تحقق الهدف من استخدامها.

مقياس بيك للاكتئاب^(١)

ويغطي هذا المقياس الأعراض التالية: الحزن، التشاؤم، الفشل، السخط وعدم الرضا، الإحساس بالندم، توقع العقاب، كراهية النفس، إدانة الذات، وجود أفكار انتحارية، البكاء، الاستشارة وعدم الاستقرار النفسي، الانسحاب الاجتماعي، التردد وعدم الحسم، تغير صورة الجسم والشكل، هبوط مستوى الكفاءة والعمل، اضطرابات النوم، التعب والقابلية للإرهاق، فقدان الشهية، تناقص الوزن، تأثر الطاقة الجنسية، الانشغال عن الصحة.

التعليمات الخاصة بإجراء المقياس وطريقة التصحيح:

ويطبق المقياس على أفراد في سن (١٢) سنة فما فوق، ومن المستحسن أن يكون لديهم مستوى تعليمي يسمح لهم بقراءة التعليمات، وليس هناك وقت محدد لتطبيقه فقد يستغرق وقتاً أطول أو وقتاً أقل حسب استجابات المفحوصين، ويتم وضع درجات مقابل كل إجابة في كل مجموعة حيث تكون الدرجات على النحو التالي تبعاً للإجابة:-

الإجابة (أ)	صفر
الإجابة (ب)	١
الإجابة (ج)	٢
الإجابة (د)	٣

وبعد جمع درجات المقياس ينظر إلى قيمتها، فإذا كانت الدرجة الكلية تساوي (١٦) فما فوق، فإن الشخص المفحوص يعاني من الاكتئاب، وأما إذا كانت الدرجة أقل من (٨) فإن هذا يعني أن الشخص المفحوص لا يعاني من الاكتئاب.

١- (ترجمة وتعريب، عبد الستار إبراهيم: ١٩٩٨)

صدق المقياس :

أولاً: صدق المُحكِّمين:

قام الباحث بعرض المقياس على مجموعة من أساتذة الجامعات المتخصصين في التربية وعلم النفس في محافظات غزة، للحكم على صلاحية بنوده لقياس ما وضع لأجله، وبناءً على آراء المحكمين تم تعديل صياغة بعض الفقرات بشكل محدود جداً.

ثانياً: صدق الاتساق الداخلي:

جدول (٢) يبين

معاملات ارتباط جميع فقرات مقياس بيك للاكتئاب مع الدرجة الكلية للمقياس

الفقرة	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية	الفقرة	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
	٠,٥٤٩	٠,٠١	١٢	٠,٥٦٠	٠,٠١
	٠,٤٨٨	٠,٠١	١٣	٠,٥٩٨	٠,٠١
	٠,٦٨٣	٠,٠١	١٤	٠,٥٢٤	٠,٠١
	٠,٤٢٢	٠,٠١	١٥	٠,٥٨٦	٠,٠١
	٠,٥٤٢	٠,٠١	١٦	٠,٤٦٨	٠,٠١
	٠,٥٧١	٠,٠١	١٧	٠,٥٠٣	٠,٠١
	٠,٥٩٥	٠,٠١	١٨	٠,٤٥٤	٠,٠١
	٠,٣٥٨	٠,٠١	١٩	٠,٤٠٠	٠,٠١
	٠,٤٣٤	٠,٠١	٢٠	٠,٤٣٣	٠,٠١
	٠,٥٨٢	٠,٠١	٢١	٠,٤١٠	٠,٠١
	٠,٥٣٤	٠,٠١			

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٠,٢٥٤

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٠,٣٣٠

يتضح من الجدول السابق أن جميع فقرات اختبار الاكتئاب النفسي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠١ مما يؤكد الاتساق الداخلي للاختبار.

ثبات المقياس :

قام الباحث بحساب معامل كرونباخ ألفا لمقياس الاكتئاب فتبين أن قيمة معامل كرونباخ ألفا = (٠,٨٥١) والذي يعتبر معامل مرتفع مما يدل على أن مقياس الاكتئاب يتميز بدرجة عالية من الثبات.

اختبار انقطاع التيار الكهربائي:

لم يتوفر لدى الباحث دراسات أو بحوث نفسية أو تربوية تناولت مشكلة انقطاع التيار الكهربائي وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية على كافة المستويات فلسطينياً وعربياً ودولياً.

ونظراً لأن الكهرباء تعتبر من الضروريات الهامة والحيوية للشعوب والمؤسسات المختلفة سواء كانت صحية أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية، والدول تسعى لتوفير التيار الكهربائي لجميع شعوبها بكل إمكانياتها وطاقاتها المادية والبشرية، لذلك اجتهد الباحث لإعداد اختبار خاص بانقطاع التيار الكهربائي بما يتلاءم مع متطلبات وواقع الشعب الفلسطيني.

الخطوات التي اتبعها الباحث لإعداد اختبار انقطاع التيار الكهربائي؛

قام الباحث بإعداد مجموعة من التساؤلات المفتوحة التي تتناول الآثار السلبية الناتجة عن انقطاع التيار والتمثلة فيما يلي:

الآثار الصحية لانقطاع التيار الكهربائي.

الآثار الاجتماعية لانقطاع التيار الكهربائي.

الآثار الاقتصادية لانقطاع التيار الكهربائي.

الآثار النفسية لانقطاع التيار الكهربائي.

تم توزيع هذه التساؤلات على (٣٠) فرداً من أفراد المجتمع الأصلي للدراسة لمعرفة آرائهم وتوجهاتهم حول الآثار السلبية لانقطاع التيار الكهربائي.

قام الباحث بصياغة عبارات الاختبار بناءً على آراء الإخوة الذين تم توزيع التساؤلات عليهم، أخذين في الاعتبار السلامة اللغوية للعبارات، ووضوحها، وخلوها من الغموض، وملائمة كل عبارة للآثار التي تنتمي لها.

وصف الاختبار وطريقة تصحيحه:

يتكون اختبار انقطاع التيار الكهربائي من أربعة بنود هي:

الآثار الصحية لانقطاع التيار الكهربائي... وعددها ١٠ فقرات

الآثار الاجتماعية لانقطاع التيار الكهربائي... وعددها ٨ فقرات

الآثار الاقتصادية لانقطاع التيار الكهربائي... وعددها ١٠ فقرات

الآثار النفسية لانقطاع التيار الكهربائي... وعددها ١٠ فقرات

وكل فقرة يقابلها سلم خماسي التقدير: «درجة كبيرة جداً، درجة كبيرة، بدرجة متوسطة، بدرجة قليلة، بدرجة قليلة جداً» وعلى المفحوص أن يستجيب لكل فقرة بوضع علامة (١) في الحالة التي يراها تنطبق عليه.

جميع عبارات الاختبار سلبية وتأخذ الدرجات التالية:

بدرجة كبيرة جداً (٥)، بدرجة كبيرة (٤)، بدرجة متوسطة (٣)، بدرجة قليلة (٢)، بدرجة قليلة جداً (١).

صدق المقياس:

أولاً: صدق المحكمين:

تم عرض المقياس في صورته الأولية على مجموعة من أستاذة الجامعات المتخصصة في التربية وعلم النفس في محافظات غزة، حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول فقرات الاختبار، ومدى انتماء الفقرات إلى الاختبار، وكذلك وضوح صياغاتها اللغوية، وبناءً على تلك الآراء تم تعديل صياغة بعض الفقرات ليستقر عدد فقرات الاختبار على (٢٨) فقرة.

ثانياً: صدق الاتساق الداخلي:

لحساب صدق الاتساق الداخلي قام الباحث بحساب معاملات ارتباط بيرسون ودلالاتها الإحصائية لجميع فقرات اختبار انقطاع التيار الكهربائي مع الدرجة الكلية للمجال وذلك على النحو التالي:

أولاً: المجال الأول (الآثار الصحية)

جدول (٤)

يوضح معاملات ارتباط بيرسون ودلالاتها الإحصائية لجميع فقرات المجال الأول ودرجته

الكلية

الرقم	الفقرات	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
	أخشى توقف عمل المستشفيات خاصة غرف العمليات	٠,٧٨٤	٠,٠١
	يقلقني تعرض المرضى الموجودين بغرف العناية المركزة لخطر الموت	٠,٧٩٥	٠,٠١
	يزعجني وفاة المصابين بالأمراض المزمنة خاصة الفشل الكلوي	٠,٨٥٤	٠,٠١
	يقلقني تعرض الأطفال الموجودين داخل الحضانات لخطر الموت	٠,٨٣٣	٠,٠١
	أخشى من انتشار الأوبئة الخطيرة في المجتمع	٠,٦٦٧	٠,٠١
	يزعجني صوت المولدات الكهربائية	٠,٥٤٠	٠,٠١
	يقلقني التلوث البيئي الناتج عن المولدات الكهربائية	٠,٦٥٢	٠,٠١
	يقلقني وفاة العشرات بسبب المولدات الكهربائية	٠,٨٢٩	٠,٠١
	يزعجني وفاة الأطفال الناتج عن إشعال الشمع	٠,٧٥٤	٠,٠١
٠١	يقلقني توقف محطات معالجة الصرف الصحي	٠,٧٢٨	٠,٠١

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٠,٢٥٤

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٠,٣٣٠

يتضح من الجدول السابق أن جميع معاملات الارتباط لجميع فقرات المجال الأول دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠١ مما يؤكد الاتساق الداخلي للمجال الأول
ثانياً: المجال الثاني (الآثار الاجتماعية)

جدول (٥)

يوضح معاملات ارتباط بيرسون ودلالاتها الإحصائية لجميع فقرات المجال الثاني ودرجته

الكلية

الرقم	الفقرات	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
١.	أشعر بتفكك الروابط الاجتماعية بين أبناء شعبنا الفلسطيني	٠,٦١٣	٠,٠١
٢.	عدم التواصل بين أبناء المجتمع الفلسطيني كزيارة ذوي الأرحام	٠,٧٢٣	٠,٠١
٣.	زيادة المشاكل بين الجيران بسبب المولدات الكهربائية	٠,٧٠٠	٠,٠١
٤.	يزعجني تراجع أداء المؤسسات الإنسانية والاجتماعية	٠,٧٦٩	٠,٠١
٥.	يقلقني سيطرة النزعة الحزبية على النزعة الإنسانية والوطنية	٠,٦٥٣	٠,٠١
٦.	يزعجني انتشار المشاكل الأسرية داخل المجتمع	٠,٨٠٤	٠,٠١
٧.	أجد صعوبة في تكوين علاقات اجتماعية بسبب ضعف الإمكانيات المادية	٠,٥٤٧	٠,٠١
٨.	يقلقني تراجع بعض القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية	٠,٦١٥	٠,٠١

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٠,٢٥٤

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٠,٣٣٠

يتضح من الجدول السابق أن جميع معاملات الارتباط لجميع فقرات المجال الثاني دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠١ مما يؤكد الاتساق الداخلي للمجال الثاني.

ثالثاً: المجال الثالث (الآثار الاقتصادية)

جدول (٦)

الرقم	الفقرات	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
.١	تراجع الاقتصاد الوطني الفلسطيني بشكل ملحوظ	٠,٦٧٩	٠,٠١
.٢	تكبد المصانع والشركات لخسائر فادحة	٠,٦٨٢	٠,٠١
.٣	توقف عمل المصانع بشكل ملحوظ	٠,٧١٢	٠,٠١
.٤	تقليص عدد الموظفين لدى الشركات والمؤسسات الخاصة	٠,٦٧٢	٠,٠١
.٥	تراجع القوة الشرائية للمواطنين	٠,٧١٠	٠,٠١
.٦	ارتفاع معدلات البطالة	٠,٧٥٧	٠,٠١
.٧	انتشار الفقر والمرض والجوع	٠,٥٦٦	٠,٠١
.٨	تلف الأجهزة الكهربائية المنزلية كالثلاجة	٠,٦٨٨	٠,٠١
.٩	تلف المواد الغذائية المحفوظة بالثلاجة	٠,٦٤٧	٠,٠١
.١٠	تحمل المواطن لأعباء مادية نتيجة استخدام المولدات الكهربائية	٠,٦٩٥	٠,٠١

يوضح معاملات ارتباط بيرسون ودلالاتها الإحصائية لجميع فقرات المجال الثالث ودرجته

الكلية

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٠,٢٥٤

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٠,٣٣٠

يتضح من الجدول السابق أن جميع معاملات الارتباط لجميع فقرات المجال الثالث دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠١، مما يؤكد الاتساق الداخلي للمجال الثالث.

المجال الرابع (الآثار النفسية):

جدول (٧)

يوضح معاملات ارتباط بيرسون ودلالاتها الإحصائية لجميع فقرات المجال الرابع ودرجته

الكلية

الرقم	الفقرات	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
.١	خوف الأطفال من الظلام	٠,٥١٩	٠,٠١
.٢	التبول اللاإرادي لدى الأطفال	٠,٦٨١	٠,٠١
.٣	تراجع التحصيل الدراسي لدى طلاب المدارس	٠,٧٤٢	٠,٠١

الرقم	الفقرات	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
.٤	ضعف التركيز والانتباه لدى طلاب المدارس	٠,٧٥١	٠,٠١
.٥	سيطرة القلق والتوتر على المواطنين	٠,٦٥٤	٠,٠١
.٦	اضطرابات النوم عند الكبار والصغار	٠,٧٢٩	٠,٠١
.٧	انتشار الإحباط والاكتئاب لدى المواطنين	٠,٦٢٥	٠,٠١
.٨	العداء والكره الشديد لشركة الكهرباء	٠,٥٥٩	٠,٠١
.٩	الشعور بالاغتراب في الوطن	٠,٥٠٩	٠,٠١
.١٠	هجرة الشباب خارج الوطن	٠,٦٥٤	٠,٠١

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٠,٢٥٤

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٠,٣٣٠

يتضح من الجدول السابق أن جميع معاملات الارتباط لجميع فقرات المجال الرابع دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠١ مما يؤكد الاتساق الداخلي للمجال الرابع.

ثبات الاختبار:

قام الباحث بحساب معامل (ألفا كرونباخ) لجميع مجالات اختبار انقطاع التيار الكهربائي ودرجته الكلية كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول (٨)

معامل (كرونباخ ألفا) لجميع مجالات اختبار انقطاع التيار الكهربائي ودرجته الكلية

الرقم	المجال	معامل ألفا كرونباخ
	الأثار الصحية	٠,٩٠٨
	الأثار الاجتماعية	٠,٨٢٤
	الأثار الاقتصادية	٠,٨٧٠
	الأثار النفسية	٠,٨٣٠
	الدرجة الكلية	٠,٩٣٩

يتضح من الجدول السابق أن معامل (ألفا كرونباخ) لجميع مجالات اختبار انقطاع التيار الكهربائي عالية جداً مما يدل على إن اختبار انقطاع التيار الكهربائي يتميز بثبات عالٍ.

نتائج الدراسة وتفسيرها :

الفرض الأول: «لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة».

للتحقق من صحة الفرض استخدم الباحث معامل ارتباط (بيرسون)

جدول (٩)

معاملات ارتباط بيرسون ودلالاتها الإحصائية بين درجات عينة الدراسة على جميع مجالات

اختبار انقطاع التيار الكهربائي والاكتئاب النفسي

الرقم	المجال	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
	الأثار الصحية	٠,٠٥٤	غير دالة
	الأثار الاجتماعية	٠,٣٤٢	٠,٠١
	الأثار الاقتصادية	٠,٢٦٩	٠,٠٥
	الأثار النفسية	٠,٢٧٥	٠,٠٥
	الدرجة الكلية	٠,٢٧١	٠,٠٥

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٠,٢٥٤

قيمة (ر) الجدولية عند درجات حرية ٥٥ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٠,٣٣٠

يتبين من الجدول السابق أن معاملات قيمة (ر) المحسوبة لدرجات عينة الدراسة على جميع مجالات انقطاع التيار الكهربائي ودرجته الكلية أكبر من قيمة (ر) الجدولية ما عدا المجال الأول مما يدل على أن هناك علاقة ارتباطية بين انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة.

تفسير نتائج الفرض الأول:

أظهرت نتيجة الفرض الأول وجود علاقة إرتباطية بين الأثار المختلفة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي ما عدا الأثار الصحية، ويمكن تفسير هذه النتيجة بما يلي:

الأثار الصحية التي يعاني منها الشعب الفلسطيني في محافظات غزة ليست وليده السنوات السبعة الماضية التي عانى خلالها المجتمع الفلسطيني من الحصار الظالم، وما تبعه من انقطاع للتيار الكهربائي، ولكن الأثار الصحية ونتائجها السلبية موجودة ومتركمة منذ عام ١٩٨٧م، فالشعب الفلسطيني خاض انتفاضة الحجارة في ١٢/٩/١٩٨٧م، ثم خاض انتفاضة الأقصى في ٢٨/٩/٢٠٠٠م، ثم تعرض لحرب مدمرة في ٢٨/١٢/٢٠٠٨م، لذلك أصبح لدى الشعب الفلسطيني قدرات هائلة وكبيرة للتأقلم مع الأثار الصحية الناتجة عن الانتفاضات والحروب، وبالتالي جاءت النتيجة عدم وجود علاقة دالة إحصائية بين الأثار الصحية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي.

ولقد تم التركيز على الفترة الواقعة بين ١٩٨٧م حتى الوقت الحاضر لأنها تجسد المعاناة المباشرة للشعب الفلسطيني داخل فلسطين .

أما فيما يتعلق بالآثار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية فقد أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين الآثار السابقة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي ومستوى الاكتئاب النفسي، لأن هذه الآثار الخطيرة كان لها انعكاسات سلبية على مختلف أبناء شعبنا الفلسطيني وفي مقدمتها تفكك الروابط الاجتماعية، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة، وانتشار الأمراض النفسية الخطيرة كالإكتئاب النفسي والإحباط والقلق والتوتر، وتراجع الاقتصاد الوطني الفلسطيني بشكل ملحوظ وغلاء أسعار المواد الأساسية بصورة لا تتلاءم مع معدلات دخل الإنسان الفلسطيني.

الآثار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي تعتبر جديدة وغير مألوقة لدى الشعب الفلسطيني، لذلك جاءت نتيجة هذا الفرض منسجمة مع الواقع الفلسطيني من خلال وجود علاقة ارتباطية بين الآثار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ومستوى الاكتئاب النفسي.

الفرض الثاني: « لا توجد فروق دالة إحصائياً في آثار انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي». (دبلوم، بكالوريوس، دراسات عليا)

للتحقق من صحة هذا الفرض تم إجراء تحليل التباين الأحادي

جدول (١٠)

مجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة (ف) ودلالاتها الاحصائية لدرجات عينة الدراسة على جميع مجالات اختبار انقطاع التيار الكهربائي حسب متغير المستوى التعليمي

الدالة الإحصائية	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	المجال
غير دالة	٠,٧٠	٠,٥١	٢,٠٠	١,٠٢	بين المجموعات
		٠,٧٤	٥٢,٠٠	٣٩,٠٦	داخلة المجموعات
			٥٥,٠٠	٤٠,٠٩	المجموع

الآثار الاجتماعية	غير دالة	بين المجموعات	١,٠٧	٢,٠٠	٠,٥٤	٠,٩٤
		داخل المجموعات	٢٠,٢٨	٥٣,٠٠	٠,٥٧	
		المجموع	٢١,٣٦	٥٥,٠٠		
الآثار الاقتصادية	غير دالة	بين المجموعات	٢,١٠	٢,٠٠	١,٠٥	٢,٥٦
		داخل المجموعات	٢١,٧٦	٥٣,٠٠	٠,٤١	
		المجموع	٢٣,٨٦	٥٥,٠٠		
الآثار النفسية	غير دالة	بين المجموعات	٠,١٠	٢,٠٠	٠,٠٥	٠,١١
		داخل المجموعات	٢٢,٩٥	٥٣,٠٠	٠,٤٣	
		المجموع	٢٣,٠٥	٥٥,٠٠		
الدرجة الكلية	غير دالة	بين المجموعات	٠,٥٨	٢,٠٠	٠,٢٩	٠,٨٢
		داخل المجموعات	١٨,٥١	٥٣,٠٠	٠,٣٥	
		المجموع	١٩,٠٩	٥٥,٠٠		

قيمة (ف) الجدولية عند درجات حرية ٢,٥٣ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٣,١٥

قيمة (ف) الجدولية عند درجات حرية ٢,٥٣ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٤,٩٨

يتضح أن قيم (ف) المحسوبة لدرجات عينة الدراسة على جميع مجالات اختبار انقطاع التيار الكهربائي ودرجته الكلية أقل من قيمة (ف) الجدولية مما يدل على أنه لا يوجد فروق دالة إحصائية في انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي.

الفرض الثالث: «لا توجد فروق دالة إحصائية في آثار انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة تُعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة». (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات)

للتحقق من صحة هذا الفرض تم إجراء اختبار (ت)

جدول (١١)

المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) ودلالاتها الإحصائية على جميع مجالات

انقطاع التيار الكهربائي ودرجته الكلية حسب متغير عدد سنوات الخدمة

المجال	سنوات الخدمة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	الدلالة الإحصائية
الآثار الصحية	أقل من ١٠ سنوات	٣٢,٠٠	٤,١٩	٠,٧٣	١,٢٠٧	غير دالة
	أكثر من ١٠ سنوات	٢٤,٠٠	٣,٩٢	٠,٩٩		
الآثار الاجتماعية	أقل من ١٠ سنوات	٣٢,٠٠	٣,٦٦	٠,٦٨	٠,١٩٦	غير دالة
	أكثر من ١٠ سنوات	٢٤,٠٠	٣,٦٢	٠,٨٦		
الآثار الاقتصادية	أقل من ١٠ سنوات	٣٢,٠٠	٤,٠٥	٠,٥٣	٠,٩١٨	غير دالة
	أكثر من ١٠ سنوات	٢٤,٠٠	٣,٨٨	٠,٨٠		
الآثار النفسية	أقل من ١٠ سنوات	٣٢,٠٠	٣,٩٧	٠,٦١	٠,٤٣٨	غير دالة
	أكثر من ١٠ سنوات	٢٤,٠٠	٣,٨٩	٠,٧١		
الدرجة الكلية	أقل من ١٠ سنوات	٣٢,٠٠	٣,٩٨	٠,٥٠	٠,٩٠٥	غير دالة
	أكثر من ١٠ سنوات	٢٤,٠٠	٣,٨٤	٠,٦٩		

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ = ٢,٠٠

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة ٠,٠١ = ٢,٦٦

يتضح من الجدول السابق أن قيم (ت) المحسوبة لجميع مجالات اختبار انقطاع التيار الكهربائي ودرجته الكلية أقل من قيمة (ت) الجدولية مما يؤكد عدم وجود دلالة إحصائية في انقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظات غزة تُعزى لمتغير سنوات الخدمة

تفسير نتائج الفرضين الثاني والثالث:

جاءت نتيجة الفرضين الثاني والثالث عدم وجود فروق دالة إحصائية تتعلق بانقطاع التيار الكهربائي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام في محافظات غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي (دبلوم، بكالوريوس، دراسات عليا)، وبتغير عدد سنوات الخدمة (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بما يلي:

الآثار المختلفة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي سواء كانت صحية أو اقتصادية أو

اجتماعية أو نفسية كانت لها تأثيرات واضحة على جميع فئات الشعب الفلسطيني بغض النظر عن مستوياتهم العلمية والأكاديمية، فقد تأثر المزارع، وصاحب المصنع، ومدير الشركة، وطلاب وطالبات المدارس والجامعات، وجميع العاملين بالمؤسسات الحكومية والإغاثية والوكالة بالآثار المختلفة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي.

الآثار الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي شملت كل الشعب الفلسطيني، فلا توجد مدينة أو قرية أو شارع أو حي أو بيت لم يتأثر بانقطاع التيار الكهربائي وما ترتب عليه من نتائج سلبية على كل مقومات الحياة الإنسانية في محافظات غزة.

الفرض الرابع: «لا توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي». (دبلوم، بكالوريوس، دراسات عليا)

قام الباحث باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي للتحقق من صحة الفرض

جدول (١٢)

مجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة (ف) والدلالة الإحصائية على

اختبار الاكتئاب النفسي حسب متغير المستوى التعليمي

الرقم	المجال	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
٠.١	بين المجموعات	٠,٦٧	٢,٠٠	٠,٣٣	١,٩٤	غير دالة
٠.٢	داخل المجموعات	٩,١١	٥٣,٠٠	٠,١٧		
٠.٣	المجموع	٩,٧٨	٥٥,٠٠			

قيمة (ف) الجدولية عند درجات حرية ٢,٥٣ ومستوى دلالة ٠,٠٥ = ٢,١٥

قيمة (ف) الجدولية عند درجات حرية ٢,٥٣ ومستوى دلالة ٠,٠١ = ٤,٩٨

يتضح من الجدول السابق أن قيمة «ف» المحسوبة على اختبار الاكتئاب النفسي أقل من قيمة (ف) الجدولية مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد بمحافظة غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي.

الفرض الخامس: لا توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة تُعزى لمتغير عدد سنوات الخدمة. (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات)

للتحقق من صحة الفرض تم إجراء اختبار «ت»

جدول (١٣)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) ودلالاتها الإحصائية لمقياس الاكتئاب

النفسي حسب متغير سنوات الخدمة

الدلالة الإحصائية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	سنوات الخدمة
غير دالة	٠,٥٨٩	٠,٣٧	٠,٨٠	٣٢,٠٠	أقل من ١٠ سنوات
		٠,٤٩	٠,٧٤	٢٤,٠٠	أكثر من ١٠ سنوات

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ = ٢,٠٠

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة ٠,٠١ = ٢,٦٦

يتضح من الجدول السابق أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي (٠,٥٨٩) والتي تعتبر أصغر من قيمة (ت) الجدولية مما يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة تُعزى لمتغير سنوات الخدمة

تفسير نتائج الفرضين الرابع والخامس:

جاءت نتيجة الفرضين الرابع والخامس عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي (دبلوم، بكالوريوس، دراسات عليا)، أو متغير عدد سنوات الخدمة (أقل من ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بما يلي:

الضغوط المختلفة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني داخل فلسطين منذ عام ١٩٨٧م حتى الوقت الحاضر جعلته أكثر قوة وصلابة وقدرة على التكيف مع أسوأ الظروف.

الشعب الفلسطيني خاض انتفاضة الحجارة العظيمة عام ١٩٨٧م التي انطلقت في ٩/١٢/١٩٨٧م واستمرت حتى ٤/٥/١٩٩٤م مع بداية تأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية، وخاض انتفاضة الأقصى بوسائل قتالية عسكرية بسيطة عام ٢٠٠٠م والتي انطلقت في ٢٨/٩/٢٠٠٠م واستمرت حتى ٢٥/١/٢٠٠٦م بعد إجراء الانتخابات التشريعية التي فازت بها حركة المقاومة الإسلامية حماس، ثم خاض الشعب الفلسطيني حرب مدمرة وصعبة ومأساوية في ٢٨/١٢/٢٠٠٨ حتى ٢٠/١/٢٠٠٩م مع الاحتلال الإسرائيلي خلفت ١٦٠٠ شهيد وجرح عشرات الآلاف، وتدمير مئات المنازل السكنية، والمساجد، والمدارس، والجامعات، كل هذه الظروف الصعبة والقاسية والمأساوية أدت إلى خلق قدرات عجيبة وغريبة لدى الشعب الفلسطيني بمحافظة غزة في

التكيف مع كل الظروف والتطورات مهما بلغت قسوتها وأثارها السلبية.

لذلك جاءت نتيجة الفرضين الرابع والخامس عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام بمحافظة غزة تُعزى لمتغير المستوى التعليمي أو عدد سنوات الخدمة، وهذا ينسجم مع الواقع الفلسطيني في محافظات غزة.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يقترح الباحث التوصيات التالية:

إعداد برامج إرشادية لجميع أبناء شعبنا الفلسطيني في محافظات غزة تساهم في تخفيف الضغوط المختلفة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي.

العمل على تحسين ظروف أبناء شعبنا الفلسطيني من قبل الجهات المختصة في السلطة الوطنية الفلسطينية خاصة رئاسة مجلس الوزراء ووزارة المالية حتى يعيشوا بحرية وكرامة.

عقد ورش عمل من أجل مناقشة الضغوط المختلفة الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي، ووضع الحلول الكفيلة بالتخفيف من أثارها.

إعداد برامج تلفزيونية لشعبنا الفلسطيني توضح المخاطر الناتجة عن انقطاع التيار الكهربائي.

بحوث مقترحة:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يقترح الباحث القيام بالدراسات التالية:

انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته بالقلق لدى طلاب الجامعات الفلسطينية.

انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته بالتلوث البيئي لدى العاملين بوكالة الغوث.

انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته بخطر الموت لدى مرضى الفشل الكلوي.

انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته بمعدل ارتفاع مستويات البطالة لدى الخريجين الجامعيين.

سافو فؤاد كرم
دكتورة - الأدب الانكليزي
جامعة NDU

المدن والقرى والمواضيع اللبنانية من خلال أمثالها

«قال رجل من العرب لرجل آخر: لي إليك حُويجة. قال: لا أفضيها حتى تكون لبنانية، أي: عطيمة مثل لبنان».
لسان العرب ١٢/٢٧٨

الأمثال مرآة صادقة لحضارة الشعب، وضروب تفكيره، ومُثله الأخلاقية والاجتماعية. وهي، في الوقت نفسه، بما تحويه من حكم، تعتبر دستوراً أخلاقياً وقانونياً للشعوب، كما أنها جزء حي من تاريخ الوطن، فكل مثل مستودع ذكرى، وقصة عن أجدادنا، وجزء من تاريخنا. ونظراً إلى أهمية الأمثال في التهذيب الخلقى، والتوجيه الاجتماعي، خُصص لها سفر خاص في العهد القديم من الكتاب المقدس. وقد جاء في أوله: «أمثال سليمان بن داود، ملك إسرائيل، لمعرفة حكمة وأدب لإدراك أقوال الفهم، لقبول تأديب المعرفة، والعدل، والحق، والإستقامة، لنعطي الجهال ذكاء، والشباب معرفة وتدبُّراً. يسمعها الحكيم، فيزداد علماً، والفهيم يكتسب تدبيراً». وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

وقد عرف علماءونا العرب القدامى أهمية الأمثال فأكثرُوا من التصنيف فيها جمعاً،

١- (الحشر: ٢١)

وتصنيفاً وشرحاً، ومقارنةً وتأصيلاً، ونقداً^(١). وكذلك فعل الباحثون اللبنانيون المعاصرون. وأشهر مصنفاتهم بحسب الترتيب الزمني :

1- Proverbes et dictons Syro-Libanais

للمونسينيور ميشال فغالي. وقد أشرت إليه بـ «فغالي»

2- A dictionary of modern Lebanese proverbs

للدكتور أنيس فريحة. وقد أشرت إليه بـ «فريحة»

3- Proverbes populaires du Liban sud, Saïda et ses environs

لفردينان يوسف أبيلا. وقد أشرت بـ «أبيلا»

٤- «الأمثال الشعبية الجنوبية من خلال بلدة جباع» لحسن الحر. وقد أشرت إليه بـ «الحر».

٥- «إنسانيات الأمثال الشعبية اللبنانية» لزاهي ناصر. وقد أشرت إليه بـ «ناصر».

٦- «موسوعة الأمثال اللبنانية» للدكتور إميل يعقوب. وقد أشرت إليه بـ «يعقوب».

وإن كانت الأمثال اللبنانية قد استوفت بعض حقها في الجمع، فإننا لانزال بحاجة إلى دراسات كثيرة للمجتمع اللبناني من خلال أمثاله، تتناول قيمه، وعاداته، وتقاليده، ومناحي تفكيره. وقد جئت ببحثي المدن والقرى والمواضع اللبنانية من خلال أمثالها، علني أسهم بلبنة صغيرة في بناء هذه الدراسات. أما المدن والقرى والمواضع اللبنانية التي ورد ذكرها في الأمثال اللبنانية، فهي بحسب الترتيب الألفبائي^(٢):

أبو قمحة : قرية صغيرة في قضاء حاصبيا^(٣). كانت تقام بالقرب منها سوق أسبوعية للبيع والشراء تُعرف بـ «سوق الخان». ومن الطبيعي أن يعرف أولاد هذه البلدة الطريق المؤدية إلى هذه السوق، نظراً إلى قربها من قريتهم، وكثرة زياراتهم إليها، ولذلك قيل سخرياً بالجاهل يتعلم أشياء بسيطة : «تعلم ابن أبو قمحة درب سوق الخان!»^(٤).

١ - لعل أشهر كتبهم فيها :

- «الفاخر» لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٩٠٢م / ٢٩٠هـ).

- «الدررة الفاخرة في الأمثال السائرة» لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٩٧٠م / ٣٦٠هـ).

- «جمهرة الأمثال» لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (بعد ١٠٠٥م / بعد ٣٩٥هـ)

- «مجمع الأمثال» لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ١٢٢٤م / ٥١٨هـ).

- «المستقصى في أمثال العرب» لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ١١٤٤م / ٥٢٨هـ).

٢- خرّجنا الأمثال بحسب الترتيب الزمني لمصادرها، وقد أثبتنا، بعد مصدر المثل رقمه في هذا المصدر.

٣- إعرف لبنان ١ / ٢٩٧.

٤- فريحة ١١٧٩ / يعقوب ٢٤٩٢.

أميون^(١): هي مركز قضاء الكورة، ترتفع ٣٠٠م عن سطح البحر، وتبعد عن بيروت ٧٨ كلم، وعن طرابلس ١٨ كلم. وهي بلدة لها تاريخ قديم، وفيها آثار صليبية، وتشتهر بالزيتون^(٢).

وجميع سكان هذه البلدة، على كثرتهم، من الروم الأرثوذكس، ولعلها البلدة الأولى في لبنان من حيث عدد الأرثوذكس فيها. ويروى أن كاهناً كان يمر في إحدى القرى اللبنانية، فيضايقه بعض الصبية سائلين إياه عن إسمه وإسم قريته، دون أن يجيبهم. وأراد مرة أن يضع حداً لأسئلتهم، فقال: «الخوري مارون من أميون»^(٣).

أنفه^(٤): قرية ساحلية جميلة على شاطئ قضاء الكورة، تبعد ٧١ كلم عن بيروت، و١٤ كلم عن أميون. فيها آثار فينيقية ورومانية وبيزنطية. تشتهر بملاحاتها ومصانعها لتكرير الملح، وبالزيتون، وصيد السمك، ومنشآتها السياحية البحرية^(٥).

ولصمود هذه البلدة أمام أمواج البحر، ضرب المثل بها في المناعة، وبالسخرية ممن يُهدد من هو أقوى منه، فقول: «شوع بال (أو: شوهم) أنفه من هدير البحر»؟ ومنهم من يستبدل «أنفه» بـ «جونيه» أو بـ «عكار» في هذا المثل، فيقول «شوع بال (أو: شوهم) جونيه من هدير البحر»؟ و«شوع بال (أو شوهم) عكار من هدير البحر»^(٦).

أيطو^(٧): مصيف جميل في قضاء زغرتا. ترتفع ٩٥٠م عن سطح البحر، وتبعد ١١٢ كلم عن بيروت، و١٩ كلم عن زغرتا. تشتهر بالنتفاح، والإجاص، والعنب والزيتون، وفيها بعض الآثار^(٨). ورد إسم هذه القرية في المثل القائل: «أهالي أيطو بعيطو: كل مين بدو شيتو»^(٩)، وهو يُضرب للدلالة على أن كل إنسان يريد مصلحته، فيعمل لها، أو على أن أحداً لا يتنازل عن حقه فيما يمتلك، أو عن نصيبه في إرث ونحوه. ولا نعرف لماذا ضرب بالمثل بأهل أيطو في هذه الناحية: أيعود

١- قد يكون إسمها مأخوذاً عن السامية بمعنى القوة والصلابة، بمعنى القوي، أو من السريانية بمعنى المكان الذي يكثر فيه الحمام (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٦).

٢- إعرف لبنان ٢٥٥/١، والموسوعة المصورة للقرى والمناطق اللبنانية وحكاياتها ٢٩/١.

٣- فغالي ٢٦٢٦ / يعقوب ٢٢٢٢.

٤- ورد إسمها في رسائل تلّ العمارة، وفي الكتابات الأشورية. وقد يكون من السامية الفينيقية. والمعنى: وجه الله (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٦ - ٧).

٥- إعرف لبنان ٢٥٥/١، والموسوعة المصورة للقرى والمناطق اللبنانية وحكاياتها ٢١/١.

٦- فريحة ٢٠٧٢ / أبيلا ١٥٥٧ / يعقوب ١٥٦، ١٤٢، ٤١٤٢. وعكا: مدينة فلسطينية.

٧- من السريانية بمعنى الصيف والحر، أو الخنزير البري. وقد يكون من الجذر «غطا» بمعنى الكثيف المظلم (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٧).

٨- إعرف لبنان ١٤٢٠/١ والموسوعة المصورة ١١٢/١.

٩- ناصر ١١١١ / يعقوب ١٤٥٩. بعيطو: يصرخون، مين: من. شيتو: شياهُ.

ذلك إلى الإيقاع الموسيقي الذي تأتي به كلمة «أيطو» مع «بعيطو» و«شيتو»، أم أن أحداً من أهلها طالب بحقه، أو عبر عن أنانيته بهذا القول، فسرى قوله مثلاً، نظراً إلى هذا الإيقاع الموسيقي ؟
بجّة^(١): من قرى جبيل، ترتفع ٥٥٠م عن سطح البحر، وتبعد ٥٤ كلم عن بيروت، و ١٧ كلم عن جبيل. تشتهر بالعنب، والتين، والزيت، والزيتون^(٢).

كانت بجة، وكذلك جارتها معاد، موطناً لعدد من العائلات التي هجرتها، وإستوطنت في قرى عديدة من قرى لبنان، لذلك قيل: «بجة ومعاد تلتين البلاد»^(٣).

برج حمود: إحدى ضواحي مدينة بيروت. تشتهر بالحركة التجارية، وتكثر فيها المصانع^(٤).
عُرِفَت بسوء المناخ، وكذلك البوشرية، ولذلك قيل: «شوقال برج حمود للبوشرية ؟ - إلّي بيكسد عندك رديّه ليّي»^(٥). وهو يُضرب لإثنين سيئين يتشاركان في الضرر.

بسكنتا^(٦): مصيف جميل في قضاء المتن (المتن الشمالي). ترتفع ١٣٠٠م عن سطح البحر، وتبعد ٤٣ كلم عن بيروت، و ٢٧ كلم عن جديدة المتن. تُنتج الفواكه والخُضْر. وعثر فيها على آثار تعود إلى العهد الفينيقي، واليوناني والروماني^(٧). كان أهالي هذه البلدة على خصام مستمر مع أهالي الشوير، فسببا بعض المشاكل الوطنية، لذلك قيل: «لولا بسكنتا والشوير، كاذت الدني بألف خير»^(٨).

بسوس^(٩): قرية في قضاء عاليه، ترتفع ٤٥٠م عن سطح البحر، وتبعد ١٤ كلم عن بيروت، و ٥ كلم عن عاليه. تشتهر بزراعة المشمش، والجنارك، والزيتون^(١٠). عُرِفَ أهل هذه البلدة، قديماً بسداجة التفكير، أو بالتصلب بالرأي، وكذلك جارتها عاليه، ف قيل: «لولا عاليه وبسوس، ما كان بالدني تيوس»^(١١).

-
- ١- من السريانية بمعنى حدائق وجنائن، وربما تكون بمعنى التين الفجّ والجميز. وفي الآرامية: الحصرم (معجم أسماء القرى والمدن اللبنانية. ص ١٢).
 - ٢- إعرف لبنان ١٠٢/٢، والموسوعة المصورة ٤٤/١.
 - ٣- يعقوب ١٦٥٥.
 - ٤- إعرف لبنان ١٩٢/٢، والموسوعة المصورة ١٥٦/١.
 - ٥- فقالي ٢٢٧٩ / ناصر ٢٢٥٤ / يعقوب ٤١٤٨.
 - ٦- من السريانية بمعنى المسكن، أو الفقر والبؤس (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٢٢).
 - ٧- إعرف لبنان ١٢٠٦/٢، والموسوعة المصورة ٧١/١.
 - ٨- فريجة ٢٢٢٧ / ناصر ٥٢٣١ / يعقوب ٦٢٨١.
 - ٩- من السريانية بمعنى الفيجن (شجرة ذات ورق أزرق وزهر أصفر، رائحته كريهة وطعمه مرّ)، أو من الفينيقية بمعنى الخيل (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٢٢).
 - ١٠- إعرف لبنان ٢٢١/٢، والموسوعة المصورة ٧٢/١.
 - ١١- فريجة ٢٢٢٩ / ناصر ٥٢٣٥ / يعقوب ٦٢٨٧.

بعلبك^(١): من أشهر المدن التاريخية في العالم. مركز قضاء بعلبك. تبعد ٨٥ كلم عن بيروت، و٣٥ كلم عن زحلة. تشتهر بالمشمش والحبوب، وبقلعته التاريخية التي تعد معلماً سياحياً وأثرياً عالمياً^(٢). اشتهرت، قديماً، بصناعة الحلاوة، حتى ضرب بها المثل في ذلك، فقيل: «ما في حلاوة إلا ببعلبك»^(٣). استكاراً لمن يدعي إقتصار وجود شيء في مكان محدود معين.

بكركي^(٤): مركز البطريركية المارونية. تبعد ٢٠ كلم عن بيروت، و٤ كلم عن جونيه. تُستعمل الكلمة مجازاً بمعنى البطريرك الماروني، فإذا قيل: «رأي بكركي كذا»، فهذا يعني أن هذا الرأي هو رأي البطريرك الماروني.

وردت بكركي في المثل القائل: «التركي ولا بكركي»^(٥). وتعود قصة هذا المثل إلى الحوادث الطائفية الدامية التي جرت بين اللبنانيين سنة ١٨٦٠م، حين أرادت فرنسا إقامة دولة مسيحية في الشرق، يكون مرجعها بكركي. فخير الأروام بين المسلمين، ووراءهم تركيا، والدولة المسيحية، ومركز ثقلها بكركي، فقال أحد الأروام: «التركي ولا بكركي». يُضرب في تفصيل أمر على آخر أكثر سوءاً^(٦).

بوعلی: هو نهر قاديشا الذي يعرف عند وصوله إلى طرابلس بـ«نهر بوعلی». وهذا النهر ينبع من مغارة قاديشا في أعالي بشري، ويرفده نهر رشعين الغزير وعليه، فإن أكثر مياه النهر التي تصل إلى طرابلس مصدرها نهر رشعين، لذلك قيل: «الصيت لنهر علي، والفعل لنهر رشعين»^(٧). وهو يُضرب لمن يُنسب إليه عمل ما، ويكون القائم الحقيقي بهذا العمل غيره.

البوشرية^(٨): إحدى ضواحي مدينة بيروت. عُرفت بمناخها غير الصحي، فقيل: «يا طالب الصحة من البوشرية»^(٩). وهو مثل يُضرب لمن يطلب شيئاً في مكان يخلو منه. خلوا تاماً، كما

١- من السريانية بمعنى: صاحب صنم، أو من السامية بمعنى رب البقاع. سماها اليونان «هيليو بوليس»، أي: مدينة الشمس (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٢٧).

٢- إعرف لبنان ٤٥/٢، والموسوعة المصورة ٨٢/١.

٣- فغالي ١١٣ / فريحة ٢٣٧٨ / أبيلا ١٢٣١ / ناضر ٥٤٧٠ / يعقوب ٦٥٧٤.

٤- قد يكون بمعنى المكان الذي تحفظ فيه الكتب والمجلات والأسفار، أو بمعنى المكان المحصن (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٢١).

٥- ناضر ٧٠٥٠ / يعقوب ٥٥٢.

٦- موسوعة الأمثال اللبنانية. ٥٥٢/١.

٧- فغالي ١٨٨٥ / ناضر ٣٤٢٥ / يعقوب ٤٣٤٧.

٨- قال الدكتور أنيس فريحة: إن الإسم غامض جداً، ولعل معناه: بيت المبتدئين، أو بيت الطلبة الجدد (قد يكون المحل ديراً أو مدرسة)، أو مكان الجالية النازلة حديثاً (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٢٥).

٩- فغالي ٢٣٣١ / فريحة ٤١٩٧ / ناضر ٦٧٥٥ / يعقوب ٨٠٩٨.

قيل: «شوقال برج حمود للبوشرية؟ - إلي بيكسد عندك رديه ليبي»، قد تقدم القول في هذا المثل. بيروت^(١): عاصمة لبنان، وأكبر مدنه، وأهمها. تشتهر بجامعاتها، ومستشفياتها، ومصارفها. تعد السوق المالي الأول في الشرق الأوسط. يقصدها سنوياً آلاف الطلاب من دول الشرق الأوسط للتعلم في جامعاتها، وألوف المرضى للإستشفاء في مستشفياتها^(٢). وردت «بيروت» في المثل القائل: «إن كبرنالك هون، بيكبرولك ببيروت؟»^(٣). ويروى، في قصة هذا المثل، إن عاملاً كان ينوي الذهاب إلى بيروت، للعمل فيها، فسأل زميلاً له عن أجره العامل فيها، فأجابه: ما بين ثمانية وعشرة قروش. فسأله: وهل تكاليف المعيشة مرتفعة فيها؟ فأجابه: نعم، تصور أنه سيلزمك، لوجبة الطعام، ثلاثة أرغفة من الخبز على الأقل. وكل رغيف ثمنه نصف قرش، ثم رسم له دائرة بمساحة دائرة الرغيف. واستصغر العامل الرغيف، فسأله زميله مجدداً: ألا يصنعون أرغفة بهذا الحجم؟ ورسم دائرة على الأرض أكبر من الدائرة التي رسمها زميله. فاجابه زميله: ربما، ثم عاد العامل ورسم دائرة أخرى أكبر من الأولى، وكرر سؤاله. عندئذ قال له زميله: «إن كبرنالك هون، بيكبرولك ببيروت»، فذهب قوله مثلاً للأمانى غير القابلة للتحقيق^(٤).

تحوم^(٥): قرية ساحلية في قضاء البترون. تبعد ٤٧ كلم عن بيروت، و ٨ كلم عن البترون. تنتج اللوز، والتبغ، والزيتون، والخضر^(٦). كان فيها عجل شديد الشهوة كثير الأكل، فقال أحدهم فيه: «مثل عجل تحوم يفتح تمو من بعيد»^(٧)، فذهب قوله مثلاً لشديد الشهوة لأمر، عندما يراه، أو يحدث عنه.

جونية^(٨): مدينة ساحلية في قضاء كسروان. تقع على خليج ساحر يُعرف بإسمها. تبعد ١٩ كلم عن بيروت، و ٢٥ كلم عن بعبداء. تشتهر بمرفئها، وبممنشأتها السياحية، وبالتلفريك^(٩). وردت في المثل «شوبال جونية من هدير البحر؟» وقد تقدم القول فيه (مادة «أنفة» من بحثنا هذا)، كما وردت في المثل: «خربت جونية»^(١٠). وقصة هذا المثل أن قافلة تجارية محملة بالحبوب كانت

١- الأرجح أن يكون الإسم من السريانية بمعنى الصنوبر، وقد يكون جمع «بئر» (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٣٩).
 ٢- الموسوعة المصورة ١١٥/١.
 ٣- أيبلا ١٥٨ / يعقوب ١٣٦٢.
 ٤- أيبلا ١٥٨ / يعقوب ١٣٦٢.
 ٥- من السريانية بمعنى الحد أو الفاصل (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٤١).
 ٦- إعرف لبنان ٢٨٦/٣، والموسوعة المصورة ١٢١/١.
 ٧- فغالي ١٩٤٧ / يعقوب ٦٩٢٤.
 ٨- قد تكون التسمية من السريانية بمعنى: زوايا، أو نسبة إلى خليجها المعروف «جون» (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٥١).

٩- إعرف لبنان ٨٥/٤، والموسوعة المصورة ٥٤/١.

١٠- فغالي ٧١٥ / فريجة ١٥٢٧ / ناضر / يعقوب ٣١٥٢.

متجهة لتموين جونية، فاستولى عليها بعض قطاع الطرق. ولما وصل الخبر إلى جونية، صرخ أحدهم: «خربت جونية، سنموت جوعاً، فأصبح التعبير «خربت جونية» يعني، عند اللبنانيين، أنا جائع. وإشتهرت جونية، قديماً بالمجدرة، فقيل: «مجدرة جونية ولو باتت»^(١).

الحازمية^(٢): تقع في منطقة وسطى بين بيروت وبعبداء، ترتفع ١٢٥ م عن سطح البحر. فيها مصانع للمنسوجات، والأخشاب، والحديد والدهان، والمرطبات^(٣). وردت في المثل القائل: «الاول بالحازمية، ولا الثاني برومية»^(٤). والمعنى: أن يكون أولاً في قرية صغيرة خيرٌ لي من أن أكون ثانياً في مركز البابا، وعاصمة إيطاليا.

حردين^(٥): مصيف صغير في قضاء البترون. ترتفع ١١٠٠ م عن سطح البحر، وتبعد ٩١ كلم عن بيروت، و٢٧ كلم عن البترون. فيها نواويس فينيقية ومعبد روماني. تشتهر بصناعة الدبس^(٦). ورد إسمها في المثل القائل: «عم يبييع الدبس بحردين»^(٧)، وهو يُضرب لمن يضع الأمور في غير أماكنها الصحيحة.

حصرون^(٨): مصيف جميل في قضاء بشري. ترتفع ١٤٠٠ م عن سطح البحر، وتبعد ١٠٥ كلم عن بيروت، و٥ كلم عن بشري. تنتج التفاح، والإجاص، والكرز، وفيها مطاعم وفنادق^(٩). عُرف أهلها، قديماً، بالتكبر والمباهاة والعنجهية، فقيل: «عنطوز حصروني»^(١٠).

حولا^(١١): من قرى مرجعيون. ترتفع ٧٠٠ م عن سطح البحر، وتبعد ١١٢ كلم عن بيروت، و٢٢ كلم عن مرجعيون. تنتج التبغ، والعنب، والزيتون^(١٢). ورد إسمها في المثل القائل: «كل الدبات رقصت إلا دباب حولا»^(١٣). يُضرب لمن يُعاند في رأيه، فلا يتعلم. ويقول اللبنانيون في المعنى

١- فغالي ١٠٨ / ناصر ٥٨٨٥. باتت: مضى على صنعها يوم أو أكثر.

٢- من العربية بمعنى: الحزم. وقد يكون من السريانية بمعنى: نظر وراقب الماء (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٥٢).

٣- إعرف لبنان ١٢٨/٤، والموسوعة المصورة ١٦٢/١.

٤- فغالي ٣٠١ / يعقوب ٩٢٤٢.

٥- من السريانية بمعنى: الخائفين، وقد يكون بمعنى القضاء والحكم (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٥٥).

٦- إعرف لبنان ٢٢١/٤، والموسوعة المصورة ١٧١/١.

٧- فغالي ٢١١٨ / ناصر ٣٨٤١ / يعقوب ٤٨٤٠. ومثله المثل العربي «كمنسبضع التمر إلى هجر» (جمهرة الأمثال ١٥٣/٢، وفصل

المقال ص ٩١٢، والمستقصى ٢٢٣/٢، ومجمع الأمثال ١٥٢/٢).

٨- من السريانية بمعنى: محصن ومسور (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٥٧).

٩- إعرف لبنان ٢٧٠/٤، والموسوعة المصورة ١٧٧/١.

١٠- يعقوب ٤٩٠٨.

١١- من السريانية بمعنى المغارة والكهف، أو المكان غير المقدس. قد يكون من العربية بمعنى: القوة (معجم أسماء المدن والقرى

اللبنانية. ص ٦١).

١٢- إعرف لبنان ٣٥٥/٤، والموسوعة المصورة ١٩١/١.

١٣- الحر ٢٩٢ / يعقوب ٥٦٦٢.

نفسه : «كل الدبات رقصت إلاب الضنية»^(١).

دوما^(٢): مصيف جميل في قضاء البترون. تعلقو ١٠٥٠م عن سطح الارض، وتبعد ٨٨ كلم عن بيروت، و٢٢ كلم عن البترون. تنتج الزيتون والتفاح، وفيها بقايا آثار قديمة^(٣). وردت في المثل القائل: «متل العاوز مشوارع دوما»^(٤). وروي في قصة هذا المثل، أن خادماً قال له سيده: سأرسلك إلى دوما، فما كان من هذا الأخير، ودون إعلام سيده، إلا أن ذهب إلى دوما في الصباح الباكر. وعند المساء، عاد، وقال لسيده: ها قد ذهبت إلى دوما، وعدت منها. فضحك سيده وقال: هذا القول الذي أصبح مثلاً يُضرب في كل عمل غير نافع، أو في مَنْ يعمل دون هدف، أو دون فائدة، أو فمّن يتصرف دون تفكير.

رشعين^(٥): من قرى زغرتا. ترتفع ٢٥٠م عن سطح البحر، وتبعد ٩٧ كلم عن بيروت، و٢ كلم عن زغرتا. تشتهر بالزيتون وبنبعها الغزير^(٦). وردت في المثل القائل: «الصيت لنهر بو علي، والفضل لنهر رشعين»، وقد تقدم^(٧)، وفي المثل: «سكرت من رشعين»^(٨). ولعل المقصود: إنقطعت المياه من نبعها. يُضرب في مشكلة استحال التغلب عليها.

زبدین^(٩): قرية في قضاء النبطية. ترتفع ٤٥٠م عن سطح البحر، وتبعد ٧٥ كلم عن بيروت، و٢ كلم عن النبطية. تُنتج التبغ والزيتون والحبوب^(١٠). وردت في المثل القائل: «كلب زبدین ما بیستغني عن سوق النبطية»^(١١). لا بد من الرجوع إلى النبع، أو الأصل، أو الأسياد.

سوق الخان: سوق تجارية شعبية قرب قرية بوقمحة. وردت في المثل: «جايي تعلم بوقمحة ع درب سوق الخان»، وقد تقدم القول فيه^(١٢).

١- يعقوب ٥٦٦٢.

٢- الأرجح من الفينيقية بمعنى: السكينة والهدوء. وقد يكون من اليونانية بمعنى: البيت (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٧١).

٣- إعرف لبنان ٦٩/٥، والموسوعة المصورة ٢٢٢/١.

٤- فقالي ١٤٧ / فريجة ٤٢٢٢ / ناصر ٥٧٥٤ / يعقوب ٦٩١٨.

٥- من السريانية بمعنى: رأس العين (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٧٩).

٦- إعرف لبنان ٣١١/٥، والموسوعة المصورة ٢٤٥/١.

٧- إنظر مادة «بوعلي» في بحثنا هذا.

٨- ناصر ٣٤٢٥ / يعقوب ٣٨٥٥.

٩- من الجذر السامي «زيد» بمعنى العطاء، أو من السريانية بمعنى الزبدة، أو مكان صنعها (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ٨٢).

١٠- إعرف لبنان ٤١١ / ٥، والموسوعة المصورة ١٢٥٦. وثمة قرية أخرى تدعى «زبدین» في قضاء جبيل (إنظر الموسوعة المصورة ٢٥٦/١).

١١- أبيلا ١٢٥٠ / يعقوب ٥٨٣٦.

١٢- إنظر مادة «بوقمحة» في بحثنا هذا.

الشوير^(١): مصيف جميل في المتن الشمالي. ترتفع ١٢٠٠ م، وتبعد عن بيروت ٢٧ كلم، و٢٢ كلم عن جديدة المتن. يُعرف أهاليها بـ «البناء»، وتشتهر بالفنادق وزراعة التفاح^(٢). وردت في المثل: «لولا بسكنتا والشوير، كانت الدنيا بألف خير»، وقد تقدم^(٣).

صنين^(٤): جبل يعلو رأسه ٢٦٢٨ م عن سطح البحر، له شكل مثلث. فيه آثار بناء مربع يُظن أنه فينيقي^(٥). يقع في أعالي بسكنتا في المتن الشمالي. يتكاثر فيه الحجل. ورد في المثل «قاقتلو حجلة صنين»^(٦). يُضرب للشباب الشديد الجمال.

الضنية^(٧): إسم قضاء من أفضية لبنان الشمالي، يقع شمالي طرابلس. وردت في المثل: «كل الدب رققت إلا دبّ الضنية»، وقد تقدم القول فيه^(٨)، والمثل: «دب الضنية ما بيرقص»^(٩). يُضرب لمن لا مؤهلات لديه للتعلم، أو لشديد العناد.

العاصي^(١٠): نهر ينبع من مغارة الراهب قرب الهرمل، ومن اللبوة شمال غربي بعلبك. ويتجه شمالاً، فيخترق سوريا، ليصب في خليج السويدية في تركيا^(١١). ورد في المثل: «إشلق خبزك بالعاصي، ولا تطعموا للراسي»^(١٢).

عاليه^(١٣): مصيف جميل في قضاء بعبدا. يرتفع ٨٥ م عن سطح البحر، ويبعد ٧ كلم عن بيروت، و ١٠ كلم عن بعبدا. تشتهر بالفنادق والمطاعم^(١٤). وردت في المثل: «لولا عاليه ويسوس ما كان بالدني تيوس»، وقد تقدم القول فيه^(١٥).

العصفورية: إسم مكان في الحازمية، من ضواحي بيروت، بُني فيه مصح لذوي الأمراض

-
- ١- تصغير عربي للفظ سرياني بمعنى: وثب وقفز، أو علا وارتفع (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٠٠).
 - ٢- إعرف لبنان ٦/٤٤٥، والموسوعة المصورة ٢٠٢/١.
 - ٣- إنظر مادة «بسكنتا» في بحثنا هذا.
 - ٤- من الأرامية بمعنى: البارد المتجمد (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٠٤).
 - ٥- المنجد في الأعلام. ص ٣٤٩.
 - ٦- فغالي ٢٩٨٥ / يعقوب ٢٥٤. قاقتلو: نادته إشتهته. حجلة: أنثى الحجل.
 - ٧- لم نعثر على معنى للراسم. ولعله من الجذر العربي (ضنن). وضن بالشيء: حرص عليه، ولم يتنازل عنه.
 - ٨- إنظر مادة «حولا» في بحثنا هذا.
 - ٩- يعقوب ٢٢٩٧.
 - ١٠- إسم فاعل من «عصا» بمعنى: خالف. وهذا النهر يخالف إتجاه جميع الأنهار اللبنانية التي تتجه من الشرق إلى الغرب، أو من الشمال إلى الجنوب فالغرب، أما هو فيتجه نحو الشمال.
 - ١١- المنجد في الأعلام. ص ٣٦٢.
 - ١٢- يعقوب ٥٠١١.
 - ١٣- من الأرامية والسريانية بمعنى: المكان العالي المرتفع (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١١١).
 - ١٤- إعرف لبنان ٧/٤٤، والموسوعة المصورة ١٢٣٩.
 - ١٥- إنظر مادة «يسوس» في بحثنا هذا.

العقلية. وردت في المثل القائل: «يا طالب العقل من العصفورية»^(١). وهو، في مضربه، كالمثل القائل: «يا طالب الصحة من البوشرية» المتقدم^(٢).

كفرحونة^(٣): من قرى جزين، ترتفع ١٠٥٠ م، وتبعد ٨١ كلم عن بيروت، و٨ كلم عن جزين. تنتج النفاح، والتبغ، والعنب^(٤). وردت في المثل: «يا أهل كفرحونة»^(٥)، لا تأخذو منا ولا تعطونا». يُضرب لمن نتعب من التعامل معه.

الكفور^(٦): في لبنان ثلاث قرى تحمل هذا الإسم: الأولى في قضاء كسروان، والثانية في قضاء النبطية، والثالثة في قضاء البترون^(٧). والمقصود الأولى. وردت في المثل القائل: «كان بعلمك بالكفور شدياق»^(٨). والشدياق هذا كان كثير الحسنات. يُضرب تأسفاً عن نافع نخسره.

الكنيسة^(٩): إسم لخمسة قرى: الأولى في قضاء بعبداء، والثانية في قضاء بعلبك، والثالثة في قضاء الشوف، والرابعة في قضاء صور، والخامسة في قضاء عكار^(١٠). ولعل المقصود تلك التي في قضاء الشوف^(١١). وهي ترتفع ٦٥٠ م، وتبعد ٣٧ كلم عن بيروت، و١٢ كلم عن بيت الدين، تنتج الزيتون والفاواكه^(١٢). وردت في المثل القائل: «بيحكي قد أرامل الكنيسة»^(١٣). ويقول اللبنانيون، في المعنى نفسه، «بيحكي قد قاضي معزول وخوري محروم»^(١٤).

لبنان^(١٥): وطننا الجميل، هذا الجبل الذي قُرِنَ بالعظمة منذ أقدم العصور، فقد جاء في لسان العرب: «قال رجل من العرب لرجل آخر: لي إليك حويجة. قال: لا اقضيها حتى تكون

١- ناظر ٦٧٥٦ / يعقوب ٨٠٩٩.

٢- إنظر مادة «البوشرية» في بحثنا هذا.

٣- من السريانية بمعنى: قرية الإخوة الصغار، أو قرية الشفقة والرحمة (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٤٨).

٤- إعرف لبنان ٤١١/٨، والموسوعة المصورة ٤٤٣/٢.

٥- أبيلا ٣٩١ / ناظر ٧٦٠ / يعقوب ٨٢٠٧.

٦- جمع عربي لكلمة «الكفر» بمعنى: القرية (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٥٤).

٧- وتسمى هذه «كفور العربي» إنظر: إعرف لبنان ٦٣/٩، ٦٨، ٧٠، والموسوعة المصورة ٤٦١/١-٤٦٢.

٨- فغالي ٧٠٠ / يعقوب ٨٥٩٨. والشدياق: رجل دين ماروني، رتبته دون الكاهن.

٩- من السريانية بمعنى: مجتمع (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٥٥).

١٠- إنظر: إعرف لبنان ٨٨، ٨٦، ٩٠، ٩١، والموسوعة المصورة ٤٦٤-٤٦٦. وهناك أيضاً كنيسة القاطع في قضاء عكار (إعرف لبنان ٩٤/٩، والموسوعة المصورة ٤٦٦).

١١- لقبها من «نيحا» المشهورة أيضاً، بأراملها (إنظر مادة «نيحا» في بحثنا هذا، وإنظر: موسوعة الامثال اللبنانية، الرقم ٢٢٣٦).

١٢- إعرف لبنان ٩٠/٩، والموسوعة المصورة ٤٦٥/٢.

١٣- يعقوب ٢٢٣٦. قدّ: قدر، مثل.

١٤- فغالي ١٧٢٠ / فريحة ١٠٧٠ / أبيلا ٣٠٣ / يعقوب ٢٢٣٧.

١٥- من الجذر السامي المشترك (لبن)، ويفيد البياض. واختلّفوا في وجه التسمية بالبياض، فمن قائل: نسبة إلى اللبن، أي البخور والكندر، إلى قائل: لبياض ثلوجه، إلى قائل: لبهائه وصفائه وجماله (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٥٧).

لبنانية أي : عظيمة مثل لبنان^(١) .

وردت في المثل: «هَيْئَالٌ إِلِيَّ الْوَمَرَقْدِ عَنزَةَ بَجِبَلِ لَبْنَانَ»^(٢) الذي قيل في عهد المتصرفية (١٨٦١ - ١٩١٤) ، حيث كان لبنان يتمتع بنوع من الإستقلال، وكان اللبنانيون يعمون بنوع من الحريات العامة بخلاف جيرانهم^(٣) .

القللوق^(٤) : مصيف في قضاء جبيل، يعلو ١٩٠٠م عن سطح البحر، ويبعد ٦٩ كلم عن بيروت، و٢٢ كلم عن جبيل. فيها مركز للتزلج^(٥). وردت في المثل القائل: «السمنات بالقللوق، والرزات بالمينا، والخبزات عند الحجة، وتغدوا يا نداينا»^(٦). يُضرب في إستحالة حصول شيء لعدم توافر أسبابه ومكوناته.

مارشعيم (مرجحين) : منطقة خصبة في قضاء الهرمل. كانت تشتهر بزراعة القمح وبيعه. وردت في المثل : «سَكَّرَتْ مَارْ شَعِيم»^(٧). يُضرب للدلالة على الإنتهاء من عمل، أو مناقشة، أو بمعنى : لم يبق شيء.

المجادل^(٨) : من قرى قضاء صور. ترتفع ٤٠٠م عن سطح البحر، وتبعد ١٠٢ كلم عن بيروت، و٢١ كلم عن صور. تنتج التبغ، والحبوب، والالبان^(٩). وردت في المثل: «العرس بمحرونة، وأهل المجادل بترقص»^(١٠). يُضرب لمن يفرح في أمر لا يعنيه. ويقول اللبنانيون في المعنى نفسه: «العرس بطبريا، وأهل المجادل بيرقصوا»^(١١) .

مجدل المعوش^(١٢) : من قرى الشوف. ترتفع ٨٥٠م عن سطح البحر، وتبعد ٤٤ كلم عن

١- لسان العرب ٢٧٨/١٣ (لبن).

٢- فغالي ٢٢٢٥ / فريحة ٤٠٣٦ / أبيلا ١٨٩٩ / ناضر ٦٤٧٧ / يعقوب ٧٨٤٤.

٣- إنظر مصادر المثل، والناس أجناس. ص ١٧ - ٢٠.

٤- من العربية أو السريانية بمعنى : طائر اللقلق. وقد يكون من تحريف سرياني بمعنى : الأثغ والالكن (أي: الذي في نقطه لكنة) معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٥٨.

٥- إعرف لبنان ١٤٤/٩، والموسوعة المصورة ٤٧٢/٢.

٦- فغالي ١٨٢ / ناضر ٢٠١٢ / يعقوب ٢٨٩١. الندابون : الذين يندبون الميت.

٧- فغالي ٢٤٥١ / ناضر ٤٩٨٤ / يعقوب ٢٨٥٤، ولم أقع على قرية تسمى «مارشعيم»، وفي البحث تبين لي أن المقصود «مرجحين»، ولعل الإسم محرف عن «مارشعيم».

٨- جمع عربي لفظ سرياني بمعنى : الأبراج، وأمكنة المراقبة (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٦١).

٩- إعرف لبنان ١٧٥/٩، والموسوعة المصورة ٤٧٩/٢.

١٠- الحر ٢٦٩ / يعقوب ٤٧٢٧.

١١- أبيلا ٩٦١ / يعقوب ٤٧٢٧. طبريا : مدينة بفلسطين. والمجدل قرية لبنانية سيرد ذكرها.

١٢- الجزء الأول من الإسم السرياني بمعنى : البرج. والجزء الثاني سرياني أيضاً بمعنى : الرطوبة أو الغابة (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٦٢).

بيروت، و٢٧ كلم عن بيت الدين. تنتج التفاح والزيتون^(١). وردت في المثل: «لولا مجدليا ومجدل المعوش، كانت الدني خالية من الوحوش»^(٢).

مجدلون^(٣): من قرى بعلبك. ترتفع ١٠٥٠ م عن سطح البحر، وتبعد ٨٠ كلم عن بيروت، و٩ كلم عن بعلبك. تنتج الحبوب^(٤). وردت في المثل القائل: «خمنت حالا مجدلون ضيعة»^(٥). ويروى، في قصة هذا المثل، أن أهالي هذه القرية ادعوا التفوق والغلبة على من عداهم، فهاجموا قرية أكبر من قريتهم، فغلبوا، وهوجمت منازلهم، ونُهبت. يُضرب سخرية من الضعيف الذي يدعي القوة والبطش، فيهزم في التجربة الأولى.

مجدليا^(٦): في لبنان قريتان تحملان هذا الاسم: الأولى في قضاء زغرتا^(٧)، والثانية في قضاء عاليه، والمقصود الثانية. وهي ترتفع ٥٠٠ م عن سطح البحر، وتبعد ٢٦ كلم عن بيروت، و١١ كلم عن عاليه. فيها آثار، وتنتج الزيتون والخوخ^(٨). وردت في المثل القائل: «لولا مجدليا ومجدل المعوش، كانت الدني خالية من الوحوش»، وقد تقدم.

المجديل^(٩): من قرى جزين. ترتفع ٣٠٠ م عن سطح البحر، وتبعد ٥٢ كلم عن بيروت، و٢٢ كلم عن جزين^(١٠). تنتج الفواكه. وردت في المثل: «العرس بطبريا، وأهل المجديل بيرقصوا»، وقد تقدم^(١١).

مرجعيون^(١٢): مركز قضاء مرجعيون. ترتفع ٨٠٠ م، وتبعد ٩٨ كلم عن بيروت، و٥٥ كلم عن صيدا. بقرها قلعة الشقيف. تزرع بالخُضر^(١٣). وردت في المثل: «كرمال عيونك تكرم مرجعيون»^(١٤). وقد حُصت مرجعيون في هذا القول، إما لأن إسمها يحوي لفظة «عيون» (جمع :

١- إعرف لبنان ١٩٢/٩، والموسوعة المصورة ٤٨١/٢.

٢- فريجة ٢٢٢٥ / ناضر ٥٢٤٢ / يعقوب ٦٢٩٦.

٣- من السريانية بمعنى: البرج الصغير (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص ١٦٥).

٤- إعرف لبنان ٢٠٢/٩، والموسوعة المصورة ٤٨٢/٢.

٥- فقالي ٨٨١ / فريجة ١٥٦١ / ناضر ٢٤٣٥ / يعقوب ٦٩٥/٢.

٦- من السريانية بمعنى: سكان البرج (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص ١٦٢).

٧- إنظر: إعرف لبنان ٢٠٧/٩، والموسوعة المصورة ٤٨٢/٢.

٨- إعرف لبنان ٢١١/٩، والموسوعة المصورة ٤٨٢/٢.

٩- تصفير عربي لكلمة «مجدل» السريانية تعني: البرج الصغير (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص ١٦١، ١٦٢).

١٠- إعرف لبنان ٢١٦/٩، الموسوعة المصورة ٤٨٤/٢.

١١- إنظر مادة «المجادل» في بحثنا هذا.

١٢- كلمة مركبة من «مرج» بمعنى: الأرض الواسعة فيها نبات كثير ترعى فيها الدواب، و «عيون»، جمع «عين» بمعنى: ينبوع الماء. ومعنى الإسم إذن: الأرض ذات الينابيع الكثيرة. وإسم البلدة في الأصل، جديدة مرجعيون.

١٣- إعرف لبنان ٤٧٩/٣، والموسوعة المصورة ١٤١/١.

١٤- فريجة ٢٨٦ / أبيلا ١١٦٢ / الحر ١٧٣ / ناضر ٤٦٠٥ / يعقوب ٥٦١٢، كرمال: كرمى..

عين)، وإما لأن المثل قيل في أحد مواطنيها. ومعنى المثل أنه، كرامةٌ للحبیب، وإلتماساً لرضاه، نُكِّمُ أقرباءه وأصدقاءه. قال الشاعر (من الطويل):

أحبُّ بني القوام طراً لحبها ومن حبها احببتُ أحوالها كلباً^(١)

معاد^(٢): من قرى جبيل. ترتفع ٥٢٥م، وتبعد ٥٢ كلم عن بيروت، و١٥ كلم عن جبيل. فيها آثار قديمة، وتنتج الزيتون والتبغ^(٣). ورد إسمها في المثل: «بجة ومعاد تلتين البلاد» وقد تقدم القول فيه^(٤).

الميناء: المقصود: ميناء طرابلس، وقد وردت في المثل: «السمنات باللقوق، والرزات بالمينا، والخبزات عند الحجة، وتعدوا يا ندايينا». وقد تقدم القول فيه^(٥).

النبطية^(٦): مركز قضاء النبطية. ترتفع ٤٠٠م عن سطح البحر، وتبعد ٧٢ كلم عن بيروت، و٣٠ كلم عن صيدا. فيها آثار قديمة، وتنتج التبغ، والزيتون، والحمضيات^(٧). ورد في المثل: «كلب زبدین ما بیستغنی عن سوق النبطية». وقد تقدم القول فيه^(٨).

نيحاً^(٩): إسم لأربع قرى: الأولى في قضاء البترون، والثانية في قضاء زحلة، والثالثة في قضاء صور، والرابعة في قضاء الشوف^(١٠). والمقصود هذه الأخيرة^(١١) التي ترتفع ١١٢٥م، وتبعد ٦٧ كلم عن بيروت، و٢٢ كلم عن بيت الدين. تشتهر بقلعتها التاريخية المعروفة بـ«شقيف تيرون» وبغزارة مياهها. تُزرع بالخضر والفواكه^(١٢). ويروى أن رجال هذه القرية ناصرُوا على ظاهر العمر^(١٣)، حاكم صفد، ضد أحمد باشا الجزار^(١٤)، والي عكا، لكن الجزار انتصر عليهم

١- عن موسوعة الأمثال اللبنانية ١١٤٩/٢.

٢- من السريانية بمعنى: العادي والمألوف، أو من جذر سامي بمعنى: الموعد (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٧٤).

٣- إعرف لبنان ٩٣٦٤، والموسوعة المصورة ٥٢٢/٢.

٤- إنظر مادة «بجة» في بحثنا هذا.

٥- إنظر مادة «اللقوق» في بحثنا هذا.

٦- من العبرية بمعنى الرؤية والتطلع، أو من العربية بمعنى: دقق الماء وخروجه (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٨٠).

٧- إعرف لبنان ٤٧٠/٩، والموسوعة المصورة ٥٤/٢.

٨- إنظر مادة «زبدین» في بحثنا هذا.

٩- من السريانية بمعنى الهادئ المستريح (معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. ص ١٨٣).

١٠- إنظر: الموسوعة المصورة ٥٤٨/٢ - ٥٤٩.

١١- وهي إحدى القرى الخمس المعروفة تاريخياً بإسم «القرى العزیزة»، وهي: دير القمر، وعین دارة، وبتلون، وعماطور، ونيحاً. وسميت بذلك لأن الأمير بشير الشهابي الثاني كان يصف أهلها بـ«الأعزاز» دون سائر القرى (عن موسوعة الأمثال اللبنانية ١٠٨٥/٢).

١٢- إعرف لبنان ٥١٣/٩، والموسوعة المصورة ٥٤٩/٢.

١٣- (١٦٩٥ - ١٧٨٢م)، شيخ بني زيدان في بلاد صفد. فتح صيدا، وولي عكا. إغتيل (المنجد في الأعلام. ص ٣٦١).

١٤- (نحو ١٧٢٠ - ١٨٠٤م)، والي صيدا الشام. إستقر في عكا، ولقّب بالجزار لفتكه بالبدو في مجزرة بلغ ضحاياها سبعين ألف. حصّن عكا، وقاوم حصار بونابرت لها (المنجد في الأعلام. ص ٢٠٠).

وابادهم، فأصبحت نساء القرية أرامل، واشتهرت نيجا بأراملها، فقيل: «متل أرامل نيجا بالغمز (أو: ما بيلقى غمزة)»^(١)، و«سالوا (أو: قالوا) لأرامل نيجا: ليش ما تجوزتوا؟ قالوا: إجا حدا وردّيناها»^(٢). ويُضرب المثل الثاني لمن يُسأل عن سبب عدم قيامه بعمل، في حين أن المسؤول يتمنى القيام بهذا العمل، لكن الظروف لم تؤاتيه.
ومع «أرامل نيجا» مسك الختام.

١- فغالي ٢٥٠ / فريحة ٣٤٥٦ / ناضر ٥٥٩٠ / يعقوب ٦٧١٧.

٢- فريحة ٢٦٨٧ / أبيلا ٢٨٠١ / ناضر ٤٢٩٥ / يعقوب ٥٢٦٥.

عبد المنعم بشناتي

أستاذ دكتور

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية

جامعة الجنان

لغتنا الزاخرة ذاخرة

تمهيد :

اللغة هي رمز التعبير ووسيلته، واللغة تنقل ما يجيش في خاطر البشر، ونوازع النفس، وما ينتاب الشخص من شعور دافق، وخلجات باطنة وظاهرة، فتنقل إلى طالبها، بطريقة الأصوات، ونعبّر عنها بالأحرف والألفاظ .

وقد عرف ابن جنّي اللغة، بأنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(١).

وأما تصريف كلمة (اللغة) ومعرفة حروفها فإنها: فُعْلَةٌ، من: لغوت. أي: تكلمت؛ وأصلها (لُغَوَةٌ)، ككرة، وقُلَّةٌ، وثُبَّةٌ، كلها لاماتها واوات^(٢).

وأمة العرب تاريخها سحيق، وفيما قبل التاريخ، كانت كل المواطن المعروفة في العالم القديم مسكونة بشعوب غير سامية ما عدا الجزيرة العربية. والعرب الساميون^(٣) عاشوا فيما يلي

١- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، (١/ ٣٣) تحقيق محمد علي النجّار. دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان .
الطبعة الثانية .

٢- المرجع نفسه .

٣- الإستعمال العلمي للفظ «سامي» حديث العهد يرجع إلى عام ١٧٨١م ، عندما اقترحه اللغوي الألماني شلوتزر علماً على الشعوب التي أنشأت في الجزء الغربي من آسيا حضارات ترتبط لغويًا وتاريخيًا كما ترتبط إلى حدّ ما بالأنساب . انظر الساميون ولغاتهم ، د. حسن ظاظا، ص (٩) دار القلم - دمشق، ١٩٩٠م، ط الثانية .

بلاد الأنضول إلى جنوب الجزيرة العربيّة، على ضفاف أربعة أنهر كبيرة، هم: دجلة، والفرات، وفيشون، وجيحون. وقد أفادت أبحاث المستشرق الألماني «فريتزهومل» أن ميل السطح في شبه جزيرة العرب، وتعرّضه للرياح الموسميّة، ربّما قد تغيّر بانخساف في طبقات الأرض فقدر الماء في شبه الجزيرة العربيّة، وجفّ النهران الكبيران - فيشون و جيحون^(١) - ولهذا ذكر التاريخ الحضارة اليمنيّة بعمارة السدود وخزانات المياه، التي من أشهرها سدّ مأرب، محاولة التغلّب على القحط الذي أثار كثيرا على السكّان الأصليين، وهم عرب الجاهلية ويدعون بالعرب البائدة، إذ حلّت عليهم الكوارث، أمثال: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وجرهم، ووبار... وغيرهم^(٢).

والحديث النبويّ الشريف يؤكّد هذا التوجه، فإنّ جزيرة العرب كانت مروجاً خضراء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكثّر الهرج، وحتّى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»^(٣).

والعربيّة البائدة تطلق على بعض لهجات العرب وكانوا يسكنون قديماً في مناطق واقعة في شمال الجزيرة العربيّة، في واحات تيماء والحجر -مدائن صالح- ومنطقة العلا في شمال الحجاز. وكانوا بعزلة عن عرب نجد والحجاز.

وتتنق اللغة العربيّة البائدة مع العربيّة الباقية في كثير من مقوماتها وخصائصها في الأصوات والقواعد والمفردات. فيكثر فيها ورود أصوات الذال والثاء والغين والضاد... وغيرهم، وتشتمل على أهم خاصة لقواعد اللغة العربيّة، وهي خاصة الإعراب بالحركات، فهي تلحق أصوات مدّ قصيرة بآخر الكلمة لبيان وظيفتها، وعلاقتها ببقية عناصر الجملة، ووجوه الشبه أظهر ما يكون في أصول المفردات وأسماء الأعلام، وفي مسائل تصريف الأفعال، وعلامات الإعراب عند حذفها^(٤).

وقد درس الدكتور خليل يحيى نامي في كتابه^(٥) العديد من المسائل والظواهر اللغوية القديمة في بيان تاريخ اللغة العربيّة قبل الإسلام، ويفيض في المقارنة بينها وبين أخواتها الساميّة في الحروف والضمائر وتخصيص معاني أبنية الفعل وتويعها والاشتقاقات الصرفيّة، ويذكر اللهجات العربيّة القديمة، الثموديّة والصفويّة واللحيانية والنبطيّة. ويسهب في الحديث عن ظاهرة الإعراب في العربيّة، وأنه قديم فيها منذ الجماعات الساميّة الأولى، الأكديّة والبابليّة

١- لعلنا يجب أن نذكر أنّ هذين النهرين ما تزال أجزاء من مجرى كلّ منهما موجودة إلى الآن يملؤها المطر إذا انهمرت سيوله في بعض الأحيان.

٢- انظر نفس المرجع ص (١٦) وما بعدها.

٣- صحيح ابن حبان، رقم الحديث (٦٨٥٥).

٤- انظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وإفي، ص (٩٩). نشر: دار نهضة مصر. القاهرة. الطبعة السابعة.

٥- انظر كتاب دراسات في اللغة العربيّة. د. خليل يحيى نامي. دار المعارف بمصر.

والأشورية القديمة والأوجريتيّة والنبطيّة. وبيّن الأسماء الممنوعة من الصرف، وأن المنع من الصرف قديم في اللغات الساميّة، وأن العربيّة الفصحى هي التي ظلّت تحتفظ به، ويعقد بحثاً مستفيضاً في التضاد الجنسي وعلاماته من خلال مقارنات واسعة بين العربيّة واللغات الساميّة، ويبحث في أسماء العدد ومخالفاتها للمعدود تذكيراً وتأنيثاً، ويفصّل البحث في دراسة الضمائر، والاسم الموصول، وجموع التكسير، والكتاب يدرس علم فقه اللغة العربيّة الكلّيّة والجزئيّة^(١).

فإذا كنّا لانعرف شيئاً عن المراحل التي اجتازتها اللغة العربيّة، فإنّ الدلائل التي تشير إلى اتصالها بأخواتها اللغات الساميّة تبين عمق امتداد عراققتها السحيق، والذي يصل إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، فـلغات الأمم الساميّة تشابه في نقاط كثيرة رئيسة والألفاظ المتداولة بينها تمثّل نسبة ضخمة من ثروتها اللغويّة^(٢).

وهذا يفسّر تمسّك العرب بلغتهم الفصحى في العصر الجاهلي، ويعتبرونها لغة مقدّسة، فكانوا يتلقونها مشافهة من الأعراب مباشرة، حرصاً عليها وصوناً لسانهم. كما يفسّر إجماع علماء النحو المقارن للغات الساميّة، أمثال: بروكلمان، ووليم رايت، وأدوارد روم، ودافيد يلين، على أنّ اللغة العربيّة الفصحى هي بلا منازع أقدم صورة حيّة من اللغات الساميّة الأم، وأقرب هذه الصور إلى تلك اللغة التي تفرّعت منها بقيّة اللغات الساميّة^(٣).

أمّا العربيّة الباقية، فهي اللغة التي تنصرف إليها كلمة العربيّة عند إطلاقها، وهي لغة الأدب والكتابة والتأليف، ونشأت ببلاد نجد والحجاز في الجزيرة العربيّة، بعيداً عن اللغات التي يمكن أن تؤثر في أصواتها أو مفرداتها، وهذا يفسّر لنا المحافظة على شخصيتها المميزة بين اللغات، وصحيح قد قيل: أنه دخلتها العجمة في قليل من المفردات، إلا أنّ ذلك محتمل في الصراع اللغوي، من تأثر وتأثير، إذ كان أثر اللغات الأخرى فيها بسيطاً جداً، أمام البحر الهائل من المفردات التي تتمتع بها اللغة العربيّة الفصحى الباقية.

وأقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي، وهو آثار أدبيّة تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلي وحكّامه وخطبائه، ويرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الخامس بعد الميلاد، وحفظت في قلوب العرب أمداً طويلاً، وجمعت ودوّنت في القرون الأولى للعصر الإسلامي. وهي تمثّل عنفوان اللغة الحيّة واكتمالها وعظمتها، بعد أن اجتازت مراحل كثيرة في التطوّر والارتقاء، واستأثرت بميادين الأدب من شعر ونثر وخطابة، في جميع القبائل العربيّة، وهي التي سمّيت بعد

١- انظر مقدّمة المرجع السابق، ص (٢) للدكتور شوقي ضيف .

٢- انظر الساميون ولغاتهم، ص (١١) و (١٢)

٣- انظر الساميون ولغاتهم، ص (١٦) .

ذلك بلغة قريش، على وجه التقريب^(١).

وعلماء أصول اللغة العربيّة القدامى لهم آراء في أصل اللغة العربيّة، هل هي توقيف، أم اصطلاح؟ واستشهدوا بقوله تعالى على أنها توقيفيّة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) وهذا موضوع يطول شرحه، وله جوانب متعدّدة، ويتصل بالمسائل العقديّة والدينيّة، ويخرج عن النطاق اللغوي^(٣).

وحدّد علماء اللغة العربيّة الحروف المستعملة والمهملة عند العرب، فالحروف المستعملة في كلامها في الأسماء والأفعال تسعة وعشرون حرفاً، مرجعهم إلى ثمانية وعشرين حرفاً، منها حرفان مختصّ بهما العرب دون الخلق وهما «الحاء والطاء»، ويرى بعض اللغويين أن «الحاء» في السريانيّة والعبرائيّة والحشيّة كثيرة، وأن «الطاء» وحدها مقصورة على العرب، ومنها ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم، وهنّ: العين، والصاد، والضاد، والقاف، والطاء، والثاء، وما سوى ذلك فلخلق كلّهم، من العرب والعجم، إلا «الهمزة» فإنّها لم تأت من كلام العجم إلا في الابتداء، وهذه الحروف تزيد على هذا العدد، إذ استعملت حروف لاتتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطرّوا إليها حولوها عند التكلّم إلى أقرب الحروف من مخارجها^(٤).

ويبيّن سيبويه أصل الحروف العربيّة - كما ذكرنا - وذكر أنها تكون خمسةً وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروعٌ، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة، ويؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفتيحيم. يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة.. وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة، في لغة من تُرتضى عربيّته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف بين الجيم والكاف، والجيم التي كالکاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء، وهذه الحروف التي اثنين وأربعين جيدها ورديتها أصلها التسعة والعشرون، ولا تُتبيّن إلا بالمشافهة، إلا أنّ الضاد الضعيفة تُتكلّف من الجانب الأيمن، وإن شئت تُتكلّفها من الجانب الأيسر^(٥).

١- انظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وإفي، ص (١٠٧)

٢- سورة البقرة، آية (٢١).

٣- انظر الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، ص (٦) تحقيق السيّد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - ١٩٧٧ م.

٤- انظر جمهرة اللغة، لابن دريد، (٤/١) دار صادر، بيروت.

٥- انظر الكتاب، لأبي بشر عمرو، الملقب: سيبويه (٤٨٨/٢) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان. الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

وذكر ابن جنّي الحروف الفرعية المستحسنة، والحروف الفرعية المستقبحة وقال عنها: ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مردولة، غير مقبولة^(١). ولذلك أسقط علماء اللغة العربية هذه الأصوات المرفوضة في الذوق العربي الفصيح، وأبقوا ما تذوقه العربي الفصيح من الأصوات اللغوية ورمز له، وجعل حرفاً معترفاً به عند العرب، ولذلك لا يوجد في اللغة العربية الفصيحة الأصوات اللغوية المعمول بها في لغات أخرى، مثل: ك، ف، پ، چ، وإن كانت في اللهجات العربية مستعملة إلا أن اللغوي الفصيح لم يستعملها، وتعتبر من الوحشي المستنكر.

وقد روى ابن دريد الأزدي لهجات أهل اليمن وغيرها، وهو الخبير العالم بها - فهو من أصول عربية يمنية - فوصفها بدقة، وبيّن نطقها، وكيف تكتب، لكيلا تلتبس بالصوت الفصيح، فقال: فمنها: تلك الحروف الحرف الذي بين (الباء والفاء) مثل (پور) إذا اضطروا إليه قالوا (فور)^(٢) ومثل الحرف الذي بين (القاف والكاف)^(٣) و(الجيم والكاف)^(٤) وهي لغة سائرة في اليمن، مثل (جمل) إذا اضطروا إليه قالوا: (كَمَل) بين الجيم والكاف، ومثل الحرف الذي بين (الياء والجيم) وبين (الياء والشين) مثل (غلامي) فإذا اضطروا قالوا: (غلامج) ... و(غلامش)^(٥)، وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها. فأما بنو تميم فإنهم يلحقون (القاف بالكاف) فتغلظ جداً، فيقولون (الكوم) يريدون: القوم، فتكون «القاف» بين (القاف والكاف) وهذه لغة معروفة في بني تميم^(٦).

وقد صنّف علماء اللغة اللغات الفصيحة واللغات العربية الرديئة، وقال أبو نصر الفارابي: كانت قريش أفصح العرب ففتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عما في النفس؛ والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، وهم: قيس، وتمر، وأسد؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة لا يؤخذ من حضريّ قطّ، ولا عن سكّان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جزام، لمجاورتهم أهل مصر والقيبط، ولا من قضاة، وغسان، وإياد، لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصاري يقرءون

-
- ١- انظر سرّ صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جنّي (١ / ٥١) تحقيق مصطفى السقا، محمد الزفراف، إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. بمصر. الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ. ١٩٥٤م.
 - ٢- هكذا في الأصل، ولعلها (فور) وينطقونها مثل الصوت الأجنبي (ف) (ليستقيم المعني).
 - ٣- فيغلظون القاف، وينطقونها من غير مخرجها الفصيح مثل الصوت الأجنبي (G) في مثل كلمة (Guilty). فبنو تميم يلحقون القاف باللهاء. ومعنى تغليظ القاف التلغظ بصوت الكاف الفارسي
 - ٤- فينطقونها بإبسة غير معطشة، مثل الجيم القاهرية، وتكتب بثلاث نقط (چ). أو الفارسية (ك).
 - ٥- الحرف الذي بين الشين والجيم والياء في المذكور (غلامج) وفي المؤنث (غلامش).
 - ٦- انظر جمهرة اللغة، لابن دريد، (١ / ٥٠٤).

بالعبرانية، ولا من تغلب والنمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزدعمان، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت أسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علماً وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب^(١).

فكانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، وعلى نسبة بعد القبائل وقربها من قريش، كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد، عند أهل صناعة اللغة العربية^(٢).

ويرى شيخ العربية الأصمعي أن أفصح العرب قبيلة قريش، ويروي أن معاوية قال ذات يوم لجلسائه: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السُّمَّاط، فقال: قوم تباعدوا عن عننة تميم، وتلتة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاة، ولا طمطمانيه حمير، فقال من أولئك؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين^(٣).

وقد عقد ابن فارس باباً في اللغات المذمومة^(٤)، وذكر فيه تلك اللهجات المردودة. وعقد باباً آخر سماه: باب القول في أفصح العرب. قال فيه: أجمع علماءنا بكلام العرب، والرؤاة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم، ومحالهم: أن قريشاً أفصح العرب أسنة، وأصفاهم لغة.. وكانت قريش -مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة أسنتها- إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم (طبائعهم) وسلاتقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب^(٥).

وأفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين جلَّ وعلا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح العرب». رواه أصحاب الغريب^(٦)، ...

١- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، (١/ ٢١١.٢١٢) شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.

٢- انظر العبر وديوان المبتدأ والخبر، المشهور بمقدمة ابن خلدون، ص (٤٩) القاهرة ١٣٢٧هـ.

٣- انظر درة الفواص، في أوهام الخواص. للقاسم بن علي الحريري، ص (٢٥٠) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة. ١٩٧٥م.

٤- انظر الصحابي، ص (٣٥).

٥- انظر الصحابي، ص (٣٣).

٦- ورواية الزمخشري: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر. وروي: «ميد أني». الفائق في غريب الحديث. (١/ ١٤١) تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية. والحديث له روايات أخرى.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي: أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ ما أفصحك! فما رأينا الذي هو أعرب منك. قال: «حق لي، فإنما أنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين». وقال الخطابي: اعلم: إن الله لما وضع رسوله صلى الله عليه وسلم موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكلم^(١).

أمّا القرآن الكريم فقد حيرت فصاحته، وبيانه، وأسلوبه، وجدله، ومحكمه، ومفصله... وغير ذلك، عقول فصحاء العرب وحكمائهم وشعرائهم، فكان الكلام المعجز الذي لا يرقى إليه كلام البشر، فكان المثل الأعلى. إلى جانب الشريعة الإسلامية. للفصاحة العربية، والانسباك الأدبي واللغوي، والإعجاز البياني والمعنوي، لا يدانيه حديث، ولا يقاربه إبداع، فبرز إعجاز القرآن في جميع العلوم.

وقد تحدّث السيوطي في موضوع إعجاز القرآن، فقال: أفردّه بالتصنيف خلائق منهم الخطّابي والرّماني والزمكاني والإمام الرازي وابن سراقه والقاضي أبو بكر الباقلاني، ... وقال: اعلم أنّ المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إمام حسية، وإمام عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم^(٢).

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن الكريم، وكانت قبيلة قريش أفصح الفصحاء، ومصافح الخطباء، وتحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدرُوا، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٣) واستمرّ القرآن في تحدي العرب الفصحاء، وأصحاب البيان والبلاغة، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) وخفف القرآن الكريم الكمية المطلوبة في التحدي، بأن يأتوا بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥) وكرّر التحدي مرّة ثانية، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦) فلمّا عجزوا عن معارضته

١- المزمهر في علوم اللغة وأنواعها، ص (٢٠٩ / ١).

٢- الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، (١١٦ / ٢) الطبعة الثالثة، ١٩٥١م، مصطنى البابي الحلبي.

٣- سورة الطور، الآية (٢٤).

٤- سورة هود، الآية (١٢).

٥- سورة يونس، الآية (٢٨).

٦- سورة البقرة، الآية (٢٣).

والإتيان بسورة تشببه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء ؛ نادى عليهم بإظهار العجز، وإعجاز القرآن، فقال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) (١). فهذا وهمُ الفصحاء اللدِّ، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نور القرآن الكريم، وإبطال وإخفاء أمره، وشعروا بضعفهم أمام فصاحة وبلاغة القرآن الكريم الذي لا يدانيه كلام بشريّ .

أخرج الحاكم عن ابن عباس قال جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكانه رِقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال له: يا عمّ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك ما لا يعطوكه، لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش إنني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا، ووالله، إنّ لقوله بالذي يقول والله إن له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ له لثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّ له ليعلو ولا يُعلو عليه، وإنّ له لِيُحطِّم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتّى تقول فيه. قال دعني حتّى أفكر، فلمّا فكّر، قال: هذا سحر يؤثر عن غيره (٢).

كانت حادثة الوليد بن المغيرة حجّة دامغة على فصحاء العرب، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحتجّ عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً، بسورة واحدة أو بآيات يسيرة، فكلّما ازداد تحدّياً لهم بها، وتقريباً لعجزهم عنها، تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً، لقد صدم القرآن الكريم فصحاء وبلغاء العرب، فركنوا إلى ترك معارضته خشية هزيمتهم المتوقعة أمام بيان القرآن العظيم.

قال عبد القاهر الجرجاني: فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية، وباهر الفضل، والعجيب من الوصف، حتى أعجز الخلق قاطبة، وحتّى قهر من البلغاء والفصحاء القوّى والقُدّر، وقيد الخواطر والفكر، حتى خرست الشقاشق (٣)، وعُدِم نطق الناطق، وحتّى لم يجر لسان ولم يُبين بيان، ولم يساعد إيمان، ولم ينقذح لأحد منهم زُنْد، ولم يمض له حدّ... (٤).

فلمّا ثبت كون القرآن معجزة نبيّنا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيراً، فبين محسن ومسيء، فزعم قوم أنّ التحديّ وقع بالكلام القديم، الذي هو صفة الذات، وأنّ العرب كلّفت في ذلك ما لا يطاق وبه وقع عجزها، وهم مردود، لأنّ ما لا

١- سورة الإسراء، الآية (٨٨) .

٢- الإتيان في علوم القرآن (٢ / ١١٧) .

٣- تقول: هدرت شقاشق الخطيب: كناية عن البلاغة ومواتاة الكلام له. وعكسه: خرست شقاشقه .

٤- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، المدخل في دلائل الإعجاز. ص (٤٨)، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى - ١٣٨٩هـ. م ١٩٦٩م. مكتبة القاهرة بشارع الصناديقية- بميدان الأزهر. بمصر.

يمكن الوقوف عليه لاي تصور التحديّ به. والصواب ما قاله الجمهور: أنه وقع بالدالّ على القديم، وهو الألفاظ. ثم زعم النّظام^(١) أنّ إعجازه بالصرفة، أي: أنّ الله صرف العرب عن معارضته، وسلّب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات، وهذا قول فاسد، بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(٢) فإنه يدلّ على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولوسلبوا القدرة لم تبق فائدة... فكيف يكون القرآن معجزاً وليس فيه صفة الإعجاز، بل المعجز هو الله تعالى حيث سلّبهم القدرة على الاتيان بمثله... وخلوّ القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة...^(٣).

قال القاضي أبو بكر الباقلائي^(٤): مما يبطل القول بالصرّفة، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنّما منع منها الصّرفة، لم يكن الكلام معجزاً، وإنّما يكون بالمنع معجزاً، فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه... وقال: ووجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنّه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم، ولهذا لم يُمكنهم معارضته^(٥).

والقرآن الكريم أمثلة اللغة الفصحى تضمن نظمها: الإيجاز، التشبيه، الإستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان... لقد جمع القرآن الذوق القرشيّ المرفه، والأسلوب العربي الرصين السلس، ومزج في أسلوبه الرائع بين اللفظ الفصيح والمعنى الموحى، في أحسن نظام للتأليف، مضمناً أصحّ العبارات، فكان أسلوبه جار وفق أساليب العرب في الأداء، والتعبير عن المعاني، فتميّز في كلّ جملة وآية، فأدهش الباب العرب قاطبة، ووقفوا حيارى أمام هذا التحديّ الكبير، فخرّت جباه الجبابرة أمام كلام الله، فهو كلام مقدّس، والمثل الأعلى لنظام اللغة العربيّة الفصحى.

والإسلام كان له أثر هام في اللغة العربيّة، فقد أثر مباشرة في المفردات وتطوّر معانيها، من المعنى اللغويّ البحت إلى معان اصطلاحية جديدة عرفها الفقه الإسلامي، والاستبقاء على المصطلح اللغويّ الأصلي، قال ابن فارس: فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونُسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضعها إلى مواضع آخر بزيادات زيدت، وشرائع شرّعت، وشرائط شرّطت...

١- كان كثير من المعتزلة يرون أنّ الإعجاز سببه الصّرفة، وينسب هذا المذهب إلى النّظام المعتزلي (٢٢٨هـ) انظر دلائل الإعجاز ص (٢٢).

٢- سورة الإسراء، الآية (٨٨).

٣- الإقتان في علوم القرآن ٢/ ١١٨.

٤- أبو بكر الباقلائي (ت ٤٠٢هـ) كتابه يسمّى: إعجاز القرآن

٥- انظر الإقتان في علوم القرآن، ٢/ ١١٨.

فكان ممّا جاء في الإسلام : ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأنّ العرب إنّما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان وهو التصديق، ثمّ زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً.

وكذلك الإسلام والمسلم، إنّما عرّفت منه إسلام الشيء، ثمّ جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والسّتر. فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاق اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: «فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ» إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأنّ الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه. وممّا جاء في الشرع: الصلاة، وأصله في لغتهم: الدعاء. وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة. وكذلك الصيام، أصله عندهم: الإمساك، ثم زادت الشريعة النيّة، وحظرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم... وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة والجهاد، وسائر أبواب الفقه. فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان لغويّ وشرعيّ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثمّ ما جاء الإسلام به... وسائر العلوم، كالنحو والعروض والشعر: كلّ ذلك له اسمان لغويّ وصناعيّ^(١).

ونقل السيوطي في معرفة الألفاظ الإسلامية، ما قاله أحمد بن فارس، وبين عددا من الأسماء والتراكيب التي كانت فزالت بزوال معانيها، مثل: المربع^(٢)، والنشيط^(٣)، والفضول^(٤)، والصفيّ^(٥) والإتاوة، والمكس، والحلوان، وقولهم: أنعم صباحاً، وأنعم ظلاماً، وقولهم للملك: أبيت اللعن، وقول المملوك لمالكه: ربّي، وتسمية من لم يحج: ضرورة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: لاصرورة في الإسلام. ومعناه: الذي يدع النكاح تبتلاً، أو الذي يحدث حدثاً، ويلجأ إلى الحرم، وقولهم: حجراً محجوراً، وكان هذا عند الحرمان، إذا سئل الإنسان، فيعلم السامع أنه يريد أن يحرمه. أو يقولها مثل الاستعانة، كأن يقولها الخائف، أي: حرام عليك التعرّض لي.

ومما ابتكره الإسلام من الألفاظ: الجوائز: العطايا، الواحدة جائزة. ولم يكن المحرم معروفاً في الجاهلية، وإنّما كان يقال له ولصفر الصفرين، وكان أول الصفرين من أشهر الحرم، وكانت العرب تسمي صفر الأول، وصفر الثاني^(٦).

هذه نماذج في أثر الإسلام باللغة العربيّة وتطوّرها ونموّها.

١- انظر الصحابي. باب الأسباب الإسلاميّة. ص (٨٦-٧٨).

٢- المربع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهليّة

٣- ما يأخذه الرئيس قبل أن يصل إلى يد قومه.

٤- الفاضل أو الباقي من الغنيمة بعد القسمة، فلا تستقيم قسمتها على الجيش لقلته وكثرة الجيش.

٥- ما يصطفيه الرئيس لنفسه من المغنم قبل القسمة مع الربع الذي له،

٦- انظر المزهر (٢٩٤ / ١) وما بعدها.

وقد أخذ التأليف في العصر العباسي مكانة مرموقة، وانتشرت المعارف والابتكارات في جمع اللغة، والمحافظة عليها، وظهرت المدارس النحوية لدراسة الظواهر اللغوية، فألفت المعاجم اللغوية والمعنوية، وكتب النحو وضمنه الصرف، والبلاغة، والعروض، وفقه اللغة وأسرارها، وعلم اللغة والأصوات والتجويد... فهضت الدراسات اللغوية العربية في وقت متقدم من التاريخ .

لغتنا الزاخرة

لغتنا العربية الفصحى أسمى اللغات، وأرقاها في الأسلوب، ودقة التعبير، أصلها ضارب في عمق فجر الإنسانية، لغتنا ورثناها كابراً عن كابر، لغة عالية المناقب، شامخة على المنابر، زكية الأصول والفروع، ساحرة القلوب والأفئدة، شريفة المقام .

قال أحمد بن فارس: (زخر) الزاء والخاء والراء أصل صحيح، يدل على ارتفاع، يقال: زخر البحر، إذا طما، وهو زاخر . وزخر النبات، إذا طال . ويقال: أخذ المكان زخارياً، وذلك إذا نما النبات وأخرج زهره^(١) .

وقال الأزهري: قال أبو عمرو: الزاخر: الشرف العالي... وقال أبو تراب: سمعت مبتكراً يقول: زَاخَرْتُهُ فزَخَرْتُهُ، وفاخَرْتُهُ ففَخَرْتُهُ... وقال الأصمعي: فخر بما عنده، وزَخَرَ: بمعنى واحد^(٢) .

فمادة (زَخَرَ) عند العرب تدل على معانٍ وجبهة حول العلو والارتفاع والشرف والفخر، وفي مجموع معاني هذه الألفاظ ندرك معنى العنوان (لغتنا الزاخرة) بأنها اللغة الشريفة التي تلو ويُفَتَخَرُّ بها . وكان ابن خالويه في شرح الدرديديّ سَمَى اللغة العربية باللغة الشريفة^(٣) .

ويكفي اللغة العربية أن الله عز وجل زينها بنزول القرآن الكريم بهذه اللغة الشريفة التي تستطيع أن تتحمل معاني القرآن الكريم الرائعة، وما فيها من أساليب متنوعة: ﴿ عَلَيْنَا إِنَّهُ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ . فوصفه الله جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان .

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾^(٥) فقدم جل ثناؤه ذكر البيان

١- معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . (زخر) (٥٠/٢) تحقيق عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية. ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، مطبعة البابي الحلبي بمصر .

٢- تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، (زخر) (٧/٢٠٢) سلسلة تراثنا، الدار المصرية للتأليف والترجمة. الطبعة الأولى. تحقيق جماعة من اللغويين. وانظر مادة (زخر) (٥/٤٠٨) لسان العرب، لابن منظور، سلسلة تراثنا، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٣- انظر المزهري (١/٢١٣) .

٤- سورة الشعراء، الآيات (١٩٢ - ١٩٥) .

٥- سورة الرحمن، الأيتان (٤-٣) .

على جميع ما توحد بخلقه وتفرّد بإنشائه... فلما خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان عليم أنّ سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه .

وكان أحمد بن فارس قد عقد باباً سمّاه: القول في أنّ لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، ومما قال فيه أيضاً : فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربيّ، لأنّ كلّ من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن .

قيل له: إن كنت تريد أنّ المتكلّم بغير اللغة العربيّة قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أحسن مراتب البيان، لأنّ الأبيكم قد يدلّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثمّ لا يسمّى متكلّماً، فضلاً عن أن يسمّى بيّناً أو بليغاً .

وإن أردت أنّ سائر اللغات تُبيّنُ إبانة اللغة العربيّة فهذا غلط، لأنّا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسيّة لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربيّة صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين ذلك من ذلك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لاخفاء به على ذي نهية^(١) .

وحين ذكر ابن قتيبة ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن، قال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانيّة إلى الحبشيّة والروميّة، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عزّ وجلّ بالعربيّة، لأنّ العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب^(٢) .

ألا ترى أنّك لو أردت أن تنقل قوله جلّ ثناؤه: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾^(٣) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدّية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقصاً فأعلمهم أنّك قد نقضت ما شرطته لهم وأذنبهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء^(٤) .

ولو سألنا مثلاً: هل يوجد في سنن العرب ونظمها ما يجري هذا المجرى ؟

أجبنا: إنّ كلام الله جلّ ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهاى أو يقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العليّ الأعلى، خالق كلّ لغة ولسان، لكن الشعراء قد يومنون إيماءً ويأتون

١- الصاحبي، صفحة (١٧) .

٢- أنظر تأويل مشكل القرآن، صفحة (١٦) .

٣- سورة الأنفال، الآية (٥٨) .

٤- الصاحبي، صفحة (١٧) .

بالكلام الذي لو أراد مُريد نقله لاعتاص^(١) وما أمكن إلا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ^(٢).
 فاللغة العربيّة التي شرفها الله عزّ وجلّ بنزول القرآن الكريم بألفاظها وأساليبها، فخرت
 بنفسها على كل اللغات، إذ احتملت الاعجاز البياني والمعاني لكلام الله عزّ وجلّ، فقد تميّزت
 اللغة العربيّة بتنوع أساليبها البيانيّة، وتراكيبها النحويّة، واتسعت للصور التي لم يتكلّم بها العرب
 سابقاً، وتحدّث بها القرآن الكريم، بشكل جديد ممتع للأعرابيّ الذي كان يفخر بأنه فصيح
 وتربّي ونشأ في مركز الفصاحة والبيان، بيّن قريش وبني سعد وتميم وغيرهم ...

وحكى علماء اللغة أنّ توقيف اللغات في الابتداء وقع على لغة واحدة، وما سواها من اللغات
 وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من الله تعالى في أولاد نوح حين تفرقوا في أقطار الأرض ...
 وقال أهل التحقيق من العلماء: لا بدّ من التوقيف في أصل اللغة الواحدة؛ لاستحالة وقوع الاصطلاح
 على أوّل اللغات من غير معرفة من المصطلحين بعين ما اصطالحوا عليه؛ وإذا حصل التوقيف
 على لغة واحدة جاز أن يكون ما بعدها من اللغات اصطلاحاً، وأن يكون توقيفاً؛ ولا يُفطع بأحدهما
 إلا بدليل، وقالوا: واختلفوا في لغة العرب؛ فمن زعم أنّ اللغات كلّها اصطلاحٌ فكذا قوله في لغة
 العرب، ومن قال بالتوقيف على اللغة الأولى، وأجاز الاصطلاح فيما سواها من اللغات اختلفوا في
 لغة العرب؛ فمنهم من قال: هي أوّل اللغات، وكلّ لغة سواها حدثت بعدها إمّا توقيفاً أو اصطلاحاً،
 واستدلّوا بأنّ القرآن كلام الله وهو عربيّ، وهو دليل على أنّ لغة العرب أسبق اللغات وجوداً^(٣).

وقال عبد الملك بن حبيب: كان اللسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنّة عربيّاً، إلى أنّ بعد
 العهد وطال، حرّف وصار سُريانيّاً، وهو منسوب إلى أرض سُورى -كطوبى، موضع في العراق- أو
 سوريانه، وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق. قال: وكان يشاكل
 اللسان العربي، إلا أنّه محرّف، وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح، إلا رجلاً واحداً يقال له
 جرهم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل؛ فلما خرجوا من السفينة تزوّج إرم بن سام بعض بناته؛
 فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوّص أبي عاد وعبيل، وجاثر أبي ثمود وجديس، وسمّيت عادٌ
 باسم جرهم؛ لأنه كان جدّهم من الأمّ، وبقي اللسان السريانيّ في ولد أرفخشذ بن سام، إلى أن
 وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريّته وكان باليمن؛ فنزل هناك بنو إسماعيل؛ فتعلّم منهم بنو
 قحطان اللسان العربيّ^(٤).

أمّا إسماعيل فإنّه غير عربيّ، ولسانه في الأساس غير العربيّة، إلا أنّ لسانه فتقّ بالعربيّة
 إلهاماً ليتناسب مع وجوده في أرض العرب، واللسان العربي.

١- اعتاص الأمر: اشدت واختلط عليه ولم يهتد إلى الصواب .

٢- الصاحبي، صفحة (١٨) .

٣- المزهر، (٢٨-٢٧/١) .

٤- نفس المصدر (١/٣٠-٣١) .

أخرج الحاكم في المستدرک وصحَّحه، والبيهقي في شعب الإيمان من طريق سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١)، ثم قال: ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً .

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه - البداية والنهاية - قيل أن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل هم: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وجُرهم، والعماليق، وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله، كانوا قبل الخليل عليه السلام، وفي زمانه أيضاً . فأما العرب المستعربة، وهم عرب الحجاز، فمن ذرية إسماعيل عليه السلام، وأما عرب اليمن وحمير فالمشهور أنهم من قحطان^(٢).

فلغة العرب نوعان :

أحدهما: لغة حمير، وهي التي تكلموا بها من عهد هود ومن قبله. ولغة العرب العاربة. الثانية: العربية المحضة التي نزل بها القرآن، وأول من أنطق لسانه بها إسماعيل؛ فعلى هذا القول يكون توقيف إسماعيل على العربية المحضة يحتمل أمرين: إما أن يكون اصطلاحاً بينه وبين جرهم النازلين عليه بمكة، وإما أن يكون توقيفاً من الله تعالى وهو الصواب. وهذا ما يراه الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين من المفسرين^(٣).

وقال الشيرازي في كتاب الألقاب: أخبرنا أحمد بن سعيد المعداني: أنبأنا محمد بن أحمد ابن إسحاق الماسي، حدثنا محمد بن جابر، حدثنا أبو يوسف يعقوب بن السكت، قال: حدثني الأثرم عن أبي عبيدة، حدثنا مسمع بن عبد الملك، عن محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول من فتق لسانه بالعربية المتينة إسماعيل عليه السلام، وهو ابن أربع عشرة سنة، فقال له يونس: صدقت يا أبا سيار؛ هكذا حدثني به أبو جزي^(٤).

وصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرشي وتربى في بنى سعد الفصحاء ليأخذ عنهم اللغة، إلا أن لغة مثل اللغة العربية لغة القرآن الكريم والبيان والسحر اللغوي، كان ذلك في الصغر ومع الناس وفصحائهم كاف، فلما بعث نبياً أوحيت إليه اللغة العربية المتينة ليكون أفصح العرب، ولهذا كان يقول: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)، وقد ذكرت العديد من الآثار التي تبين أن اللغة العربية الفصيحة المتينة ألهمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها: قال أبو أحمد الفطريف في جرته: حدثنا أبو بكر ابن محمد بن أبي شيبة ببغداد: أخبرنا أبو الفضل حاتم بن الليث

١- سورة فصلت، الآية (٣)

٢- المزمهر (١/ ٣٢) .

٣- انظر المزمهر (١/ ٢٨) .

٤- المزمهر (١/ ٣٤) .

الجوهري، حدّثنا حمّاد بن أبي حمزة اليشكري، حدّثنا علي بن الحسين بن واقد، نبأنا أبي عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه، عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: يا رسول الله؛ ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: كانت لغة إسماعيل قد درّست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظنيها، فحفظتها. أخرجه ابن عساكر في تاريخه^(١).

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مُثِّلَتْ لي أمّتي في الماء والطين، وعُلِّمَتِ الأسماء كلّها، كما علّم آدم الأسماء كلّها^(٢).

وقد انتشر بين علماء المسلمين أنّ اللغة العربيّة لغة يوم القيامة ولغة أهل الجنة، وقد استندوا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه الطبراني في المعجمين الأوسط والكبير والبيهقي والحاكم وابن أبي شيبة: «أحبّوا العرب لثلاث: لأنّي عربيّ، والقرآن عربي، ولغة أهل الجنّة العربيّة»^(٣). وذكر الطبرسي في مجمع البيان الحديث مروياً عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية الثانية من سورة يوسف^(٤).

وقال محمد باقر عن اللغة العربيّة: هي لغة عدد من الأنبياء العظام السابقين -عليهم السلام- وقد كانوا يتكلّمون بها، ولقد جاء في بعض الروايات أن خمسة من أنبياء العرب: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمّد -عليهم السلام-، وأنّ لغة النبي آدم -عليه السلام- حينما كان في الجنّة كانت العربيّة، حيث أنّها لغة أهل الجنّة^(٥).

وقد تتبعت صحة الحديث لأقف على حقيقة المسألة فتبين لي ما يلي: أن هذا الحديث حكم عليه ابن الجوزي بالوضع. وقال الذهبي: أظن الحديث موضوعاً، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦٠ و١٦١) موضوع. وقال الحافظ السلفي: هذا حديث حسن، فعلق عليه شيخ الإسلام: فما أدري أراد حسن إسناده على طريقة المحدثين، أو حسن متنه على الاصطلاح العام. وقال ابن تيميّة: لا يُعلم بأيّ لغة يتكلّم الناس يومئذ. وذكر أبو الفرج بن الجوزي الحديث في الموضوعات. وقال الثعلبي: لا أصل له^(٦).

والحاصل أنّه لم يرد دليل صحيح يبيّن اللغة التي يتكلّم بها أهل الجنّة، وما هو مشاع في كتب علماء المسلمين أنّ لغة أهل الجنّة هي اللغة العربيّة ليس له دليل صحيح.

واللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني،

١- المزمهر (١/ ٣٤).

٢- المزمهر (١/ ٣٥).

٣- شبكة الفتاوى الشرعيّة.

٤- انظر مركز الإشعاع الإسلامي، إجابة الشيخ صالح الكرباسي

٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمّة الأطهار (١١/ ٥٦) الشيخ محمّد باقر المجلسي - ط. مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ.

٦- انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٨) و موقع نحن العرب. وموقع الألوكة، المجلس العلمي.

وجودتها وقصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصانها^(١)، أما كيف تأخذ اللغة عادة؟ وممن أخذت اللغة العربية الشريفة؟ وهل وضع علماء اللغة العربية شروطاً عمّن تأخذ اللغة العربية لصيانتها؟ ففى القرن الثانى والثالث والرابع قام علماء اللغة بهمة يجمعون اللغة العربية الفصيحة والرديئة أو المذمومة والغريبة، وكان لهم فى ذلك رأى فى جمع كل ما يسمعونه من اللغة، فأخذوا عن الفصحاء والبلغاء والشعراء والصبيان والمجانين، وضبطت اللغة العربية الشريفة فى مصنّفات المعاجم اللغوية والمعنوية وغريب اللغة ودواوينها والرسائل والكتب المتخصصة، فوصلت إلينا لغتنا ذاخرة لا يحيط بها إلا نبي . موصّفة بالفصيحة والصحيحة والمرذولة، فأبو منصور الأزهرى صاحب كتاب تهذيب اللغة، كان ينقل عن الأعراب مباشرة، وكان يذكر اسم الأعرابي الذى ينقل عنه اللغة، ويبيد رأيه فى هذه اللغة ومقدار صحتها، وكان متشدداً فى أخذه للغة وتوصيفها. أما أبو نصر الجوهري صاحب معجم تاج اللغة وصحاح العربية، فقد كان لا يأخذ إلا ما صحّ عنده فيثبته فى معجمه . وكان كلّ لغوي يقصد من جمعه للغة مقصداً معيناً.

وأثبت فى هذه الفقرة ما التزم به - من الصحيح مقتصر على - الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري فى خطبة كتاب الصحاح، قال: قد أودعتُ هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التى شرف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه... بعد تحصيلها فى العراق رواية، وإتقانها دراية، ومُشافهتي العرب العاربة فى ديارهم بالبادية. ولم أُل فى ذلك نصحاً، ولا ادخرت وسعاً^(٢).

ويلاحظ فى هذه المقدمة أن الجوهريّ كان حريصاً على وصف اللغة العربية بأنّ الله شرف منزلتها، ويقصد بذلك نزول القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى باللغة العربية .

وحرص علماء اللغة لذلك أشدّ الحرص على ذكر اللغات المذمومة، مثل: العنعنة التى تذكر عن تميم، فكانوا يقبلون الهمزة فى كلامهم عيناً. والكشكشة التى فى لغة أسد، فكانوا يبدلون الكاف شيئاً، وبعضهم يصل بالكاف شيئاً. وكذلك الكسكسة التى فى ربيعة فيصلوا بالكاف شيئاً. وحروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطروا إليها حوّلوا عند التكلم بها إلى أقرب الحروف مخرجاً، فمن تلك الحروف الحرف الذى بين الباء والفاء، مثل (بُور) إذا اضطروا، قالوا: فور. وبنو تميم يلحقون القاف باللهة حتى تغلظ جداً، فيقولون (القوم) فيكون بين الكاف والقاف. وكذلك الباء التى تجعل جيماً فى النسب، يقولون (غلامج) أى (غلامي). وكذلك الباء المشدّدة تحوّل جيماً فى النسب^(٣)، وهكذا... فقد ذكر علماء اللغة اللغات المذمومة والرديئة

١- مقدّمة ابن خلدون (٦٤٨) .

٢- معجم تاج اللغة وصحاح اللغة العربية - المقدّمة - (١ / ٣٧) تحقيق: إميل يعقوب ومحمّد طريفي - دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان . وانظر المزهري (٩٧/١) .

٣- انظر الصحابي، صفحة (٣٥-٤٠) والمزهري (٢٢١/١) .

والقبيحة، كما ذكروا اللغة الفصيحة المتينة، حكاية للغة كاملة، واستبقاءً لها على مرّ العصور .
وقد تكلم علماء اللغة في معرفة من تُقبَل روايته ومن ترد ، فقال ابن فارس: تؤخذ سماعاً من
الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُنقى المظنون . وكان ينصح أخذ اللغة وغيرها من العلوم أن
يتحرى أخذها من أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة^(١) .

وتوسّع علماء اللغة في وضع مثل هذه الشروط، فقال ابن الأنباري في لُمع الأدلة -في أصول
النحو-: يُشترط أن يكون ناقل اللغة عدلاً، رجلاً أو امرأة، حرّاً كان أو عبداً، كما يشترط في نقل
الحديث، لأنّ بها معرفة تفسيره وتأويله، فاشترط في نقلها ما اشترط في نقله، وإن لم تكن
في الفضيلة من شكله، فإن كان ناقل اللغة فاسقاً لم يقبل نقله . . . ويقبل نقل العدل الواحد،
ولا يشترط أن يوافق غيرهِ في النقل^(٢) .

واللغة العربيّة وسعت الفصحى واللهجات والمعرب والمصنوع والمولّد، أمّا المولّد: هو ما
أحدثه المولّدون الذين لا يُحتجّ بألفاظهم، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يُورده صاحبه
على أنه عربيّ فصيح، وهو بخلافه . فالمولّد من الكلام : المحدث . وقال الفارابي -في ديوان
الأدب - هذه عربيّة، وهذه مولّدة . ومن أمثلته: قال ابن دريد في الجمهرة: كان الأصمعيّ يقول:
النَّحْرِير^(٣): ليس من كلام العرب وهي كلمة مولّدة . وقال: الخُمّ: القوصرة يُجعل فيها التبن
لتبيض فيها الدجاجة، وهي مولّدة . وقال الجوهري -في الصحاح-: أهون الصمم، يقال هو مولّد .
والماش: حبّ وهو معربّ أو مولّد . وقال البغدادي -في ذيل الفصيح- : الفِطْرَة لفظ مولّد، وكلام
العرب صدقة الفطر، مع أن القياس لا يدفعه . . . وقال: أجمع أهل اللغة على أنّ التشويش لا أصل
له في العربيّة، وأنه مولّد، وخطّوا الليث فيه، وقولهم: سَتِيّ: بمعنى سيّدتي مولّد ، ولا يقال: سَتَّ إلا
في العدد . وقال ابن الأنباري -في شرح المقامات- : قيل : الطُفَيْليّ: لغة محدثة لا توجد في العتيق
من كلام العرب، كان رجل بالكوفة يقال له: طُفَيْل، يأتي الولاثم من غير أن يُدعى إليها فنسب
إليه^(٤) . . . وفي ذلك بحر من الكلام المولد والمحدث والمصنوع، وهذا مثل فقط .

وبعد هذه الجولة القيّمة في ربوع العربيّة يجدر بنا أن نلقي الضوء على كتاب (اللغة العربيّة
أصل اللغات) فإنّ مؤلّف الكتاب عبد الرحمن أحمد البوريني يرى أن اللغة إلهام من الله تعالى
علّمها لآدم وأنّ اللغة التي تعلّمها آدم من ربّه جلّ وعلا هي لغة أهل الأرض الأولى، فقد كانت لغة
آدم، ولغة أبنائه وأحفاده الذين تشكّل منهم المجتمع البشري الأوّل .

١- انظر الصحابي، صفحة (٤٨) .

٢- المزهر (١/١٣٨) .

٣- النحرير: الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكلّ شيء

٤- انظر المزهر (١/ ٣٠٤) وما بعدها .

ولمّا كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم -وهي القرآن- بيانيّة في المقام الأوّل، إذ جاء كلام الله تعالى بألفاظ عربيّة في صورة آيات باهرة، متحدّية الإنس والجنّ إلى قيام الساعة أن يأتي بمثلها، فقد حازت العربيّة الشرف ذاته الذي حازته لغة آدم من الله سبحانه وتعالى، وخرجت كلتاهما من النبع ذاته، ويقول: وهذا ما حملني على القول بأنّ اللغة العربيّة هي لغة آدم وأصل اللغات جميعاً^(١).

ولهذا يرى أنّ التفاهم بواسطة اللغة كان بلغة واحدة، وللأرض لغة واحدة هي العربيّة وما عداها لهجات منبثقة منها، وعندما يبتعد قوم بلهجتهم عن اللغة الأصل تكتسب تلك اللهجة مع مرور الزمن الشخصية الاعتباريّة كلفة^(٢).

لغتنا الذائخة

سأل أحمد بن فارس سؤالاً افتراضياً: هل يجوز أن يحاط باللغة العربيّة؟ فأجاب: «كلام العرب لا يحيط به إلا نبيّ» ونسبه إلى بعض الفقهاء دون ذكر اسمه، وقال وهذا كلام حريّ أن يكون صحيحاً. وما بلغنا أنّ أحداً ممن مضى ادّعى حفظ اللغة كلّها^(٣).

والذي نقله أحمد بن فارس عن بعض الفقهاء ولم يذكرهم نصّ عليه الإمام الشافعيّ -رضي الله عنه- فقال: لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها أفاضاً، ولا نعلم أن يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ؛ ولكنّه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء^(٤).

وعقد ابن فارس باباً بعنوان: باب القول على أنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، وأنّ كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله. قال فيه: ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أنّ الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقلّ... ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير وكلام كثير^(٥).

وكلام علماء اللغة في هذا الباب يحكي ضخامة الإرث الأدبي واللغوي للعربيّة، فمنذ فجر التاريخ للأمة العربيّة كان يتكون معها أدبها الذي ضاع واندثر معظمه قبل فترة تدوين الحضارة العربيّة، وبقي من الشعر والنثر وأحاديث الحكماء والعقلاء والأدباء والخطباء والبدو وغيرهم معقلته بالنسبة لما اندثر وضاع عبر القرون والتاريخ السحيق، كان مفعرة لأدب العربيّة وحضارتها

١- انظر اللغة العربيّة أصل اللغات، صفحة (٩)، تأليف عبد الرحمن البوريني، دار الحسن للنشر والتوزيع، الأردن - عمّان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٢- انظر المصدر السابق، صفحة (١٠).

٣- الصاحبي، صفحة (٢٦).

٤- الرسالة، للإمام الشافعي، صفحة (٤٢) طبعة مصطفى البابي الحلبي - بمصر - ١٣٥٧هـ.

٥- المزهر (٢٧/١).

اللغويّة، فإن ما وصل إلينا من آداب العربيّة لا يتعدّى مائة وخمسين سنة قبل البعثة النبوّية الشريفة، وكما قال علماء اللغة: وضاع منه الكثير. وهذا الأدب الجَمّ الذي وصلنا هو ما ادخرته الحضارة العربيّة على تنوّع علومه وفنونه على مرّ العصور.

قال أبو منصور الأزهري: قال الليث: تقول: ذَخَرْتُ الشيءَ أَذْخَرُهُ ذُخْرًا، وَأَذْخَرْتُهُ أَذْخَارًا... وقال الزجاج - في قوله جَلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا تَدَخَّرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾^(١) - أصله: تَدَخَّرُونَ، لأنّ الذال حرف مجهور لا يُمكن النفس أن يجري معه، لشدّة اعتماده في مكانه، والتاء مهموسة فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها - وهو الدال - فصار: تَدَدَخَّرُونَ، ثمّ أَدْعَمَتِ الذال في الدال فصار: تَدَخَّرُونَ. والأصل أن يدغم الأوّل في الثاني. قال: ومن العرب من يقول: «تَدَخَّرُونَ» بذال مشدّدة، وهو جائز.. والأوّل أكثر (تَدَخَّرُونَ)^(٢). والذخيرة واحدة الذخائر وهي ما أُدْخِرَ.. وكذلك الدُخْر، والجمع أَدْخَار، وَذَخَرَ لِنَفْسِهِ حَدِيثًا حَسَنًا أَبْقَاهُ، وهو مثل بذلك^(٣). و(ذَخَرَ) الشّيءَ - ذَخَرًا، وَذُخْرًا: خَبَأَهُ لَوْقَتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ... و(الذَّخِرُ): السمين^(٤).

فمادة (ذَخَرَ) في أصل معناها تدلّ على إبقاء الشيء الحسن وأدخاره والمحافظة عليه لأهمّيته في مكان آمن، دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدَخَّرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾. فالذخائر: كلُّ ما يُؤَثَّرُ في الحضارة العربيّة أو يُدْخَرُ لِنَفْسِهِ، من المفردات والكلمات والحكم والخطب والمقالات والموضوعات القيّمة من شعر ونثر وغيرها، على تنوّع علوم العربيّة وما يتعلق بها.

وذخيرة العربيّة النفيسة لا تدانيها الآداب القديمة والحديثة الأخرى، إذ يدخل ضمنها العديد من التراث الديني - القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما يتعلق بهما من علوم - وسائر كتب اللغة والأدب - الشعر والنثر - والتاريخ وعلوم البلاغة والنحو والصرف والعروض وفقه اللغة العربيّة والأصوات اللغويّة وموسوعات الثقافة العربيّة والإسلاميّة والفكريّة في ألوانها المتعدّدة... وغير ذلك.

وقد تخيل علماء اللغة العربيّة اتساع موادها اللغويّة، وعملوا على استقصاء كلام العرب مما تكلموا به أو رَغِبُوا عنه مما يأتلف أو لا يأتلف، وذكر السيوطي طريقة معرفة عدد أبنيتها وجذور موادها اللغويّة، مما يستبين لنا المجهود الهائل الذي عاناه علماء اللغة العربيّة في هذا المجال، فكلّ بناء ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي تحصى تقلباته وتضرب بعدد الأحرف الهجائية للغة

١ - سورة آل عمران، (٤٩).

٢ - تهذيب اللغة (ذخر) (٢٢١/٧) الدار المصريّة للتأليف والترجمة - سلسلة: تراثا.

٣ - لسان العرب (ذخر) (٢٨٩/٥) صورة عن طبعة بولاق. الدار المصريّة للتأليف والترجمة.

٤ - المعجم الوسيط (ذخر) (٣٠٩/١). الطبعة الثانية. مجمع اللغة العربيّة.

العربية، فيخرج معنا عدد أبنية الثنائي الصحيح والمعتل والمهموز والمضعف، ثم يتجه إلى الثلاثي والرباعي والخماسي، فيستخرج منها الأبنية والمواد المحتملة، وقد عدّها تفصيلاً، وفي النهاية ذكر العدد المحتمل، فقال: ذكر حمزة الأصبهاني في كتابه الموازنة فيما نقله عنه المؤرّخون، قال: ذكر الخليل في كتاب «العين» أنّ مبلغ عدد أبنية كلام العرب المُستعمل والمُهمل على مراتبها الأربع، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار، اثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة وأثنا عشر. ثم يذكر عدد أبنية كل نوع. وقيل بأن العدد أقلّ من ذلك^(١).

وهذا يفسّر ما نقله العلماء عن الشافعي في اتساع اللسان العربي، كما حرص الأزهري -الذي افتخر وزها بكتابه التهذيب كثيراً- أن ينقل هذا الكلام ويثبته في التهذيب، وزاد على ذلك ما قاله الشافعي: وإن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصل إلى معرفة ما في الكتاب والسّنن والآثار، وأقوال المفسّرين من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية، فإنّ من جهل سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها، جهل جُمّل علم الكتاب، ومن علمها ووقف على مذاهبها، وفهم ما تأوّل أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبهة الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع^(٢).

والذي ينظر في كتاب تهذيب اللغة^(٣) وهو موسوعة لغويّة ضخمة نُقلت مشافهة عن لسان العرب الفصحاء الخُصّص، عامتهم من هوازن واختلط بهم أصرامٌ من تميم وأسد، ووثيقة صحيحة للغة العربية، وأحد أهمّ المراجع لمعجم لسان العرب، لم يدع الأزهري أنه استطاع استقصاء كلام العرب برمتّه، وإنما كان واقعياً، فقال: وكتابي هذا، وإن لم يكن جامعاً لمعاني التنزيل وألفاظ السنن كلّها، فإنّه يجوز جملاً من فوائدها، ونكتاً من غريبها ومعانيها^(٤).

ونقل اللغوي التحرير أحمد بن فارس -في: باب القول على أنّ لغة العرب، هل يجوز أن يحاط بها- قول الإمام الشافعي: «كلام العرب لا يُحيط به إلا نبيّ». وعلّق على ذلك بقوله: وهذا حريّ أن يكون صحيحاً. وما بلغنا أن أحداً ممن ادّعى حفظ اللغة كلّها.

فأمّا الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قوله: «هذا آخر كلام العرب» فقد كان الخليل أَوْرَعُ وأتقى لله جلّ ثناؤه من أن يقول ذلك^(٥). وأثبت عدّة أقوال في أدبه وزهده وتقواه.

١- انظر المزهري (١/ ٧٢-٧٣-٧٤).

٢- تهذيب اللغة - المقدّمة - (١/ ٥).

٣- بلغ عدد أجزاء معجم تهذيب اللغة خمسة عشر جزءاً، بحسب طبعة الدار المصريّة للتأليف والترجمة

٤- انظر تهذيب اللغة - المقدّمة - (١/ ٥).

٥- الصحابي في فقه اللغة، صفحة (٢٦). وانظر المزهري (١/ ٦٤).

وإذا كان اللغوي الفذ يأخذ اللغة العربيّة من أفواه الفصحاء، فإنّه كان يفتخر بهذا العمل، ومن هؤلاء البدو: أبو ثروات العكلي، وأبو الجراح العقيلي، وأبو حزام العكلي، وأمّ الحمارس البكريّة، وأبو شنبل الأعرابي، وأبو صاعد الكلابي، وأبو الغمر العقيلي، وغنيّة الكلابيّة، وقريبة الأسديّة، وأبو مرّة الكلابي، وأبو مهدي الباهلي، وأبو مهديّة الكلابي^(١)... وغيرهم جمع من البدو ذكروا في المعاجم اللغوية التي استقى مادتها علماء اللغة العربيّة .

وكان علماء البصرة يفتخرون على الكوفيين بأنهم أخذوا اللغة من أهل المدر، وأن الكوفيين أخذوها من أهل الحضرة، وروى السيوطي عن الأندلسيّ في شرح المفصل، أنّ «الكوفيين لو سمعوا بيتاً واحداً، فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلاً، ويؤبوا عليه، بخلاف البصريين» ويروي عنه أيضاً أنّه قال: «ومما افتخر به البصريون على الكوفيين، أن قالوا: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز، وباعة الكوامخ»^(٢).

وقد كان اللغويون يقصدون الصحراء ومضارب البدو في أرجاء الجزيرة العربيّة، يعيشون مع البدو ويسألونهم عن لغاتهم ولهجاتهم، ويدونون ما يسمعون، وقد سأل الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩هـ) الخليل بن أحمد قائلاً: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي إلى البادية، ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قتيبة حبر، في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ^(٣).

وكان عصر جمع اللغة العربيّة من مظانها في القرن الثاني الهجري على مسؤولية كبار علماء اللغة إلى نهاية القرن الرابع، أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي -المتوفى سنة ١٧٥هـ-^(٤) وكان أوّل من صنّف في جمع اللغة، ألف كتاب العين المشهور؛ قال الإمام فخر الدين في المحصول: «أصل الكتب المصنّفة في اللغة كتاب العين»... وقال السيرافي -في ترجمة الخليل-: عمل أوّل كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة^(٥).

وكان من جلساء الخليل^(٦) اللغوي المشهور عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي، وكان من أوثق الناس في اللغة، وأسرع الناس جواباً، وأحضر الناس ذهنًا، وتوفّي سنة ستّ عشرة ومائتين؛ وهو ابن إحدى وتسعين سنة^(٧). وله الرسائل اللغويّة الحسان التالية: الإبل، الخيل،

١- الفهرست، لابن النديم - القاهرة ١٢٤٨هـ - صفحة (١٦) .

٢- الإقتراح في علم أصول النحو، لجلال الدين السيوطي، - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٩هـ - صفحة (٨٤) .

٣- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي - طبعة الخانجي بالقاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م - (١١ / ٤٠٤)

٤- انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين، صفحة (٤٧) لأبي بكر الزبيدي، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م

٥- المزهري (١ / ٧٦) .

٦- انظر طبقات النحويين واللغويين، صفحة (٥٠) عند ترجمة الخليل بن أحمد

٧- ترجمته في المرجع السابق صفحة (١٦٧) .

الشاء، الوحوش، الفرق، خلق الإنسان، النبات والشجر^(١).

وممن جمع اللغة وامتلات الموسوعات اللغوية والأدبية برواياته محمد بن زياد أبو عبد الله المشهور بابن الأعرابي، قال الجاحظ: كان نحوياً عالماً باللغة والشعر، ناسباً كثير السماع من المفضل بن محمد الضبي... وقال ثعلب: شاهدت ابن الأعرابي، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجب من غير كتاب. قال: ولزمته بضع عشرة سنة، ما رأيت بيده كتاباً قط، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر واللغة كان أغزر منه.

وله من الكتب: النوادر، الأنواء، صفة المجل، صفة الدرع، الخيل، مدح القبائل، معاني الشعر، تفسير الأمثال، النبات، الألفاظ، نسب الخيل، نوادر الزبيريين، نوادر بني فقعس، النبت والبقل. ولد سنة خمسين ومائة، ومات سنة ثلاثين ومائتين^(٢).

وممن اشتهر في عصر جمع اللغة العربية: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي اللغوي الشافعي، المشهور بابن دريد، مؤلف كتاب جمهرة اللغة، ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وقرأ على علمائها، حتى صار رأس أهل هذا العلم، وروى عنه خلق كثير، منهم: أبو سعيد السيرافي، والمُرزباني، وأبو الفرج الأصبهاني، وله شعر كثير، وروى من أخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم^(٣).

قال أبو الطيب اللغوي عن ابن دريد: هو الذي انتهت إليه لغة البصريين وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علماً، وأقدرهم على الشعر، وما أزدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامها في صدر خلف الأحمر وابن دريد، وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة^(٤).

وللأزهري في ابن دريد رأي، فقد التقاه الأزهري - بعد أن فك أسر، حيث أسر سنة ٢١٢ هـ - وقد بلغ ابن دريد نيِّفاً وتسعين سنة، فوهنه ولم يؤتقه، ورماه بافتعال العربية، وتوليد الصيغ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم...^(٥)، ولكن السيوطي له رأي آخر في ابن دريد، فقال: «قلت: معاذ الله هو بريء مما رمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريره في روايته»^(٦)، ولعل ما قاله الأزهري - في ابن دريد - مصانعه لأستاذه نفطويه، وقيل: في هذا الوقت كان ابن دريد قد بلغ العجز، والإعاقة الفكرية.

١- انظر فصول في فقه العربية، صفحة (٢٠٤) د. رمضان عبد التواب، دار التراث، ط. أولى القاهرة ١٩٧٢.

٢- بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، (١٠٥/١) للسيوطي، ط. أولى. عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٣- المرجع السابق (٧٦/١).

٤- مراتب النحويين، أبي الطيب اللغوي، صفحة (٨٤) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة نهضة مصر، سنة ١٩٥٤ م.

٥- أنظر تهذيب اللغة، المقدمة (٢١/١).

٦- المزهر (٩٣/١).

وقد ألف ابن دُرَيْدٍ كتباً جيّدة وهي مصادر للغة العربيّة وآدابها، أهمّها: ١- الموسوعة اللغويّة الفريدة في تنظيمها: كتاب جمهرة اللغة، ٢- السرج واللجام، ٣- كتاب الإشتقاق، ٤- كتاب الملاحن، ٥- كتاب صفة السحاب والغيث والرواد، ٦- كتاب المقتبس، ٧- كتاب الوشاح على نهج، ٨- كتاب المحبّر لابن حبيب، ٩- كتاب الخيل الكبير، ١٠- كتاب الخيل الصغير، ١١- كتاب الأنواء، ١٢- كتاب المجتبى، ١٣- كتاب المقتنى، ١٤- كتاب الأمالي، ١٥- كتاب المقصور والممدود، ١٦- كتاب السلاح، ١٧- كتاب غريب القرآن- (لم يتم)، ١٨- كتاب فعلت وأفعلت، ١٩- كتاب أدب الكتاب- لم يجرده من المسوّدة، ٢٠- كتاب اللغات- ذكر في الجمهرة، ٢١- كتاب ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً- جمعه علي بن إسماعيل بن حرب عنه، ٢٢- كتاب تقويم اللسان- لعله كتاب أدب الكتاب، ٢٣- كتاب الأنباذ- ذكره في الجمهرة، ٢٤- كتاب المتناهي في اللغة، ذكره القالي، ٢٥- كتاب النوادر، ولعل الصواب أنّه لأبي زيد^(١).

وشعره كثير، ومن معروف شعره (المقصورة) التي تغلغت البلاد، ودخلت الغور والنجاد، وأراد الشعراء مقابلتها وراموا مساجلتها، غير أنّه لم يبلغ شوطها أحد ولاصيتها، وهي جامعة لأخبار العرب وآثارهم مع سلاسة في ألفاظها وعذوبة في حوارها. وقصيدته الأخرى في (المقصور والممدود) وأشعار كثيرة ذكرها القالي في أماليه، والزجاج وغيرهما^(٢).

وممن جمع اللغة وحرص على المحافظة عليها أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، وكتب التراجم والتاريخ سكتت عن بيان تحديد سنة ميلاده، وهو من أقران الأزهرى- المولود سنة ٢٨٢هـ-، ولد في أواخر القرن الثالث الهجري، والمرجح أنه مات في سنة ٣٥٠هـ، وعليه أكثر المؤرخين^(٣). وهو مؤلف كتاب (ديوان الأدب) وهو في حقيقة أمره معجم لغوي محض، ولا يكاد يمتّ للأدب ودراستها التقليديّة بصلة، وكتاب بيان الإعراب، وكتاب شرح أدب الكاتب، وكتاب الألفاظ والحروف^(٤)، وهو غير الفارابي الفيلسوف المشهور.

ابتدع الفارابي نظاماً فريداً وجديداً في رصد وجمع اللغة العربيّة في تأليف كتابه (ديوان الأدب) وكان له الأثر الكبير في حركة المعاجم العربيّة، فقد جمع للمرة الأولى بين كتب الأفعال والمصادر والأسماء على أساس الأبنية، وترتيب أبواب الأسماء والأفعال بحسب حروف المعجم على الألف باء في كتاب واحد، فأتبع فيه نظاماً مبتكراً أعجب به جميع من أتى بعده من أصحاب كتب الأبنية والمعاجم أيضاً. فنظام ترتيب الأبواب والفصول بحسب حروف المعجم ابتكره

١- جمهرة اللغة- المقدّمة- (٨/١) مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع- القاهرة.

٢- نفس المصدر (١٠/١).

٣- انظر ديوان الأدب، للفارابي (١/٣-٤) تحقيق د. أحمد مختار عمر. مجمع اللغة العربيّة، القاهرة ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٤- نفس المصدر (٨/١)، وانظر بغية الوعاة (١/٤٣٧).

الفارابي واتبعه فيما بعد ابن أخته الجوهري في كتابه (تاج اللغة وصحاح العربية)^(١).

ومن مشاهير عصر جمع اللغة العربية: محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور الأزهرى اللغوي الأديب الهروي الشافعي، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين، أخذ عن الربيع بن سليمان، ونفطويه، وابن السراج، وأدرك ابن دريد ولم يرو عنه، ورد بغداد وأسرتَه القرامطة، فبقي فيهم دهرًا طويلًا، وكان رأسًا في اللغة، أخذ عنه الهروي صاحب الغريبين، وله من التصانيف: (التهذيب في اللغة)، تفسير ألفاظ مختصر المزني^(٢)، التقريب في التفسير، شرح شعر أبي تمام، الأدوات، وغير ذلك، وكان عارفًا بالحديث، عالي الإسناد، ثخين الورع، مات سنة سبعين وثلاثمائة^(٣).

وقد أخذ كتاب (تهذيب اللغة) سمعة طيبة، واشتهر بدقّة تعبيره، وثبات ألفاظه، وصحة موادّه اللغوية المأخوذة مشافهة عن الأعراب، فاعتمده علماء اللغة مصدرًا للغة العربية الفصيحة، قال ابن منظور عن تهذيب اللغة: (ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى)^(٤).

ومن درّس (كتاب تهذيب اللغة) وقارنه بالمعاجم السابقة له، ظهر له مجهود الأزهرى واضحًا، فقد ذكر حسين نصار أنه قد أتى بجديد في المواد، إذ زاد على مادة العين والجمهرة كثيرًا من المواد والمعاني، بل الأقوال التي تسرّ لفظًا واحدًا ذا معانٍ متقاربة وربما واحدة، وصدرت من لغويين مختلفين، وفحص ألفاظه فحصًا شديدًا، ونقد ألفاظ سابقيه، فصحّ كثيرًا من مفردات اللغة. ويتصل بذلك الشواهد القرآنية والحديثية الكثيرة التي أدخلها في معجمه، فأصبحت من التراث المعجمي^(٥).

وكان سبب ضلوع الأزهرى باللغة وثقة علماء اللغة بكتاب التهذيب، أنه كان منذ حداثة سنّه مولعًا بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها، وإحكام الكتب التي تأتي له سماعها من أهل الثبّت والأئمة المشتهرين، وأهل العربية المعروفين. ولما امتحن بالأسر - سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير سنة ٢١٢ هـ - كان القوم الذين وقع في سهمهم عربًا عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد. وقد استفاد من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضا

١- انظر المعجم العربي، نشأته وتطوره، د. حسين نصار - دار الكتاب العربي بمصر - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

٢- قمت بتحقيقه، واسمه: الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، الموجودة في مختصر المزني، مطبوع، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار البشائر - بيروت.

٣- انظر بغية الوعاة (١٩/١).

٤- لسان العرب (٢/١) لابن منظور - طبعة مصورة عن طبعة بولاق - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥- انظر المعجم العربي - نصار - (١/٣٢٠).

ألفاظاً جمّة ونوادير كثيرة، أوقع أكثرها في مواقعها من كتاب تهذيب اللغة^(١).

فكان الأزهري أوثق اللغويين رواية ودراية من أبناء عصره، شافه الأعراب وأخذ عن كبار العلماء وكان يقول مثلاً: حدّثني أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري العدل قال: أخبرني أبو الحسن الصيداوي عن الرياشي أنه سمع الأصمعي يقول: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: ما في الدنيا أحد إلا وأنا أعلم بالشعر منه^(٢). ويقول: قال الليث: قال الخليل بن أحمد: العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف، لقرب مخرجيهما . . . ثم يقول - قلت: وهو كما قال الخليل. وقد روي في باب الخماسي حرفان ذكرتهما في أول الرباعي من العين. ولا أدري ما صحتهما لأنني لم أحفظهما للثقات. ويقول: قال النضر بن شميل في كتاب الأشجار: الخُجْعُ شجرة. قال: وقال أبو الدقيش: هي كلمة معاياة^(٣) ولا أصل لها. قلت: وقد ذكر ابن دريد الخُجْعُ في كتابه أيضاً، وأرجو أن يكون صحيحاً؛ فإن ابن شميل لا يقول إلا ما أتقنه^(٤).

فالأزهري اتّبع منهجاً صحيحاً في جمع اللغة العربية الفصيحة، فكان يدقق في فصاحة الألفاظ، ونسبة الأقوال لأصحابها، ويرد ما يشكّ بفصاحته، ويناقش من يخطأ، ويبيد رأيه فيما يسمع أو يقرأ، ويتدخل في كل مادة لغوية ليناقد مَفْنَدًا أومرّجحًا، والمحلّل للفقرة السابقة وهي من صفحة واحدة من (تهذيب اللغة)، يتيقن أنّ الأزهري كان حريصاً على اللغة الفصيحة، بأن لا يداخلها لهجة أو لكنة أو عبارة رديئة، وسار على هذا المنهج في كل كتابه.

وكان غرض الأزهري من تأليف كتاب (التهذيب) كما يدل اسمه إلى تنقية العربية من الشوائب ومن آفات الكتب المصحّفة وتمييز الألفاظ الصحيحة من السقيمة، قال: وقد سميت كتابي هذا (تهذيب اللغة) لأنني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيّرها الغنم عن سننها، فهذّبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله؛ والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب^(٥).

أما مقدمة كتاب (تهذيب اللغة) فهي من الوثائق الفريدة من نوعها، فقد وضعها الأزهري لتكون مرجعاً هاماً في تثبيت نسبة الألفاظ المعتمدة عنده، وتوثيق من يؤخذ عنهم من المشهود لهم بالعلم والتحرّي والدقّة من العلماء الأعلام، فكانت أوّل مرجع في تاريخ المدارس اللغوية، وأدقّ من وصّف طبقات المؤلفين اللغويين الموثوق بعلمهم.

١- انظر تهذيب اللغة، المقدّمة (٧/١) وما ذكره الأزهري عن نفسه.

٢- تهذيب اللغة، المقدّمة (٨/١).

٣- معاياة: من عيبي (عي) بمعنى عجز عن منطقه وفي بيان مراده

٤- تهذيب اللغة (٥٥/١) انظر باب العين والحاء - باب العين مع الهاء - باب العين مع الخاء.

٥- تهذيب اللغة، المقدّمة (٥٤/١).

فقد عقد الأزهري باباً سماه: (ذكر الأئمة الذين اعتمادي عليهم فيما جمعت في هذا الكتاب) وذكر ما يقرب من الأربعين اللغويين الثقات، وصنّفهم على خمس طبقات. وقال في الطبقة الأولى: أبو عمرو بن العلاء، أخذ عنه البصريون والكوفيون من الأئمة الذين صنّفوا الكتب في اللغات وعلم القرآن والقراءات. وكان من أعلم الناس بألفاظ العرب ونوادير كلامهم، وفصيح أشعارهم، وسائر أمثالهم... وقال: ومن هذه الطبقة: خلف الأحمر... قال ابن سلام: وكان خلف بن حيّان أبو محرز - وهو خلف الأحمر - أجمع أصحابنا، إنه كان أفرس الناس بببيت شعر وأصدق له لساناً؛ كُنّا لا نبالي إذ أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه... وقال: أنا وكان الخليل بن أحمد، وهو رجل من الأزد من فراheid... استخراج من العروض واستنبط منه ومن عله ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم... ومن هذه الطبقة: المفضل بن محمد الكوفي، وكان الغالب عليه رواية الشعر، وحفظ الغريب^(١).

وفي الطبقة الثانية قال: ومن الطبقة الذين خلفوا هؤلاء الذين قدّمنا ذكرهم وأخذوا عن هؤلاء الذين تقدّموا خاصة وعن العرب عامة، وعرفوا بالصدق في الرواية، والمعرفة الثاقبة، وحفظ الشعر وأيام العرب: أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري؛ وأبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني مولى لهم، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، من تيم قريش مولى لهم؛ وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي؛ وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي... ولا يقدّم عليه أحد من أصحاب أبي عمرو بن العلاء في الضبط لمذاهبه في قراءات القرآن. ومن هذه الطبقة من الكوفيين: أبو الحسن علي بن حمزة، وعنه أخذ أبو زكريّا يحيى بن زياد الفراء النحو والقراءات والغريب والمعاني^(٢). وغيرهم من العلماء الأثبات المتقنين.

أما الطبقة الثالثة فكان على رأسها من علماء اللغة: أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٣٤هـ، وأبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، المتوفى سنة ٢٣٠هـ، وأبو الحسن علي بن حازم اللحياني، وسماه السيوطي: علي بن المبارك وقيل: ابن حازم^(٣) - لم تعرف سنة وفاته -، ومن هذه الطبقة: نصير بن أبي نصير الرازي^(٤)، ومنهم: أبو عمرو بن أبي عمرو الشيباني، المتوفى سنة ٢٣١هـ، ومنهم: أبو حاتم السجستاني، المتوفى سنة ٢٥٠هـ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، وغيرهم من اللغويين الثقات^(٥).

١- انظر تهذيب اللغة، المقدمة (١/٨-٩-١٠).

٢- تهذيب اللغة، المقدمة (١/١١).

٣- بغية الوعاة (٢/١٨٥).

٤- لم تذكر سنة وفاته انظر بغية الوعاة (٢/٢١٦) وقد اعتمد السيوطي في ترجمته على الأزهري، قارن مع التهذيب (١/٢٢).

٥- انظر تهذيب اللغة، المقدمة (١/١٩-٢٤).

وهكذا ذكر في الطبقة الرابعة العلماء الثقات^(١)، أما الطبقة الخامسة فقد خصّصها للحديث عن العلماء الذي أدركهم في عصره، مثل: أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج النحوي المتوفّي سنة ٢١١هـ، وأبو بكر محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار الأنباري النحوي، وأبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة، الملقب بنفطويه، وهؤلاء الثلاثة أخذ عنهم الأزهرّي مباشرة^(٢).

ولحرص الأزهرّي على اللغة العربيّة الفصحى ذكر بعض العلماء -في رأيه- الذين عرفوا واتسموا بسمّة المعرفة وعلم اللغة، وألّفوا كتباً أودعوها الصحيح والسقيم، وحشّوها بالمزال المُفسّد والمصحّف المغيّر، الذي لا يتميّز ما يصحّ منه إلا عند النُقَاب -أي: العلامة البحّثة الفطن- المبرّز، والعالم الفطن، ليحذّر الأعمار اعتماداً ما دونوا، والاستئمامة إلى ما ألّفوا^(٣).

فبرز الأزهرّي بشخصيته الواضحة جامعاً للغة العربيّة الفصيحة، بعد أن جاب الصحراء ومضارب الأعراب الرّحل ذهاباً وإياباً، فعندما امتحن بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير^(٤) -سنة ٢١٢هـ- وكان القوم الذي وقع في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصراً من من تميم وأسّد ونشؤوا في البادية يتبعون مساقط الغيث أيام النّجّع، ويرجعون إلى أعداد طلاب المياه، ويرعّون النّعم ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدويّة وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يقع في منطقتهم لحنٌ أو خطأ فاحش، فبقي في أسره دهرًا طويلاً، وكان يتشتى الدهناء، ويتربّع الصّمان، واستفاد من مخاطباتهم ومحاوره بعضهم بعضاً أفاضاً جمّة ونوادير كثيرة، أوقع أكثرها في مواقعها من كتاب تهذيب اللغة^(٥).

والذي سار عليه الأزهرّي في جمع اللغة العربيّة الفصيحة أصبح منهجاً مهماً درج عليه علماء العربيّة من بعده، فقد ألّف الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ الفارابي -المولود بضاراب سنة ٢٢٢هـ، المتوفّي سنة ٣٩٢هـ، وقيل سنة ٣٩٨هـ^(٦) كتابه تاج اللغة وصحاح العربيّة، ومن الواضح أن كتاب تهذيب اللغة قد ألّفه الأزهرّي قبل تأليف الجوهريّ كتابه، ولكن السيوطي قال: (وأول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ، ولهذا سمّى كتابه بالصحاح)^(٧) ثمّ ذكر ما قاله الجوهريّ في مقدمة كتابه، وما قاله الجوهريّ في مقدمة الكتاب ليس مفهوماً أنّه أول من اهتمّ بالصحيح، قال الجوهري: (فإنّي قد أودعت في هذا

١- انظر تهذيب اللغة، المقدّمة (١ / ٢٥) .

٢- انظر تهذيب اللغة، المقدّمة (١ / ٢٧) .

٣- انظر تهذيب اللغة، المقدّمة (١ / ٢٨) .

٤- الهبير: هو رمل زرود في طريق مكّة، وعنده كانت وقعة القرمطي أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الهجري.

٥- انظر تهذيب اللغة، المقدّمة (١ / ٧) والزاهر في غريب أفاض الإمام الشافعي، لأبي منصور الأزهرّي، تحقيق: د . عبد المنعم

طوعي بشنّاتي، صفحة (٢٠- ٢١) ط . أولى، دار البشائر الإسلاميّة، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ .

٦- المعاجم اللغويّة، تأليف إبراهيم محمد نجا، (ص ٩٦) مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٦م .

٧- المزهر (١/٩٦) .

الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة، التي شرف الله منزلتها^(١).

ولقد قيل: إن كان الخليل أول من ابتدع الفكرة المعجمية، فالجوهرى أول من يسر أمرها وذلك صعبها. ثم أنه أضاف إلى فكرته وهي تذليل الصعوبة في البحث قصره الجمع على صحيح اللغة بطريقة الرواية والدراية والصحة. ولعل فكرة جمع اللغة الفصيحة فقط استهوت الجوهري واستوحاها من كتب جمع الأحاديث والسنة: صحيح البخاري ومسلم، فاقتصر كتاب تاج اللغة، وصحاح العربيّة، على مسمّاه.

وقد خاف علماء اللغة أن تختصر اللغة العربيّة على الصحيح منها عند الجوهريّ، فذهبوا يتمّون ما أهمله الجوهريّ، فألف الحسن بن محمّد بن الحسن الصّاغاني -المتوفى سنة ٦٥٠هـ- معجمه: (التكملة والذيل والصلة، لكتاب تاج اللغة وصحاح العربيّة)، وكان هدفه من تأليف كتابه، جبر النقص الواقع في كتاب تاج اللغة وصحاح العربيّة، قال الصّاغاني: (هذا كتاب جمعت فيه ما أهمله أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ -رحمه الله- في كتابه، وذيلت عليه، وسمّيته كتاب: (التكملة والذيل والصلة غير مدّع استيفاء ما أهمله، واستيعاء ما أغفله)^(٢) وكُتِبَ على الوجه الأول للمخطوط تنمّة عنوان الكتاب (لتاج اللغة، وصحاح العربيّة).

وقد أعجب ابن منظور -المتوفى سنة ٧١١هـ- بترتيب كتاب (تاج اللغة وصحاح العربيّة) ورآه مختصراً، فخفّ على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتناولوه وتناقلوه، غير أنه في جو اللغة كالذرة، وفي بحرهما كالقطرة، وإن كان في نحرها كالذرة^(٣).

فلما وضع مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي -المتوفى سنة ٨١٧هـ- كتابه القاموس المحيط أراد أن يتمّ ما أهمله الجوهريّ في كتابه، فقال: (ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهريّ وهو جدير بذلك غير أنه فاته نصف اللغة وأكثر، إمّا بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادرة). فالفيروزآبادي وغيره لم يتنبّهوا إلى أنّ الجوهريّ إنّما كان يضع المواد التي صحّت عنده فقط، لأنه أراد أن يجمع الصحيح عنده.

وإذا كان الجوهريّ زها بكتابه تاج اللغة وصحاح العربيّة بأنّه جمع الصحيح فقط، فإنّ علماء اللغة العربيّة كانوا له بالمرصاد، وقعدوا يصوّبون له الأخطاء اللغويّة والشاذة التي كان قد وضعها على أنها صحيحة وسليمة، ولأنّ كتاب تاج اللغة انتشر بين الدارسين فتتبع العلماء سقطاته، وقد جمع إبراهيم محمد نجا المأخذ التي وُجّهت إليه، والكتب التي ألّفت في هذا الموضوع، منها ما

١- تاج اللغة وصحاح العربيّة، المقدّمة (٢٧ / ١).

٢- التكملة والذيل والصلة، لكتاب تاج اللغة وصحاح العربيّة، المقدّمة (٤ / ١) تأليف الحسن بن محمّد بن الحسن الصّاغاني، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة دار الكتب - القاهرة - ١٩٧٠ م.

٣- انظر لسان العرب، (٢ / ١).

علقت عليه لتوضيح غوامضه، أو نسبة الأشعار إلى قائلها، أو تصحيح الأعلام الواردة فيه، أو تصويب بعض أوهام الجوهرى، ومنها كتب بعض الحواشي عليه، ومنها ما اعتنت بتكملة وتذييل الصحاح، ومنها ما ألف لنقده والدفاع عنه وإحقاق الحق، ومنها من كان هدفه التجريح والنيل من الجوهرى^(١).

والذي ذكره هنا من علماء لغتنا الذاهرة، لا يعدو قطرة من محيط علماء اللغة ونحوها وآدابها، وكتبهم الفياضة الناضحة بالعلم، فقد افتن علماء العرب والإسلام في تدوين حضارتهم اللغوية والأدبية والنحوية مما يدعو إلى الإعجاب بكتبهم وأسفارهم على مر العصور والأجيال، حفظوا اللغة من الضياع، والآداب من السقوط، والقاعدة النحوية والصرفية من الانحلال، ولم يكن ذلك فقط الاهتمام في هذه المسائل فقط بل في كل العلوم الدينية والسياسية والتاريخية والعقدية والفكرية والوجدانية وغيرها من العلوم التي اهتم بها العالم الإسلامي، فخلف لنا علماء أمتنا الإسلامية كمأ هائلًا من المؤلفات التي لاتعد ولا تحصى .

وللمحافظة على ثبات اللغة العربية قام آلاف العلماء اللغويين يجمعونها من مظانها، ومواطن نشأتها، وشدوا الرحال من عرب وعجم، خدمة للغة القرآن الكريم، وسعيًا لدراستها واستظهار مكنونها، فقد كانت اللغة العربية تحوي كنزًا لغويًا هائلًا، فوضعت المجاميع اللغوية والنحوية والأدبية، فحفلت بالمفردات المستعملة الفصيحة والرديئة والشاذة، والمرويات الأدبية، وكذا مناظرات العلماء، والمناقشات في بلاط أمير المؤمنين، والاستشهاد بالشعر والخطابة والمقالات الأدبية، وأخبار الحفاظ، والقراء والنحويين... وغير ذلك، ويذكر السيوطي^(٢) في مقدمة كتابه (بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة) - انتهى من تأليفه سنة إحدى وسبعين وثمانمائة^(٣) - أنه اعتمد في جمع أسماء العلماء على العديد من موسوعات الأعلام التي ألفها علماء التراجم قبله، فجمعوا علماء اللغة عبر العصور، فبلغ ما أخذه عنهم من التراجم تسعةً ومائتين وألفين^(٤) عالمًا باللغة العربية وما يتصل بها من آدابها ونحوها ونكاتهما... وغير ذلك.

لقد أجمع علماء اللغة العربية منذ صدر الإسلام من خلال دراستهم للغة العربية أن ذخائر أمتهم يجب إبرازها بصورة رائعة، وقد نجح علماء أمة اللغة العربية في هذه المهمة الصعبة في المحافظة على الإرث اللغوي العربي، والنتائج الباهرة التي نحن ننعم بها اليوم أننا نجد أي موضوع يريد الدارس اللغوي أن يبحثه، فإن مصادره متوفرة بل سخية، وأن ما درسه العلماء القدامى كان له العديد من جوانب الابداع والابتكار .

١- انظر المعاجم اللغوية، صفحة (١١٩ - ١٢٢) .

٢- انظر بغية الوعاة، المقدمة (١ / ٦-٣) .

٣- نفس المصدر (٢ / ٤٢٩) .

٤- انظر نفس المصدر (٢ / ٣٦٦) .

ربي ناصر المصري الشعراي

دكتور

عميدة كلية التربية - جامعة الجنان

واقع القضية الفلسطينية في مناهج التعليم المدرسية في لبنان

ملخص الدراسة

وعى الاحتلال الصهيوني حقيقة الدعم الخارجي للكفاح الوطني ، فقام بدراستها بجميع جوانبها ورسم لها الحلول و بأشر بتنفيذها. فإذا كانت المناهج التعليمية في الدول العربية تثير الحقد و الكراهية له و تدرس معاني الجهاد ، فيمكن تغييرها و إشاعة قيم السلام و الوداعة فيها. وإذا حالت الحقائق التاريخية دون نسيان الحقوق المنتهكة و الأرض المسلوقة فيمكن طي الصفحات السوداء و الإبقاء على البيضاء منها.

فكان التعديل في المناهج و برامج التعليم هدفاً أولياً ليصار إلى تحريف الفكر منذ نعومة نشأته...

ولم تتوان المناهج المدرسية اللبنانية عن النيل من القضية ، عبر التعتيم عليها و تخريج طلاب لا يفقهون شيئاً عن القضية الفلسطينية في أدنى مصطلحاتها.

فأى مبرر يسوغ عدم تعريف الأجيال اللبنانية بقضية شعب مجاور تربطه به رابطة أقوى من أي رابطة أخرى ، في حين يتناول الطالب في دراسته قضايا الشعوب العربية كافة بل العالمية أيضاً.

وسيتم في هذا المضمون البحث في دراسة القضية الفلسطينية عبر المواد التعليمية في

المنهاج اللبناني مثل التاريخ، التربية الدينية، اللغة العربية والتربية المدنية.
إن كتاب التاريخ لم يقرّ حتى هذه اللحظة وقد استبعدت منه حصص القضية الفلسطينية،
والمواد الأخرى لم تحظ بدورها بحظ أوفر في تناول القضية.

وغاب تاريخ و جغرافية فلسطين عن المناهج التربوية في مدارس الأونروا فانقسم
الفلسطينيون بين متهم لها بتعمد التغييب و بين ملتزم لها العذر.

فلا بد إذن من اللجوء إلى مساع جادة تواجه التحديات المفروضة و المكبلة للفكر العربي،
ولعل أولى هذه المساعي تتمثل في التنقيب عن مؤسسات تثقيفية، لقاء واضعي المناهج اللبنانية
لتكريس بعض الدروس التي تهدف إلى توعية الفكر بمطامع العدو الصهيوني، استثمار الإعلام
والإنترنت لصالح القضية، فالمعركة اليوم معركة حضارية، فلا بد إذن من جهوزية العقل العربي
لدخول التحدي المعلوماتي و تحقيق التوازن الاستراتيجي.

شكلت القضية الفلسطينية العنوان الأساسي لاهتمامات الوطن العربي قبل بداية الثورات
العربية، فمنذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، اعتبر العرب فلسطين قضيتهم المركزية وتقدمت لتحمل
رأس سلم أولويات الخطاب الرسمي العربي. وكان طبيعياً أن تواكب البرامج التعليمية هذه
التوجهات، وأن تضح صفحات الكتب المدرسية بالحديث عن القضية الفلسطينية وتاريخ الصراع
العربي الإسرائيلي، ومستلزمات النصر...

إلا أن تغليب منطق التسوية السياسية والمفاوضات الخفية، خفف من حدة اللهجة في
معالجة القضية، فانخفض مؤشر الاهتمام بها والتركيز عليها وخفت تناولها في المناهج والكتب
المدرسية إلى أن انطفأ تماماً ولم يبق له أثر يذكر...

إشكالية الدراسة وأسئلتها

لا شك أن هذا الموضوع يستحق البحث والمشاركة وتبادل الآراء لإحيائه من جديد، دعماً
للقضية التي أريد إطفاء سراجها، تضييقاً على رجالها داخل فلسطين وتحجيماً لمقاومتهم
وصمودهم.

وبلدٌ مجاور مثل لبنان حقّ عليه الدعم والنصرة. والدعم التربوي والفكري لا يقل شأناً عن
غيره، بل هو أساس كل دعم، فمن الفكر ينطلق كل تغيير، ومن الفكر ينطلق كل نصر، فكان طبيعياً
أن تتجه الأنظار إلى معالجة المناهج المدرسية للقضية الفلسطينية.

فما هو واقع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية في لبنان؟

ومن هذا السؤال تتفرع أسئلة أخرى مثل:

ما هو واقع القضية الفلسطينية في مناهج التاريخ؟

ما هو واقع القضية الفلسطينية في مواد أخرى؟

ما هو واقع القضية الفلسطينية في مناهج التعليم في مدارس الأونروا؟

وما هي المساعي لتوعية الطلاب بالقضية الفلسطينية؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على واقع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية في لبنان وخاصة في مادة التاريخ المؤهلة لعرض تاريخ القضية ، حيثياتها و مداخلاتها ، فضلاً عن مواد أخرى أرخت بظلالها على القضية .

فكان الهدف الأشمل استثمار هذه المناهج لإغناء فكر الطالب بمعلومات عن القضية ، فالاستعداد الفكري يسبق أي استعداد آخر لمواجهة التحديات المفروضة ، و غياب الفكر يعني غياب أي مقاومة أو تحد للقيود التي تكبل على الأمة .

حدود الدراسة

إقتصرت الدراسة على دراسة مناهج التاريخ، اللغة العربية ، التربية المدنية و التربية الإسلامية في تناولها للقضية الفلسطينية في المدارس الرسمية و الخاصة في لبنان و ذلك منذ العام ٢٠٠٠م و حتى هذا اليوم .

منهجية الدراسة

إن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي و التحليلي ، حيث قام الباحث بجمع المعلومات و وصفها و تحليل المناهج في المواد التعليمية بغية الوصول إلى واقع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية .

وقد قام الباحث بإجراء مقابلات مع تربويين وأساتذة مختصين لإغناء البحث بالمعلومات اللازمة .

الدراسات السابقة

لم يتوصل الباحث إلى الوقوف على دراسات سابقة في هذا المجال ، و هذا هو واقع التعميم المراد للقضية الفلسطينية .

صعوبات الدراسة

إن الصعوبات تجلّت في الافتقار إلى المراجع ، فالباحث لم يجد أيّ مرجع يتناول القضية الفلسطينية في المناهج التعليمية من قريب أو بعيد ، بل أساساً لم يجد أثراً للقضية يدرّس في المناهج المدرسية الرسمية مما جعل الخوض في البحث ليس بالأمر اليسير .

خطة البحث

أولاً: مفهوم القضية الفلسطينية وواقعها في لبنان

١. مفهوم القضية الفلسطينية

٢. واقع القضية الفلسطينية في لبنان

ثانياً: تدريس القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية

١. في مادة التاريخ

٢. في مواد أخرى

ثالثاً: مناهج التعليم في مدارس الأونروا في لبنان

رابعاً: مساع لتوعية الطلاب بالقضية الفلسطينية.

أولاً: مفهوم القضية الفلسطينية وواقعها في لبنان

قبل الخوض في تناول المناهج التعليمية في المراحل الأساسية قبل الجامعية للقضية الفلسطينية في لبنان، لا بد من تسليط الضوء قليلاً على مفهوم القضية الفلسطينية، تداعياتها ومجرياتهما على أرض لبنان، والخلفية السياسية التي شكلت الأساس في التأثير على توجيه المناهج الدراسية و انتقاء المقررات الملائمة.

ولا شك أن التعيم على القضية الفلسطينية في المناهج التعليمية قد جرى دون أي ضجة تذكر، فبعد أن أقرّ التعريف بالقضية في أهداف منهاج التاريخ، رصد لتدريسها ست حصص فقط خلال مسيرة الطالب التعليمية في المدرسة، أي طيلة اثني عشر سنة.

والأدهى من ذلك أنه لم يتم تناول هذه الحصص، بتدريس منهج يخص القضية بل جرى إلغاؤها من منهاج الشهادة الرسمية و التزام الأساتذة بمقرر الشهادة...

١. مفهوم القضية الفلسطينية

فلسطين بلد تغنّى به كثيرون و تاق إلى تحريره و استرجاعه أكثر، وخذله وتأمّر عليه أضعاف مضاعفة....

يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، هي الأرض الواقعة غربي آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. تتمتع بموقع استراتيجي مميّز، فهي صلة الوصل بين آسيا و أفريقيا و نقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي...

لعل أقدم اسم عرفت به فلسطين هو أرض كنعان، إذ أن أول شعب نزل بها هم الكنعانيون الذين قدموا من جزيرة العرب نحو ٢٥٠٠ ق.م.

بيد أن اسم فلسطين هو اسم مشتق من اسم أقوام بحرية جاءت من غرب آسيا الصغرى وبحر إيجه حوالي القرن الثاني عشر ق.م، و ذكر اسمها في النقوش المصرية باسم «بل ست» وقد تكون أضيفت لها النون للجمع. سكنت هذه الأقوام المناطق الساحلية وسرعان ما اندمجت مع الشعب الكنعاني^(١).

هذه كانت بداية فلسطين بداية فتية تكلفت مسيرتها التاريخية بالزهو والانتصارات لتصل إلى نهاية مخزية يتمخض عنها شعور بالمرارة والمهانة لدى ضياعها من أبناءها الفلسطينيين، العرب والمسلمين عام ١٩٤٨، ليجد الشعب الفلسطيني نفسه مشتتاً، غريباً بعيداً عن أرضه... إنها بالتأكيد ليست النهاية وإنما هي حلقة ستليها حلقة أخيرة متوجة بالتهليل والنصر، ف الشعب فلسطين معروف بإبائه و عنفوانه و هو وإن استكان قليلاً للمبادرات العربية و العالمية التي خذلتها، فهو اليوم باجبايته المرتفعة، يكيّف أوضاعه الصعبة ليسيرها كما يريد، ولعلّ الخطوة الأولى الدالة على عزمته إقباله على التعلّم، ليصبح أكثر الشعوب العربية تعلّماً، يقيناً منه بأن الخطوة الأولى لمواجهة التحديات الصعبة إنما تتمثل بالعلم...

والقضية الفلسطينية اليوم، إستحوذت و تستحوذ على انتباه العالم الإسلامي لجوانب عدة ترتبط بادئ ذي بدء بطبيعة الأرض، قدسيّتها، بركتها ومركزيتها في قلوب المسلمين، طبيعة العدو بادعاءاته العقائدية، التاريخية و بروحه الاحتلالية التوسعية التي تسعى لطرده شعب فلسطين وإلغاء حقوقه الأصلية في أرضه ومقدساته، و أيضاً طبيعة التحالف الغربي الصهيوني الهادف إلى تخويف الأمة الإسلامية وإضعافها و تمزيق أوصالها وجعلها تدور في فلك التبعية للقوى الكبرى^(٢).

لم يتوان الاحتلال الصهيوني عن اللجوء إلى كافة الأساليب لتحقيق مراده، فلم يوفر أياً منها حتى طالت المؤسسات التربوية بدءاً من التعليم الأساسي والثانوي مروراً بالتعليم المتوسط والمهني وانتهاءً بالتعليم العالي. فقيّد النشاطات التعليمية والتخصصات العلمية لهذه المؤسسات، وألزم التعليم بالتركيز على فروع النظرية، ومنع منعاً باتاً التعليم في الجوانب والتخصصات العلمية لأسباب وصفت بالأمنية.

أدرك الاحتلال الصهيوني خطورة الدعم الخارجي للكفاح الوطني، فقد لعب هذا الدعم دوراً لا يستهان به في تيسير النجاح لحركات كفاحية عدة مثل حركات التحرير في الجزائر والفيتنام وغيرها. والكفاح الفلسطيني بدوره لا يشذ عن هذه القاعدة لا سيما أن كثيراً من مقومات الصمود و غلبة الكفاح على مستوى الصراع الإسرائيلي الفلسطيني تلتزم بوجهة الصراع

١- محسن محمد صالح ٢٠١٢، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة، بيروت، ط١، ص ١٠

٢- محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مرجع سابق ص ٩

العربي الإسرائيلي. وعلى ذلك فصمود المقاومة الفلسطينية منوط بالدعم العربي ومدى حفاظ هذه المقاومة على قوميتها العربية وقدرتها على استحواذ قلب وضمير العالم العربي.

فالمقاومة تبقى أسيرة للضعف والهوان ما لم تستقطب الدعم العربي في شكله العسكري، السياسي، العلمي والإعلامي، لتجعل منه مؤشراً إيجابياً يخفف عنها عبء الضغوطات ويسرع في عجلة مسيرتها.

إن هذا الدعم العربي المطلوب يستوجب بداية إرادة الدعم، ومن ثم التصويب الصحيح لطبيعة الصراع قبل أية خطوة^(١). هذا التصويب يبدأ في وعي الشعوب قبل أن يترجم إلى أرض الواقع وهو الأشد بأساً وقوة، فهو منطلق كل نجاح.

وقد وعى الاحتلال الصهيوني هذه الحقيقة فقام بدراساتها بجميع جوانبها ورسم لها الحلول وياشر بتنفيذها. فإذا كانت المناهج التعليمية في الدول العربية تثير الحقد والكراهية للاحتلال الصهيوني وتدرس معاني الجهاد، فيمكن تغييرها وإشاعة قيم السلام والوداعة فيها. وإذا حالت الحقائق التاريخية دون نسيان الحقوق المنتهكة والأرض المسلوبة فيمكن طي الصفحات السوداء والإبقاء على البيضاء منها.

حتى الجانب الديني لا إشكال فيه: تهمش الفتاوى المناهضة وتستبعد مفاهيم الانتصار للحق ومصطلحات التربية الجهادية... فكان التعديل في المناهج وبرامج التعليم هدفاً أولياً ليصار إلى تحريف الفكر منذ نعومة نشأته...

هذا التعديل عقده الإجماع الفكري في إسرائيل والتف حوله المخططون والمنفذون، فقامت مراكز البحوث العلمية والهيئات الأكاديمية تدرس منهجية البرامج التعليمية وآلية تعديلها، فقامت بمراجعة شاملة وفحص لما يدرس في الدول العربية عن إسرائيل وما يدرس في إسرائيل عن العرب، وبالتالي تحديد ما يجب حذفه من برامج التعليم الحالية وإضافة المواد الجديدة المراد تدريسها^(٢).

دارت محاور الهجوم الفكري الصهيوني بدايةً حول محاولة تصفية مصادر ومنايع العداء في الفكر السياسي العربي، وتفتيت الطابع السلبي السائد في الأيديولوجيات تجاه إسرائيل والصهيونية. وفي المحور الثاني كان السعي لخلق قاعدة فكرية بغية التواصل مع بعض القوى الفكرية والسياسية القائمة في الوطن العربي. والاتجاه في المحور الأخير لإيجاد قاعدة ارتكاز لتحالف محتمل مع الأقليات الدينية والعرقية في الوطن العربي^(٣).

١- محمد خالد الأزعر: ١٩٩١، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط ١ ص ٣٠

٢- محسن عوض: ١٩٨٤، مصر وإسرائيل، خمس سنوات من التطبيع، دار المستقبل العربي، القاهرة، ص ٤٥

٣- محسن عوض ١٩٨٤: مصر وإسرائيل، خمس سنوات من التطبيع، مرجع سابق، ص ٤٧

٢. واقع القضية الفلسطينية في لبنان

ربما كانت استراتيجية اسرائيل للتطبيع تجاه لبنان أعقد حلقات الاستراتيجيات في الوطن العربي، فلبنان في خطة التوسع الصهيوني «ليس مجرد دولة جوار عادية ولكنه موطن التوسع المحتمل ومركز التحالف السياسي والطائفي الممكن، والمصدر الاستراتيجي للمياه اللازمة لسد العجز المزمن في احتياجات اسرائيل المائية»^(١). وجنوب لبنان مثل قبل عشرات السنين مركزاً شرساً للمقاومة أقلق مضجع اسرائيل وهز أمنها، فقد احتضن منظمة التحرير الفلسطينية ومناصرها لتصبح عامل تعزيز للمقاومة داخل اسرائيل.

ولما كانت سلطات الاحتلال تعاني آنذاك من تنامي النهوض الوطني الفلسطيني والانتماء الفلسطيني في الداخل لمنظمة التحرير ومشروعاتها السياسية، باتت تحيل عوامل هذا النهوض والتحدي لإرهاب فلسطيني مدعوم من الخارج. وبالتالي فإن تطويع الضفة الغربية وقطاع غزة في ذلك الوقت يستلزم تدمير منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان. وكأن القرار أن يبدأ الصدام مع المنظمة في الأرض المحتلة بدءاً من لبنان. فكان غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ مستهدفة بشكل أساسي الأرضية التعليمية أي المدارس والجامعات، ساعية لإيجاد بديل سياسي للمنظمة في الضفة والقطاع، وكسر العلاقة بين سكان المنطقتين ومنظمة التحرير وفلسطينيي الخارج ومؤيديهم...

وقد كان لهم تحقيق جزء من هذه الأهداف، وكرس الواقع اللبناني إسهامه ليفرض دمج الفلسطينيين خوفاً من قلب التوازن القائم بين الطوائف الدينية، وكان «للتزاعات المسلحة التي عاشها لبنان مع اسرائيل من جهة وبين الطوائف والمذاهب اللبنانية من جهة أخرى أكثر من بعد»^(٢).

وساهمت الحرب اللبنانية بدورها «في توسيع شرخ عدم الاندماج اللبناني- الفلسطيني بعد انخراط الفلسطينيين مباشرة في هذه الحرب. إضافة إلى أن استقلالية المخيمات الأمنية ساهمت في توليد مشاعر التمايز عند الفلسطيني واللبناني على السواء معتبراً أن المؤثرات السياسية في مدها وجزرها هي التي طغت على معظم مؤثرات الاندماج أو التمايز بين الفلسطينيين واللبنانيين»^(٣).

وبدت القضية الفلسطينية أكثر شعياً وتأزماً، تحكمها التجاذبات السياسية والمواقف المغايرة للقوى اللبنانية المختلفة. والخوف من التوطين دفع بعض الجهات اللبنانية إلى الإصرار

١- محسن عوض: ١٩٨٨، الاستراتيجية الاسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ص ١٥٨

٢- محمود علي، ندوة الواقع التربوي الثقافي الفلسطيني، ٢٠١١/١/١٠، بيروت.

٣- طلال عتريس: ندوة الواقع التربوي الثقافي الفلسطيني، ٢٠١١/١/١٠، بيروت.

على سلب اللاجئيين الفلسطينيين أبسط حقوقهم المدنية. ولا زالت هذه المسألة مثار جدل عند السياسيين اللبنانيين ، فتباينت التصريحات و المواقف، يدفع بعضها نحو التجاوب «مثل تلك التي صدرت عن وزير الشؤون الاجتماعية اللبناني وائل أبو فاعور ، ورئيس الحكومة نجيب ميقاتي والنائب عن الجماعة الإسلامية عماد الحوت. كما ركز بعضها الآخر على التحذير من خطر التوطين كتلك التي صدرت عن رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع ورئيس المكتب السياسي في حزب الكتائب أمين الجميل»^(١).

انتهت الحرب في لبنان و لم تحل القضية الفلسطينية، و لم يسلم اللاجئون الفلسطينيون من وصمة الإرهاب والإجرام، و من كتابة التاريخ على خلفية كتائبية بحتة، و من رفع شعارات رفض التوطين الذي يعني المطالبة بطرد الفلسطينيين من لبنان.

و تداعت التحديات للنيل من القضية الفلسطينية، و كانت الجامعة بدورها عنصراً من العناصر التي ارتبطت بغيرها من المكونات السياسية في البلد لمواجهة القضية^(٢). و لم تتوان المدرسة في مناهجها التعليمية عن تجاهل القضية وإهمالها ، عبر التعميم عليها و تخريج طلاب لا يفقهون شيئاً عن القضية الفلسطينية في أدنى مصطلحاتها.

ثانياً: تدريس القضية الفلسطينية في المناهج الدراسية

من الغريب حقاً أن يتردد على مسمع اللبناني مرات و مرات اسم فلسطين و الفلسطيني و إسرائيل ، في حياته اليومية و على نشرات الأخبار ، دون أن يكون لهذا الاسم أو ذلك نصيب يدرسه الطالب و يتناوله بالشرح و التحليل في مناهجها التعليمية ، على مقعده الدراسي. فإن كان الوالد على نزر يسير من الدراية في هذه القضية ، نقلها لولده و إن لم يكن، كان للولد الأمية في هذه القضية التي لا يعرف عنها سوى عنوانها مع غياب كامل لحيثياتها و طمس لهويتها المعرفية. فأى مبرر يسوغ عدم تعريف الأجيال اللبنانية الناشئة بقضية شعب مجاور تربطه به رابطة أقوى من أي رابطة أخرى ، في حين يتناول الطالب في دراسته قضايا الشعوب العربية كافة بل العالمية أيضاً.

إنها ظاهرة مريبة يستحق الوقوف عندها و دراستها مطولاً. و سيتم في هذا المضمون البحث في دراسة القضية الفلسطينية عبر المواد التعليمية في المنهج اللبناني مثل التاريخ، التربية المدنية، التربية الدينية و اللغة العربية.

١- محسن محمد صالح: ٢٠١٢ ، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني ، مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات بيروت ، ط ١ ، ص

١٤٢/١٤٣

٢- إبراهيم شرارة ، أسعد أبو خليل محاضر في الجامعة الأميركية ، السفير ٢٠١٠/١/١٥

- كان في كلية الآداب مادة اختيارية تدرس فيها القضية الفلسطينية و لكنها ألغيت مع تغيير المناهج التعليمية.

١- في مادة التاريخ

في تاريخ ٢٢/٦/٢٠٠٠م ، صدر العدد ٢٧ من الجريدة الرسمية يعلن عن مرسوم تحديد أهداف ومناهج مادة التاريخ في مراحل التعليم العام ما قبل الجامعي، هذا المرسوم هو جزء من مراسيم عديدة تقضي بتعديل مناهج التعليم المدرسي في لبنان بعد أكثر من ربع قرن على آخر تعديل شهدته هذه المناهج، وليس بسر أن مادة التاريخ استمرت في لبنان موضع تباين وخلاف منذ العام ٢٠٠٠م وحتى هذا اليوم. فالمادة أساسية في تعزيز الإلتماء والإنصهار الوطني، والإنفتاح الروحي والثقافي، مما يجعل توحيد كتاب التاريخ و التربية الوطنية مسألة في غاية الأهمية ، و يجعل الخلافات المصاحبة لهذا الهدف في بلد مثل لبنان مسألة غير مستغربة . فلبنان دولة يحكمها ائتلاف الطوائف ، مما يعني أنه دولة محكومة بالتوافق بين الطائفة و المذهبية .

تحدث المرسوم في ملحقه عن أهداف خاصة متوخاة من تدريس مادتي التاريخ و التربية في لبنان تستوحي المبادئ الوطنية و الثقافية و التربوية الواردة في الدستور اللبناني و في رأسها ما نصت عليه الفقرات أ،ب،ي في مقدمته:

أ- لبنان وطن سيد حر مستقل...

ب- لبنان عربي الهوية و الإلتماء ، و هو عضو مؤسس و عامل في جامعة الدول العربية و ملتزم بمواثيقها...

يلخص المرسوم التعديلي مبادئ عامة وأهدافاً خاصة ، و ما يهم في هذا السياق أنه تحت عنوان الأهداف الخاصة نجد التأكيد على عروبة لبنان^(١) ، و البند الأخير يشير إلى وعي أبعاد الخطر الصهيوني^(٢) . و اللافت أن تفاصيل المناهج المنصوص عليها لا ترقى إلى مستوى هذا الهدف ، حيث نجد المنهج في مادة التاريخ يرصد حصتين فقط في المرحلة الابتدائية للتعريف بالقضية الفلسطينية، و حصتين للتعريف بالحركة الصهيونية (نشأتها، أهدافها، سياستها) و قراءة تاريخيه موجزة لتطور القضية الفلسطينية في المرحلة المتوسطة. و حصتين في المرحلة الثانوية للتعريف بالصراع العربي-الإسرائيلي.

وهذا يعني أن القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية والصراع العربي-الإسرائيلي رصد

١- إن البند الأول يؤكد على «تعزيز الشعور بهوية لبنان و انتمائه العربيين من خلال إبراز التراث التاريخي و الجغرافي و البشري و الحضاري المشترك في عصوره المختلفة و تنمية الشعور الوطني و العربي في نفوس الناشئة.»

٢- و قد جاء فيه: «التأكيد على الدور الخطير الذي تمثله الحركة الصهيونية من خلال التعريف بتاريخ هذه الحركة و بمشاريعها التوسيعية العنصرية المناقضة للقانون الدولي و حقوق الإنسان.»

- إبراز المطامع الإسرائيلية في لبنان و في الأقطار العربية الأخرى، و التركيز على الدور الإسرائيلي العدواني المتمثل باغتصاب فلسطين و تشريد أهلها و احتلال أراض في لبنان و في الدول العربية الأخرى.

- إبراز أشكال و مراحل النضال اللبناني بخاصة و العربي بعامة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.»

لهم المنهج الجديد ست حصص تعليمية في كل المراحل ما قبل الجامعية ، الأمر الذي لم يكن قائماً قبل التعديل، حيث كان الإهتمام بالقضية الفلسطينية أكبر وأكثر عمقاً وتنوعاً، خاصة أن التعديل لم يلحظ هذا العنوان في أي مادة أخرى غير مادة التاريخ.

وهذا يعني أن المنهج المعدل لم يأت بمستوى الأهداف المعلنة له، إن لجهة عروبة لبنان والتزامه قضايا الأمة العربية، أو لجهة الإشارة إلى أهمية التعريف بأبعاد مطامع الحركة الصهيونية.

هذا وإن كتاب التاريخ لم يقرّحتى هذه اللحظة^(١) وهو ما زال مثار خلاف عميق بين مكونات المشهد السياسي اللبناني، هذا بالإضافة إلى أن ذكر القضية الفلسطينية بشكل هامشي يعود لأسباب الخلاف القائم المتأتي من الخصوصية اللبنانية. فلبنان كما يشير البعض بلد متأزم لا يحتاج لخلافات يطرحها العنوان الفلسطيني. والأكثر من ذلك أن بعض المدارس تعلم في كتب لا تشير في صفحاتها إلى فلسطين بالمطلق.

ولا بد من التوضيح هنا بأنه لا يتم تناول أي من هذه الحصص التعليمية المذكورة، فمنهج التاريخ^(٢) في المرحلة المتوسطة والثانوية قد استبعدت منه حصص القضية الفلسطينية لأنها وبكل بساطة غير مقررة في كلتا الشهادتين الرسميتين^(٣).

وعلى ذلك فإن مادة التاريخ، لا تكسب الطالب أية معلومة عن القضية الفلسطينية بشكل ممنهج أو غير ممنهج.

٢- في مواد تعليمية أخرى

إن التعريف بالقضية الفلسطينية يقع على كاهل مادة التاريخ، فإن استكتفت هذه الأخيرة عن هذا الحمل، كان البحث عن لمسات عشوائية حانية تتأتى من هناك وهناك لتلقي بعض الومضات اليسيرة على القضية.

وربما كان من الطبيعي في ظل خلو منهاج التاريخ من القضية خلو منهاج المواد الأخرى منها، إلا أن الموضوع يمكن إدراجه في صفوف مدرسية مختلفة وفي مواد مختلفة كذلك (التربية الدينية، اللغة العربية، الاجتماعيات...). فكان التجوال في المواد الأخرى بحثاً عن مقرر يروي

١- في حوار أجرته مع د. ليلي فياض، رئيسة المركز التربوي للبحوث والإنماء منذ العام ٢٠٠١، إلى أنه حتى الآن ومنذ العام ٢٠٠١ جرت ثلاث محاولات لوضع منهج موحد للتاريخ ولكنها باءت بالفشل وآخر منهج وضع كان على عهد الوزير محمد منيمنة.

وعلى ذلك فمن غير الممكن التحدث عن تدريس القضية الفلسطينية في المناهج في ظل عدم إقرار كتاب موحد للتاريخ.

٢- في المرحلة الأساسية غابت حصص القضية الفلسطينية عن المناهج.

٣- في حوار مع مدرسي مادة التاريخ في المرحلة المتوسطة والثانوية أشاروا، وعلى اختلاف مدارسهم بين إرساليات ومدارس إسلامية وأخرى رسمية، إلى أن القضية الفلسطينية محذوفة من المقرر ولا يتطرقون لها أبداً فهم ملتزمون بالمنهج المحدد لهم والمقرر في الشهادات.

ظماً المتعطش للتعرف على القضية ولكن لا جدوى ، فقد غابت هي الأخرى عن استحضارها رغم المساحة الضخمة التي يسمح بها نظام التعليم اللبناني في وضع مناهج التعليم الخاصة...

في مادة التربية المدنية وبعد الإطلاع على منهجها كاملاً ، عبر موقع وزارة التربية اللبنانية على الانترنت ، تبين خلوها من أي تعرض للقضية الفلسطينية ، وكان الجواب التقليدي لأساتذتها عند سؤالهم عن هذا الموضوع بأنهم ملتزمون بالمناهج ولا يتسع الوقت لدروس إضافية أخرى كما لا تتاح الفرصة لعرض مواضيع جانبية أثناء الحصص الدراسية.

ويبرز من خلال الأهداف العامة للمادة اهتمام بالهوية العربية فيتم التأكيد على «تعزيز وعي الطالب لهويته العربية وتعلقه بها ولإنتمائه العربي المنفتح على الإنسانية».

وفي الأهداف الخاصة ورد «تعزيز الهوية والانتماء العربيين عند المتعلم من خلال توضيح مقوماتها وأهميتها والتعريف بتجارب العمل العربي المشترك بدءاً بأعمال التنسيق وصولاً إلى الالتزام بالمعاهدات المشتركة وإبراز دور لبنان في المنظمات العربية».

وعلى ذلك تم إدراج ذلك في التعليم الأساسي ، من المرحلة الابتدائية ضمن محور لبنان ومحيطه العربي ، وهو درس عن «العوامل والروابط العربية المشتركة» في الصف السادس في أربعة حصص وهو يشمل: اللغة العربية ، التراث الثقافي ، التاريخ المشترك ، الأمانى المشتركة ، التكامل الاقتصادي ، التعاون لتحقيق التقدم والتنمية وأخيراً التضامن العربي في مواجهة العدو المشترك إسرائيل.

فلم يتعد الموضوع إطار التضامن العربي لمواجهة إسرائيل.

ولم يكن الأمر بأحسن حالاً في المراحل التعليمية اللاحقة حيث اعتلى في السنة المنهجية التاسعة درس عن الهوية العربية مقوماتها ومؤسساتها.

وفي السنة الثانية ثانوي درس في خمس حصص عن «التعاون والتضامن والطموحات العربية».

وبذلك ينتهي مقرر التربية الوطنية دون أن يشير من قريب أو من بعيد إلى القضية الفلسطينية ، وهذا ما أكد عليه مدرسو هذه المادة⁽¹⁾ ، فالمناهج على حد قولهم لا تتسع لمناقشة محاور أخرى.

في مادة التربية الدينية وعلى خطى دول الخليج العربي (الإمارات ، الكويت والسعودية) غابت القضية الفلسطينية عن الساحة . وفي قراءة عامة بموضوعات هذه المادة تتعرض لموضوع له علاقة بالقضية الفلسطينية في حصة واحدة أو اثنتين في جميع دروس كتب السلسلة ، دون

١- في حوار مع أساتذة للتربية المدنية في مدارس خاصة و رسمية في لبنان.

ربطه بالواقع، والعناوين المطروحة مثل: تحويل القبلة، لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد^(١). إذن هي مبادرات فردية يقوم بها الأساتذة المهتمون باجتهد شخصي منهم دون تدخل من واضعي المناهج أو إدارة المدارس. وفي ظل فسحة من الحرية في إقرار الدروس في مادة التربية الدينية يستطيع الأستاذ اعتماد بعض الدروس الداعمة للقضية الفلسطينية. ولكن بعد لقاء العديد من أساتذة التربية الدينية اتضحت غفلتهم عن هذا الموضوع وانشغالهم بمقرر الكتاب الذي بين أيديهم.

لم يحظ منهاج اللغة العربية بحظ أوفر في تناول القضية الفلسطينية. بل ربما كان الوضع أسوأ حالاً، فالمبادرات الفردية هنا يضيق مجالها ولا يتسع إلا بمبادرة خاصة من أستاذ اللغة العربية.

و بعد التحاور مع أساتذة عدّة في اللغة العربية تتضح قلّة هذه المبادرات فالكمل يهتم بتحقيق هدف أوحده وهو إنهاء المقرر وإن أشار البعض إلى إمكانية التعرض للقضية الفلسطينية من خلال شاعرٍها محمود درويش ونزار قباني اللذين تدرس قصائدُهما في المرحلة الثانوية^(٢)، فتعرض القضية من الوجهة القومية.

إن هذه المبادرات الفردية على أهميتها لا ترقى لمستوى تثقيف الطلاب بالقضية فهي مهمما علا شأنها غير ممنهجة ومنظمة بأطر معينة وغير معمّمة على المدارس كافة، وإنما مقتصرة على جزء يسير منها.

١- في قراءة حول تعريف منهاج التربية الإسلامية بالقضية، أشار الباحث ومؤلف سلسلة دين الحق (لمادة التربية الإسلامية) خالد طنبوذة الحسيني إلى ستة إصدارات كأهم المقررات اللبنانية في مقرر التربية الإسلامية، يتم التطرق فيها بخجل إلى القضية الفلسطينية. وهي تفتقر في جُلّها إلى الوسائل المصاحبة لها من بوسترات أو شرائط كاسيت أو سي دي. وتابع الحسيني قوله بأنه قد كانت لديه النية والرغبة بإحداث شيء من التغيير والإضافة للمناهج اللبنانية الإسلامية الموجودة في سلسلته الجديدة، إلا أنه قد قصّر أيضاً بإفراد القضية الفلسطينية بدرس في كل كتاب. واكتفى بدرس في الصفين العاشر والحادي عشر تحت العنواين التاليين: «المسجد الأقصى، اليهود» في ظل ضمان ربط واضح بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ويقول الحسيني في معرض حديثه: «إذا كان التقصير في مناهج التربية الإسلامية، فلن نلوم من يضع منهاج التاريخ والجغرافيا.»
٢- في حوار مع فضاء صالح منسقة وأستاذة في اللغة العربية في مراحل الثانوية في إحدى المدارس الخاصة أشارت إلى أن القضية الفلسطينية غير مقررة في المناهج إلا أنها تعرف طلابها ببعض المعلومات عن القضية من خلال محور «حب الوطن» فتبدأ المحور بالتعريف بالوطن ثم الانتقال إلى تعريف بالوطن الحر، الوطن السليب، وتطرح الإشكالية: لماذا يعتبر الوطن سليباً؟ ومتى؟ فتسوق مثلاً على ذلك «فلسطين»: ما هي القضية الفلسطينية: خطوات أربعة تعتمدها لتناولها:

- توطئة عبر الباور باونت.

- هجرة اليهود.

- ياسر عرفات ومنظمة التحرير.

- محمود درويش شاعر القضية.

وتعلق الأستاذة صالح قائلة بما أننا نعطي مادة الأدب فإننا لا نتوغل كثيراً كما يفعل مدرس مادة التاريخ إذا أراد المرور على هذه القضية ولكننا نمر ما نريد عبر محطات (أطفال الحجارة، الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، تقاسم العرب).

تقول أستاذة في اللغة العربية في حوار معها ، موضحة تطرقها إلى القضية الفلسطينية في الصف الثاني ثانوي: «بعد تخصيص ساعة لهجرة اليهود تنتقل إلى ساعة للتعرف على معاناة الشعب الفلسطيني التي تحدث عنها كثير من الأدباء و الشعراء».

- من هو محمود درويش؟ ولماذا ندرس أدبه؟

- «سجل أنا عربي» هي القصيدة التي نبدأها حتى نصل إلى معاناة الشعب الفلسطيني وماذا يقدم يوماً من تضحيات.

- بعد التحليل الأدبي لهذه القصيدة نعود إلى مفاتيح معينة (أطفالي ثمانية ، جدي كان فلاحاً ، عقلاً فوق كوفية...) لماذا كان ياسر عرفات يضع العقال و الكوفية؟

- نتدرج شيئاً فشيئاً في القصيدة للوصول إلى:

«يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب»

هذا الشطر من البيت نخصص له ساعة كاملة لشرح التربية الفلسطينية والإعداد النفسي لأولاد الفلسطينيين لمواجهة العدو الإسرائيلي.

- الانتقال إلى القصيدة الثانية:

«أحنّ إلى خبز أمي» و نأخذ من كل قصيدة ما يوافقنا للوصول إلى معالم القضية.

- الانتقال إلى «حوار مع أعرابي أضاع فرسه» لنزار قباني.

هذه القصيدة تسلط الضوء على تفكك الأمة العربية ووصولها إلى ما وصلت إليه.

ثالثاً- مناهج التعليم في مدارس الأونروا.

يبلغ عدد الفلسطينيين المسجلين لدى وكالة الأونروا كلاجئين في ١/١/٢٠١٢ و مقيمين في لبنان ٤٦٥،٧٨٩ فرداً... بمعدل نمو سنوي يقدر بـ ٢.٢٪ ، يعيش حوالي ١ ، ٥٠٪ منهم في المخيمات^(١).

و تظهر البيانات المتوفرة لسنة ٢٠١٠م أن نسبة الأفراد دون ال ١٥ عاماً بلغت ٤٠٪ في حين بلغت نسبة الذين تبلغ أعمارهم ٦٥ عاماً فأكثر ٥٪^(٢).

كما أشارت البيانات المتوفرة لسنة ٢٠١٠م أن متوسط حجم الأسرة الفلسطينية بلغ ٢،٩ أفراد. هذا و تعتبر نسبة الإعالة في قطاع غزة أعلى نسبة تليها الإعالة للسكان الفلسطينيين في الأردن ثم في إسرائيل ثم الضفة الغربية، بينما تشكل في كل من سوريا و لبنان أدنى نسبة إعالة.

١- محسن محمد صالح ، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني ، مرجع سابق ، ص ٢١٨. و هي تضم ما يزيد على ٨٥٪ من الطلبة الفلسطينيين ، و قد أبدت في السنوات الأخيرة تراجعاً في تقديم الخدمات بسبب الانخفاض في ميزانيتها العامة، و اكتظاظ الصفوف بالطلاب (معدل ٤٥ طالباً في الصف الواحد) وانخفاض عدد الأساتذة الجامعيين.

المؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان، تدني المستوى التعليمي في أوساط اللاجئين الفلسطينيين في لبنان... لماذا؟ ، مقال على الإنترنت ، ٢٠١٢.

٢- محسن محمد صالح ، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني ، مرجع سابق ص ٢٨.

أما بالنسبة للمناهج المعتمدة في مدارسها فهي المناهج اللبنانية، غاب عنها كتاب تاريخ وجغرافية فلسطين... وهذا أمر ليس بالهين، فأن يسلب التاريخ الوطني من فكر جيل، سلب لهويته و انتمائه، تقول شهناز الغار^(١): «أن الهوية لا تورث وهي تبنى ومن السبل لبنائها هي المناهج التعليمية، و مصادرتها أخطر من مصادرة الأرض، فإذا بقيت الهوية يمكن إعادة الأرض وبناء المنازل^(٢). ولكن إن ذهبت الهوية تعثر إعادة الأرض.. فمن المسؤول عن تعزيز الهوية الفلسطينية؟ وهل تتحمل الأونروا مسؤولية غياب القضية الفلسطينية عن مناهجها؟ أم أن لا حول لها ولا قوة إزاء ما يعرض في المناهج اللبنانية، فاللوم يقع في النهاية على غياب مناهج وثقافة مدرسية فلسطينية.

في الحقيقة إن غياب تاريخ و جغرافية فلسطين عن المناهج التربوية في مدارس الأونروا يثير نقاشاً حاداً حول حقها في تغييب المادتين عن الفكر الطلابي و خوفاً من الآثار السلبية المترتبة التي تورث الأجيال المتعاقبة عمقاً في الجهل الفكري بوطنهم و قضيتهم. وقد انقسم الفلسطينيون بين متهم للأونروا بتعمد التغييب و بين ملتزم لها العذر في كونها تتبع مناهج الدولة^(٣) التي يقيم فيها الفلسطينيون.

إلا أن مسؤول مكتب شؤون اللاجئين في حركة المقاومة الإسلامية حماس، ياسر عزام اتهم الأونروا بتعمد التغييب^(٤)، ذاك أن التطورات السياسية و الأمنية التي واجهتها القضية كانت تنعكس على المجال التربوي، فاستغلت الظروف السياسية و الأمنية لتغييب المادة ضمن مسار تغييب فلسطين عن ذاكرة أبنائها بغية إنهاؤها كقضية كبرى^(٥).

و كان حقاً على أولياء الأمور طرح مخاوفهم الخاصة بضعف الثقافة الوطنية نتيجة سياسة الأونروا انتهاجها للمناهج التعليمية، لا سيما أن «حوالي ٣٣ ألف طالب و طالبة، أي أكثر من نصف الطلاب الفلسطينيين في لبنان يدرسون في ٧٥ مدرسة تابعة للأونروا»^(٦) و يبرر بعض مدرّسي التاريخ عدم قدرة الأونروا على التأثير في المناهج الدراسية، فلا بد أن نذكر كلمة «العدو» و هذا ما لا توافق اليونسكو عليه^(٧).

١- المديرية العامة للمعهد الوطني للتدريس التربوي في وزارة التربية و التعليم الفلسطينية.

٢- حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، ندوة الواقع التربوي الثقافي الفلسطيني، ٢٠١١/١/١٠، بيروت.

٣- هي دول خمسة: لبنان، سوريا، الأردن، غزة و الضفة الغربية.

٤- أطلقت مسابقة ثقافية وطنية تتضمن عدداً من الأسئلة حول تاريخ و جغرافية فلسطين و تطور القضية الفلسطينية و توجهت إلى الأطفال و الناشئة في مدارس الأونروا و فوجئت برفض القائمين على دائرة القلم في الأونروا توزيعها على الطلاب.

٥- نقولا طعمة، رابطة المعلمين الفلسطينيين في لبنان، تاريخ فلسطين يغيب عن مناهج الأونروا الجزيرة ٢٦/١١/٢٠١١.

٦- سامر المناع، الأطفال الفلسطينيون في لبنان يتخبطون في أزمة الهوية و الانتماء، مكتبة الأخبار، أخبار فلسطين و الوطن العربي، الانترنت، بيروت، ٢٤/٣/٢٠١١.

٧- نقولا طعمة، «تاريخ فلسطين يغيب عن مناهج الأونروا»، مرجع سابق.

رابعاً- مساع لتوعية الطلاب بالقضية الفلسطينية

إزاء واقع تغيب القضية الفلسطينية عن المناهج المدرسية في لبنان، بدأت القضية تضرر في فكر الشباب، فعلى صعيد أكثر من أربعمئة وخمسين ألف لاجئ فلسطيني في لبنان تستبعد القضية عن فكرهم تماماً وتدرس القضايا العربية الأخرى في محاولة لحذفها من مناهج الدول العربية ومحوها من الخريطة الجغرافية للمنطقة.

غيبت القضية عن المناهج المدرسية اللبنانية ليتخرج جيل لا يذكر من فلسطين سوى اسمها وبعض الحكايا التي يسمعونها من أجداده... جيل لا يعلم شيئاً عن وقفات أساسية في تاريخ القضية مثل ذكرى النكبة، الانتفاضة، ذكرى إحراق الأقصى...

فلا بد إذن من اللجوء إلى مساع جادة تواجه التحديات المفروضة والمكبلة للفكر العربي، ولعل أولى هذه المساعي تتمثل في التنقيب عن مؤسسات تثقيفية، جمعيات، منظمات لتلعب دورها في توعية الشباب وإضاءة الفكر بتاريخ القضية ومستلزمات الدفاع عنها.

من هذه المؤسسات كانت مؤسسة القدس الدولية التي تعنى بشؤون القدس وتحاول جاهدة نشر الوعي بالقضية وتثقيف الشباب بالمعلومات الأولية⁽¹⁾ والمطامع الصهيونية المرتقبة.

وفي مساع أخرى، تجميع الجهود وترتيب لقاء مع واضعي المناهج اللبنانية في مواد التاريخ، الجغرافيا، الاجتماع، اللغات، التربية الدينية والتربية المدنية لتكريس بعض الدروس التي تهدف إلى توعية الفكر بمطامع العدو الصهيوني والتبصير بمخططاته المستقبلية. وإن تعذر الأمر مع تعذر الاتفاق على منهاج موحد للتاريخ اللبناني، لا بأس من اللجوء إلى مدرء المدارس لأخذ القضية الفلسطينية على عاتقهم⁽²⁾ وتدريسها عبر بعض المقررات تدريساً منهجياً ثابتاً. واعتماد بعض الأنشطة المنهجية وغير المنهجية لتدعيم الولاء للقضية ولتكريس الشعور بالتضامن الوطني مع الفلسطينيين..

١- في حوار مع هشام يعقوب مدير الإعلام والمعلومات في مؤسسة القدس الدولية، وسؤاله عن رؤيته المستقبلية لتثقيف الشباب بالقضية الفلسطينية، أجاب بأنه قد انبثق عن مؤسسة القدس الدولية رابطة شباب من أجل القدس العالمية عملها منهجي و ثابت. وهو مشروع يدار على مستوى الدول العربية أطلق عليه اسم «برنامج سفراء القدس» وهو عبارة عن إطلاق محاضرات دورية طوال السنة (دورة بمعدل كل شهر تطرح محاضرات متخصصة عن القدس بعنوانين متميزة).

وفي عمل غير منهجي تقوم بإعطاء محاضرات توعية عن القضية.

ويتابع يعقوب «أصبح هناك دبلوم يدرس عبر الانترنت» دبلوم دراسات اللاجئ (أنشأه مركز العودة الفلسطيني في لندن ولديه ممثلون في بيروت، مدة الدبلوم ستة أشهر، و نقيم أحياناً دورات مختصرة لمدة ١٥ يوماً، وهي مجانية عبر الانترنت وتتناول معلومات عن القدس». وعن مشاريعهم المستقبلية يتابع يعقوب: نسعى لإنشاء معهد المعارف المقدسية، وقد أنشأناه في جامعة الخرطوم في السودان و نعتزم إقامته في دول عربية أخرى.

٢- وهو محاكاة للتجربة الموجودة في بريطانيا على يد د. عبد الفتاح عويسي المشرف على كرسي الدراسات العليا، وقد خرج أجيالاً عدة منذ سنوات خلت.

وقد قامت بعض المدارس^(١) بهذه المبادرة فأعلنت إدراج موضوع القضية الفلسطينية كمحور تعليمي من خلال أنشطة منهجية و لا منهجية اعتباراً منها أن الوقوف مع قضية فلسطين يمكن التعبير عنها بكل الوجوه و منها التربوية. و أطلقت سلسلة أنشطة استنكاراً لحصار غزة. ووزعت المدرسة على طلابها بياناً دعت فيه أهاليهم إلى التحاور مع أبنائهم لترسيخ مفهوم القضية الفلسطينية و حقوق الشعب الفلسطيني^(٢).

و في مساع أخرى يمكن اعتمادها و هي على قدر كبير من الأهمية ، استثمار الإعلام كيقو ينفخ فيه للترويج للقضية ، فالخطة الصهيونية المعتمدة اليوم ترمي إلى تميع صورة القضية عبر الإعلام المرئي و المسموع و التعتيم عليها قدر الإمكان و العمل على إلهاء الشعب العربي بقضايا أخرى تلهيه عما يحدث في أرض القدس سعياً لانتزاع القدس من فكره شيئاً فشيئاً...

فالجهد إذن توفر الآن لبدلها في قنوات الإعلام و برامجها لتناهض السموم المبتوتة لتروية الفكر العربي. و اليوم و في ظل تزايد المحطات الهادفة أصبح من الأيسر بث البرامج الموجهة للدعم الفلسطيني و توضيح الحقائق التاريخية.

و هنا يتسع المجال و اسعاً لامكانية استثمار الإنترنت لصالح القضية. فالمعركة اليوم معركة حضارية حتى مع قوى إقليمية مثل إسرائيل ، مركز التقدم العلمي و صاحبة اليد العليا في التكنولوجيا ، فلا بد إذن من جهوزية العقل العربي لدخول التحدي المعلوماتي و تحقيق التوازن الاستراتيجي حيالها.

و ليس من الصعب الدخول في هذا السيناريو ، خاصة أن الشباب العربي في قسم منه لديه ميّزات نسبية من العلم و الفن و الخبرة في مجال الإنترنت ، والنجاح في هذا السيناريو سوف يؤدي إلى «تمهيد الطريق أمام العمل الوحدوي العربي و الإسراع بوتيرته ، بمثل ما حدث مع الاتحاد الأوروبي حيث استطاعت الثورة المعلوماتية بقدرتها على اختزال المسافات و كسر الحواجز و توحيد نظم المعلومات و رفع درجة الأداء الذي أوصل تلك الأقطار إلى الاتحاد بدل

١- هي ثانوية حسام الدين الحريري التابعة لجمعية المقاصد الخيرية ، و قد بادرت إلى ذلك تضامناً مع أبناء غزّة و تجاوزاً مع نداء النائبة الحريري ، و قد دعت المديرية هنادي الجرذلي كشبكة مدرسية إلى تنظيم مؤتمر تروبي على مستوى الدول العربية لإدراج القضية الفلسطينية في مناهج التعليم في كل المدارس العربية.

٢- في سياق المناهج يمكن استثمار منهاج التربية الدينية للتعرض من خلاله للقضية، وهذا أمر ليس بالصعب و يمكن اعتماده من قبل دار الافتاء أو بمبادرات فردية عبر تأليف كتب التربية الدينية بحلّة جديدة مميّزة مزوّدة بمادة مرثية و مسموعة و اعتمادها في المدارس.

ويمكن اقتراح التعرض للعناوين التالية التي تصب في إطار التعريف بالقضية الفلسطينية: «اليهود ، عقيدتهم و تاريخهم ، مكانة المسجد الأقصى ، المعركة الفاصلة بين المسلمين و اليهود ، جغرافية أرض فلسطين اختيار تراجم من صحابة النبي صلى الله عليه و سلم عاشوا في الأرض المباركة و استشهدوا فيها ، محطات في سيرة النبي صلى الله عليه و سلم (الآيات ٢٠/٢٦ سورة المائدة) ، فترة الاحتلال البريطاني و التعرض لسيرة المجاهد عز الدين القسام... دروس من غزّة ماضياً و حاضراً.»

الاقتصار على مجرد سوق أوروبية مشتركة»^(١).

والانترنت في أدنى درجات استعماله مصدر هام للمعلومات ، يستقي منه الشباب معلوماتهم عن القضية ، يجارون به أحداثها ومستجداتها ، وعلى «مستوى التضامن معها تعتبر مشاركتهم على الانترنت جيدة وفعالة»^(٢).

وعلى ذلك لا بد من استثمار هذه الوسيلة التكنولوجية على أبعد مدى وإطلاقها مدوية بين وسط الشباب ليعوا أهميتها ويدركوا أبعادها.

وأخيراً فإن مساعي كثيرة يستطيع المرء القيام بها إن وجدت الإدارة . فالعقل العربي معروف عنه الحنكة وحسن التدبير إذا أراد ، ولن يتوانى هذا العقل عن تقديم الأفكار والاقتراحات المميزة لدعم هذه القضية وتبنيها.

الخاتمة

إن القضية الفلسطينية هي قضية الأمة المسلمة ، وهزيمتها هزيمة للأمة المسلمة فلا بد أن يعي كل مسلم هذا الأمر و ألا تغيب عنه الحقيقة ، ليكرسها في فكر إخوانه وأبنائه و طلابه ، فالخطة الصهيونية تسعى لتغيب فلسطين عن الفكر المسلم أملاً في تغييبها عن الخريطة السياسية...

والشباب المسلم اليوم أكبر من هذه اللعبة و حري به امتهان كل السبل للتوعية بخطورة القضية، و بالدعوة إلى تدريسها منهجياً في المقررات المدرسية و الجامعية...

١- وجدي سواحل: ٢٠٠١، إنتفاضة الانترنت ، مصر، ط١ ، ص ١٠٢.

٢- هشام يعقوب ، مدير الإعلام و المعلومات في مؤسسة القدس الدولية ، في حوار معه ، مرجع سابق.

جهد علي توفيق المومني

استاذ مساعد

جامعة الملك سعود

صالح محمود بني ياسين

أستاذ

مسؤول الجودة ، مدارس منارات الرياض

«مدى امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط في المدارس العالمية بالرياض للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم»

الفصل الاول: خلفية الدراسة

المقدمة:

إن عملية إكتساب المهارات الحياتية من النواتج الهامة للمنهاج في اي مرحلة دراسية وهذا لا يقتصر على مقرر دون آخر بل هي مسؤولية مشتركة لا يمكن اغفالها في اي مقرر؛ ودليل ذلك ان التربية في جوهرها معنية باكساب المهارات الحياتية التي تؤهل المتعلمين لمعايشة الناس والتعامل معهم وتمكنهم من العمل والمشاركة في العملية التنموية (سعيد، ٢٠٠٣: ٢).

لقد اصبح موضوع المهارات الحياتية يحظى باهتمام بالغ على المستوى العالمي؛ ففي تقرير اليونسيف (٢٠٠٦) تم الاشارة الى ان ١٦٤ دولة في العالم التزمت بمادة التعليم للجميع والتي أقرت تضمين المهارات الحياتية كوسيلة لتمكين الشباب من مواجهة ما يتعرضون له من مواقف وإكسابهم المعارف التي تبني على السلوك الصحيح السليم، ويعد هذا التعليم عنصراً مهماً في تعريف اليونسيف للتعليم النوعي. كما أشار اجتماع مجلس قمة جامعة الدول العربية (٢٠٠١) والمنعقد في الاردن الى ضرورة تمكين الطفل من حقة في التنشئة والتربية والتعليم

النوعية التي من خلالها يتم تنمية قدراته الإبداعية ومهاراته الحياتية، وتوليد القيم الأخلاقية والإجتماعية (سعدالدين : ٢٠٠٧).

وتماشياً مع الاهتمام بالمهارات الحياتية؛ فقد تسابقت الدول في موضوع تضمين المهارات الحياتية ضمن مقرراتها، ومن الامثلة على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي يتم فيها تدريس المهارات الحياتية ضمن المنهج العام للمدارس، وكل ولاية تختار البرنامج المناسب لها، حيث تتعدد البرامج العاملة في ميدان التدريب على المهارات الحياتية، ومن أشهر هذه البرامج في الولايات المتحدة (بناة السلام، الخطوة الثانية، كاساستارت، سور، راجع واربتل).

اما في بريطانيا فالمهارات الحياتية جزء من المقرر الدراسي، فقد أعادت بريطانيا هيكلتها مناهجها في عام ٢٠٠٧، وكان من ضمن التغييرات إضافة مهارات حياتية جديدة ذات ارتباط أكثر بواقع الطلاب البريطانيين مثل المهارات المتعلقة بالشؤون المالية وغيرها، وكثير من المقاطعات البريطانية تمنح جوائز سنوية للمدارس والطلاب المتميزين في مجال المهارات الحياتية.

وفي الهند يتم تدريس المهارات الحياتية والتدريب عليها من قبل منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدولية. وفي بعض المدن يتم تضمين المهارات الحياتية ضمن المنهج المقرر، مثل مدينة شانديكار (Chandigarh).

ومن الامثلة على ما سبق في الدول العربية دولة عمان التي يتم فيها تدريس المهارات الحياتية كمقرر مستقل في جميع مراحل التعليم العام (١-١٢)^(١). اما في فلسطين فقد بدأت وزارة التربية والتعليم بتضمين المهارات الحياتية في النشاطات المنهجية واللامنهجية للمساعدة في تطبيق منهج شمولي بعيد المدى في تعليم المهارات الحياتية للطلبة، ومن هذه المناهج منهاج التكنولوجيا والعلوم التطبيقية الذي هدف إلى إكساب المتعلمين العديد من المهارات الحياتية التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية وخاصة تلك المتعلقة بالتعايش التكنولوجي ومجابهة آثاره على حياة الأفراد (سعد الدين: ٢٠٠٧).

مشكلة الدراسة :

نظراً للتسارع الشديد في النمو المعرفي والتقني والقيمي والذي يشهده العالم بين الحين والآخر؛ فقد اصبح من الضروري تحديث المتطلبات والاحتياجات اللازمة لمواكبة تحديات العصر وتلبية احتياجاته وتحقيق تناغم إيجابي معه، وهذا ما يستدعي مزيداً من الجهود المنظمة والمركزة للقيام بذلك وهو ما ضاعف بدوره العبء على المؤسسات التربوية والتعليمية بأن تسعى

١- من السنة الأولى الدراسية التي تبدأ بالإبتدائي إلى نهاية التعليم العام الثانوي ويشمل ذلك ١٢ سنة دراسية تساوي ٦ للإبتدائي و٣ للمتوسط و٣ للثانوي

لتزويد طلابها وتمكينهم من المهارات التي ترقى بهم ليعيشوا أوصحاء إيجابيين ومشاركين في البناء والعطاء في مجتمع المعرفة وقادرين على مواكبة المتغيرات الحادثة في القرن الحادي والعشرين.

وتأتي هذه الدراسة من أجل الكشف عن مدى امتلاك طلبة المرحلة المتوسطة في المدارس العالمية بمدينة الرياض للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم، حيث اكدت العديد من الدراسات التي اجريت في هذا المجال مثل دراسة (العياد وسعد الدين: ٢٠١٠؛ العوض: ٢٠٠٨؛ اللولو: ٢٠٠٥) على اهمية اكساب وتنمية المهارات الحياتية لدى المتعلمين بشكل فاعل لكي تمكنهم من مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي والتفجر المعرفي الهائل الذي يشهده العالم كل يوم، فهذه الدراسة تأتي للوقوف على مدى امتلاك الطلبة في عينة الدراسة للمهارات الحياتية والتي من شان نتائجها ان تسهم في تقديم صورة واضحة عن مدى ملائمة محتوى مقرر العلوم واسهامه في اكساب طلبة الصف الثالث متوسط في المدارس العالمية للمهارات الحياتية المطلوبة، فهي بذلك تساعد وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية على تقييم وتطوير محتوى المقررات العلمية المقدمة للمتعلمين في المدارس.

اسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما مدى امتلاك طلبة المرحلة المتوسطة في المدارس العالمية بمدينة الرياض للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم من وجهة نظرهم؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق بين استجابات طلبة الصف الثالث المتوسط على محاور المهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم تعزى لمتغير الجنس؟

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١- الكشف عن مدى امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم في المدارس العالمية في مدينة الرياض.

٢- معرفة الفروق في درجة امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط للمهارات الحياتية من وجهة نظرهم تبعاً لمتغير الجنس.

ثالثاً- أهمية البحث:

تمثلت أهمية البحث الحالي في أنه قد يفيد في:

١- تحديد جوانب القوة والضعف في درجة امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط للمهارات الحياتية المتضمنة في مقرر العلوم، لكي يتم معالجة ذلك اثناء تطوير وتنفيذ المحتوى.

٢- بناء مناهج جديدة تركز على تنمية المهارات الحياتية لدى الطلبة.

٣- استفادة وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية من نتائج البحث في عملية تطوير المناهج بحيث يراعى فيها جانب توظيف وتنمية المهارات الحياتية لكل من المعلمين والطلبة.

رابعاً- مصطلحات الدراسة :

• المهارات الحياتية: هي مجموعة من المهارات المرتبطة بمحتوى مقرر العلوم، والتي يتعلمها المتعلمين بصورة مقصودة عن طريق مرورهم بخبرات علمية منهجية تكنولوجية، تمكنهم من مواجهة المواقف والتحديات التي يواجهونها داخل وخارج الموقف التعليمي، وهذه المهارات موزعة على أربعة محاور أو مجالات هي:

- مجال مهارات التفكير وحل المشكلات: يقيس قدرة الطالب على التفكير وحل المشكلات العلمية والرياضية من خلال الاختيار بين البدائل المتعددة أو إيجاد حلول عملية مبتكرة.

- مجال مهارات العمل الجماعي / التعاوني: تقيس قدرة الطالب على العمل مع زملائه على شكل مجموعات اثناء الموقف التعليمي، في جويسوده الاحترام والتعاون والانسجام بين الطلبة لتحقيق اهداف مشتركة.

- مجال مهارات التواصل: يقيس قدرة الطالب على تبادل الافكار أو المعلومات أو الأنشطة في المحتوى العلمي لمقرر العلوم بالمرحلة المتوسطة العليا بين الطلبة أنفسهم أو بين الطلبة والمعلمين، وذلك من خلال الكلام أو الكتابة أو الايماءات أو الرسومات والتجارب العلمية أو تكنولوجيا المعلومات.

- مجال مهارات المسؤولية الشخصية: يقيس قدرة الطالب على تحديد احتياجاته الخاصة وتحمل مسؤولية افعاله وواجباته والتفريق بين الصواب والخطأ، والتصرف بشكل مسؤول مع الابقاء على المصلحة العامة.

• مقرر العلوم: مقرر العلوم الذي يدرسه طلبة الصف الثالث المتوسط في مدارس عينة الدراسة.

خامساً- حدود البحث

- حدود مكانية : المدارس العالمية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.
- حدود زمانية: ٢٠١١-٢٠١٢م
- حدود موضوعية : الكشف عن مدى امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط في المدارس

العالمية بالرياض لمجموعة من المهارات الحياتية تتمثل في اربعة مجالات هي (مهارات حل المشكلات، التواصل، العمل الجماعي، وتحمل المسؤولية الاجتماعية) .

خامساً- فروض البحث:

١- عدم امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط في المدارس العالمية بمدينة الرياض للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم.

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات طلبة الصف الثالث المتوسط على مقياس المهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم، تبعاً لمتغير الجنس. منهج الدراسة : تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي نظر لمناسبته لأهداف هذه الدراسة وتساؤلاتها.

أداة الدراسة :

لتحقيق اهداف الدراسة قام الباحثان ببناء استبانة مكونة من جزئيين: الأول؛ يتكون من مجموعة من البيانات الشخصية، والثاني؛ يتكون من (٤٠) فقرة تمثل المهارات الحياتية اللازمة لطلبة الصف الثالث متوسط في مقرر العلوم موزعة على اربعة محاور هي: (مهارات حل المشكلات والتفكير ، مهارات العمل الجماعي ، مهارات التواصل ، مهارات تحمل المسؤولية الشخصية) ، بحيث يتم الاستجابة عليها من (١-٥) وفق تدرج ليكرت (Likert) الخماسي، وبناء على ذلك فان الدرجة الكلية للمقياس تتراوح بين (٤٠) درجة في حدها الأدنى و(٢٠٠) درجة في حدها الأعلى. وقد استفاد الباحثان اثناء بناء الاستبانة من الادب النظري والدراسات السابقة المتعلقة بالمهارات الحياتية مثل دراسة (السوطري وآخرون: ٢٠٠٩، اللقاني وفارعة، ٢٠٠١).

المعاملات العلمية للاستبانة :

- صدق المحتوى للاستبانة: لمعرفة صدق المحتوى قام الباحثان بعرض الاستبانة على عدد من المحكمين المتخصصين في المجال بلغ عددهم (٧) محكمين، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى ملاءمة فقرات الاستبانة لقياس ما وضعت من اجله، وكذلك اقتراح ما يروونه مناسباً من فقرات وأفكار أو تعديل الصياغات اللغوية للفقرات . وفي ضوء ردود المحكمين التي تم الاخذ بها سواء بالاضافة أو الحذف أو التعديل لصياغة الفقرات؛ تم الإبقاء على الفقرات التي اتفق عليها بنسبة ٩٢٪ مع إجراء التعديلات والاقتراحات المناسبة التي وردت من المحكمين، في حين تم إلغاء الفقرات التي لم يتم الاتفاق عليها، ليصبح عدد فقرات الاستبانة بصورتها النهائية (٤٠) فقرة، موزعة على اربعة محاور.

• ثبات الاستبانة: تم حساب معامل الثبات بطريقتين هما:

أولاً- طريقة الاتساق الداخلي (كرونباخ ألفا): لقد تم استخدام معادلة الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا للمجموع الكلي للمقياس، وكذلك لكل بعد من أبعاد المقياس الأربعة، وقد تراوحت معاملات الثبات لأداء جميع أفراد العينة على كل بعد (مجال) من مجالات المقياس على النحو الآتي المبين بالجدول رقم (١).

الجدول رقم (١) قيم معامل الثبات لكل مجال من مجالات المقياس

معامل الثبات (كرونباخ ألفا)		المجال
ذكور	إناث	
٠،٨٧	٠،٧١	الأول
٠،٧٤	٠،٦٢	الثاني
٠،٧٣	٠،٧٦	الثالث
٠،٨٥	٠،٨٠	الرابع
٠،٩٢	٠،٩٤	الكلي

يتبين من الجدول السابق أن معاملات الثبات للمجموع الكلي للمقياس تراوحت بين (٠،٩٢) و(٠،٩٤) لأداء الذكور والإناث على التوالي. وان معاملات الثبات للأبعاد الفرعية للمقياس حسب متغير الجنس مرتفعه حيث تراوحت بين (٠،٦٢) و(٠،٨٧) وقد بلغت قيمة المعامل للمقياس الكلي (٠،٩٢) لكلا الجنسين، وهذا ما يدل على ان المقياس يتمتع بدرجة ثبات مناسبة.

ثانياً: الاختبار وإعادة الاختبار

لقد اتخذ الباحث من طريقة إعادة الاختبار وسيلة أخرى لقياس مدى ثباته، ومدى استقرار نتائجه، وقام الباحث بتطبيق المقياس مرتين على عينه مكونه من (٥٠) طالباً وطالبة من غير افراد العينة النهائية . وتبين أن قيم هذه المعاملات عالية وذات دلالة إحصائية ؛ حيث بلغ معامل الارتباط بين مرتتي الإختبار (٠،٩١).

• تصميم الدراسة والمعالجة الإحصائية:

اشتملت هذه الدراسة على المتغيرات الآتية:

أولاً: المتغير المستقلة: الجنس (ذكور/ إناث)

ثانياً: المتغير التابع: امتلاك طلبة الصف الثالث متوسط بالمدارس العالمية في الرياض للمهارات الحياتية في مقرر العلوم.

• المعالجات الإحصائية:

لإبراز النتائج احتاجت الدراسة الى حساب كل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار T-test، وذلك باستخدام برنامج (SPSS) لتحليل ومعالجة البيانات إحصائياً.

الفصل الثاني: الادب النظري والدراسات السابقة

أولاً: الأدب النظري: وقد تم عرضه من خلال الأبعاد التالية:

• البعد الأول: مفهوم المهارات الحياتية:

تعد المهارات الحياتية أحد أهم المهارات اللازمة لجميع أفراد مجتمع؛ فهي تمكنهم من التعايش مع مجتمعهم الذي يعيشون فيه، وتساعدهم على حل مشكلاتهم اليومية والتفاعل مع مواقف الحياة المختلفة، وقبل الحديث عن تعريفات المهارات الحياتية، لا بد من تعريف مفهوم المهارة، وذلك على النحو الآتي:

- تعريف المهارة :

يعرف كوترييل (Cottrell, 1999) فيعرف المهارة بأنها: «القدرة على الأداء والتعلم الجيد وقتما نريد، فهي نشاط متعلم يتم تطويره خلال ممارسة نشاط ما تدعمه التغذية الراجعة، وتتكون كل مهارة من مهارات فرعية أصغر منها؛ بحيث لو حدث قصور في أي منها سيؤثر على جودة الأداء الكلي». ويعرف جود GOOD في قاموس التربية المهارة بأنها «أي شئ يتعلمه الفرد ليؤدي به بسهولة ودقة، وقد يكون ذلك أداءاً جسمانياً أو عقلياً»⁽¹⁾

اما (الغزاوي: ٢٠٠١) فيعرفها بأنها القدرة على إنجاز عمل ما بسهولة، بينما نعني بها في احيان أخرى إنجاز عمل الشئ نفسه ولكن بدقة وإتقان.

نلاحظ من التعريفات السابقة وجود اوجه تشابه تشير في مجملها إلى ان المهارة هي القدرة على الأداء بفعالية وإتقان.

- تعريف المهارات الحياتية: لقد تعددت التعريفات التي اشارت الى مفهوم المهارات الحياتية ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

يعرف هكنر (Hegner, 1992, 25) المهارات الحياتية بأنها: «مجموعة من المهارات المرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد، وما يتصل بها من معارف وقيم واتجاهات يتعلمها بصورة مقصودة ومنظمة عن طريق الأنشطة والتطبيقات العملية، وتهدف إلى بناء شخصيته المتكاملة بالصورة التي تمكنه من تحمل المسؤولية والتعامل مع مقتضيات الحياة اليومية بنجاح وتجعل منه مواطناً صالحاً»

(العوض: ٢٠٠٨، ص ١٨)

اما داوسون (Dawson 1999) فيعرف المهارات الحياتية بأنها «الرغبة والقدرة على حل مشكلات حياتية شخصية أو اجتماعية ، أو مواجهة تحديات يومية، أو إجراء تعديلات وتحسينات في اسلوب حياة الفرد والمجتمع ونوعيتها، بحيث يتم قياس قوة وضعف المهارات الحياتية لدى الفرد من خلال تقديرنا لاختيارات الفرد، فكلما كانت الاختيارات جيدة وصائبة كانت مهاراته الحياتية قوية».

وتعرفها منظمة الأمم المتحدة للطفولة (Unicef, 1998) بأنها: «المهارات التي تمكن الفرد من التكيف علي نحو إيجابي في محيطه ، وتجعله قادراً علي التعامل مع متطلبات الحياة اليومية وتحدياتها. اما منظمة الصحة العالمية فتعرف المهارات الحياتية بأنها : (تلك المهارات التي تساعد على تعزيز النمو الصحي للطفل والتفاعل الاجتماعي الإيجابي ومواجهة الظروف الاجتماعية المتغيرة (Who, 1999)».

وعرف (اللقاني وفارعة، ٢٠٠١، ص٢١٥) المهارة الحياتية بأنها «أي عمل يقوم به الإنسان في الحياة اليومية التي يتفاعل فيها مع أشياء ومعدات وأشخاص ومؤسسات ، وبالتالي فإن هذه التفاعلات تحتاج من الفرد أن يكون متمكناً من مهارات أساسية».

بينما عرفتها عمران وآخرون^(١) بأنها «تلك المهارات التي لا غني للفرد عنها ليس فقط لإشباع حاجاته الأساسية ، وإنما من أجل مواصلة البقاء واستمرار والتقدم وتطوير أساليب معاشة الحياة في المجتمع». وفي تعريف آخر للولو^(٢) يشير إلى أن المهارات الحياتية هي «القدرات العقلية والوجدانية والحسية التي تمكن الفرد من حل مشكلات أو مواجهة تحديات الحياة اليومية ، أو إجراء تعديلات علي أسلوب حياة الفرد أو المجتمع».

وهناك تعريف آخر لـ(عياد وسعد الدين :٢٠١٠) يرى أن المهارات الحياتية هي «مجموعة المهارات المرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها المتعلم ويتعلمها بصورة منظمة عن طريق مروره بخبرات منهجية تكنولوجية، تعينه على مواجهة المواقف والتحديات».

ويعرفها باستين وفينيتا (Bastian, Veneta 2005) بأنها «مجموعة أعمال وأنشطة يقوم بها الإنسان في الحياة اليومية ، وتتضمن تفاعل الفرد مع أشياء ومعدات وأشخاص ومؤسسات، وتتطلب هذه التفاعلات تمكن الفرد من التعامل معها بدقة ومهارة». اما لانوكي Lannucci 2001 فيشير إلى أنها «المهارات أو السلوكيات اللازمة للأفراد لمساعدتهم علي أن يسلكوا بالطريقة المقبولة ، كالقدرة علي التواصل وحل المشكلات الاجتماعية ، وفهم الذات ، وتقدير

١- (٢٠٠١، ص ١٠)

٢- (٢٠٠٥، ص ٥)

الذات ، وتكوين علاقات ناجحة مع الآخرين»^(١).

لقد أشارت^(٢) الى أن تعدد تعريفات المهارات الحياتية سببه تعدد البيئات والثقافات التي ينتمي اليها الفرد، ولكنها بشكل عام مهارات تركز على مساعدة الاطفال والشباب على مواجهة التحديات اليومية ، وهي تختلف بذلك عن مهارات القراءة والكتابة والرياضيات التي يتم تعلمها في المدرسة، ويمكن تحديد المهارات الحياتية اللازمة في مجتمع ما تبعا لطبيعة العلاقة التبادلية بين الفرد والمجتمع ، وتبعاً لطبيعة وخصائص المجتمع ودرجة تقدمه ، كما ان المهارات الحياتية اللازمة لفرد في المجتمع قد تختلف من فترة زمنية لأخرى تبعا لاختلاف معطيات كل فترة زمنية في حياة المجتمعات وتطورها.

بالنظر الى التعريفات السابقة فإنه يمكننا تحديد ثلاثة مداخل لتعريف المهارات الحياتية اشار اليها (الباز وخلييل:١٩٩٩) المشار اليهما في (العياد وسعد الدين: ٢٠١٠) ؛ ويعزى السبب في ذلك إلى عدم وجود قائمة محددة لهذه المهارات ، وهذه المداخل هي:

١. المدخل الأول: يعرف المهارات الحياتية بأنها مجموعة الأداءات والاختيارات الشخصية التي تسبب أو تزيد من سعادة وفائدة وراحة الفرد، مثل (Cottrell,1999؛ Hegner,1999).
٢. المدخل الثاني: يعرف المهارات الحياتية بأنها القدرات العقلية والحسية المستخدمة في تحقيق أهداف مرغوبة لدى الفرد، مثل (الغزاوي:٢٠٠١؛ Springs،٢٠٠٢؛ اللولو،٢٠٠٥).
٣. المدخل الثالث: يعرف المهارات الحياتية بأنها مجموعة العمليات والإجراءات التي من خلالها يستطيع الفرد حل مشكلة أو مواجهة تحدٍ أو إدخال تعديلات في مجالات حياته، مثل (داوسون:١٩٩٩؛ عمران وآخرون: ٢٠٠١؛ العوض:٢٠٠٨؛ عياد وسعد الدين: ٢٠١٠).

البعد الثاني: تصنيف المهارات الحياتية

ليس هناك تصنيف موحد للمهارات الحياتية، وإنما يتم تحديد هذه المهارات الحياتية من خلال معرفة حاجات الطلاب وتطلعاتهم، وبحسب المشكلات التي تظهر عندما لا يحقق الطلاب السلوكيات المجتمعية المتوقعة منهم، ومن خلال ذلك يتم الرجوع إلى القوائم والنماذج التي افترضها المتخصصون كمهارات للحياة، ويمكن الإشارة الى بعض هذه التصنيفات على النحو الآتي:

أولاً: صنفت (عمران وآخرون،٢٠٠١) المهارات الحياتية باعتبارها مهارات أساسية لا غنى للفرد عنها في تفاعله مع مواقف حياته اليومية إلى قسمين:

١- (عياد وسعدالدين:٢٠١٠)

٢- (عمران وآخرون، ٢٠٠١)

١. مهارات ذهنية. ومن أمثلة المهارات الذهنية: (صناعة القرار، حل المشكلات، التخطيط لأداء الأعمال، إدارة الوقت والجهد، ضبط النفس، إدارة مواقف الصراع وإجراء عمليات التفاوض، إدارة مواقف الأزمات والكوارث، ممارسة التفكير الناقد، ممارسة التفكير المبدع).

٢. مهارات عملية. ومن أمثلة المهارات العملية: (العناية الشخصية بالجسم، العناية بالملبس، استخدام الأدوات والأجهزة المنزلية، العناية بالأدوات الشخصية، اختيار المسكن والعناية بالمسكن والأثاث المنزلي، إجراء بعض الإسعافات الأولية، حسن استخدام موارد البيئة وترشيدها).

ثانياً: وضعت منظمة الصحة العالمية تصنيفاً للمهارات الحياتية اللازمة للفرد والتي يمكن تمهيتها من خلال البرامج التعليمية في جميع المراحل الدراسية؛ واشتمل هذا التصنيف على عشر مهارات أساسية تعد أهم مهارات الحياة بالنسبة للفرد وهي:

مهارة اتخاذ القرار، مهارة حل المشكلات، مهارة التفكير الإبداعي، مهارة التفكير الناقد، مهارة الاتصال الفعال، مهارة العلاقات الشخصية، مهارة الوعي بالذات، مهارة التعاطف، مهارة التعايش مع الانفعالات، مهارة التعايش مع الضغوط.

ومن الملاحظ على قوائم التصنيف السابقة وجود قدر كبير من التشابه فيما بينها مع اختلاف اللفظ المعبر عن المهارة، بالإضافة الى وجود مهارات خاصة ببعض القوائم، في حين نجد ان منظمة الصحة العالمية قد حددت عشر مهارات حياتية أساسية يعتقد بانها تناسب جميع المراحل الدراسية^(١).

البعد الثالث: أهمية تعليم المهارات الحياتية:

تتعلق أهمية تعليم المهارات الحياتية من كونها الأداة الفاعلة التي يمكن من خلالها العمل على تهيئة الفرد وإعداده لكي يكون:

- موظفًا للحقائق التي يتعلمها في مواقف حياتية جديدة.
- مكتسبًا لمهارات التعايش مع المجتمع المعاصر.
- مطبقًا لمهارات التعامل الإيجابي مع التغيير.
- ممارسًا لمهارات التفكير المختلفة.
- متقنًا لمهارات التفاعل والتواصل الاجتماعي.
- ممتلكًا لمهارات تغيير الأدوار في الحياة العملية.

١- (العوض، ٢٠٠٨).

• دائم التعلم والتطوير لذاته.

إن تعليم المهارات الحياتية وممارستها ليس بالامر السهل في البداية؛ ولكنه سرعان ما يصبح بعد التدريب والاستمرار والمثابرة جزءاً من مرحلة اللاشعور، وبذلك يكتسب الأفراد والشعوب أداتهم الفاعلة في قيادة الحضارات والأمم^(١).

البعد الرابع: اتجاهات تعليم المهارات الحياتية

إن قناعة كثير من المربين والمختصين بضرورة تعليم الطلاب المهارات الحياتية، قادت إلى إيجاد اتجاهات مختلفة لتعليم المهارات الحياتية، ويمكن إبراز هذه الاتجاهات على النحو الآتي:

أولاً: الاتجاه المباشر: ويشير إلى تعليم المهارات الحياتية كمادة مستقلة بذاتها كغيرها من المواد، ويدعم ذلك بأن تعليم المهارات الحياتية له آلياته وطرقه وأنشطته الخاصة به، وتعليمه كمادة مستقلة يعطي الاهتمام الكافي بهذه المهارات.

ثانياً: اتجاه التجسير: وهو يتفق مع الاتجاه السابق بتعليم المهارات الحياتية في مقرر مستقل بذاته، ولكن يفرق عنه بمد جسور تربط بين هذا المقرر وبين المقررات الدراسية الأخرى، بحيث تضمن تطبيق المهارات الحياتية التي تعلمها في المقرر المستقل في محتوى المقررات الأخرى.

ثالثاً: اتجاه الصهر: وهي تجمع بين الاتجاه المباشر واتجاه التجسير، حيث تُعلم المهارات الحياتية بصورة صريحة أثناء تعليم أي محتوى دراسي، ويتطلب هذا الاتجاه إعادة بناء محتوى الدرس بما يحقق تعليم المهارات الحياتية، ويتطلب كذلك وجود المعلم المُدرَّب جيداً على استعمال الأساليب والاستراتيجيات التي تساعد على تنمية المهارات الحياتية.

رابعاً: الاتجاه الإثرائي: وهو يعنى بتعليم المهارات الحياتية من خلال أنشطة إثرائية متعددة داخل أو خارج المدرسة بإشرافها ومن غير إشرافها مثل: عقد البرامج التدريبية المقننة في المهارات الحياتية، القراءة الموجهة، الأنشطة اللاصفية، المواقع الإلكترونية التفاعلية... وغير ذلك؛ وهذا يتطلب دقة ومهارة في تحديد متطلبات الشريحة المستهدفة من المهارات، والحد المطلوب في كل مهارة وكذلك البناء الممتد والتراكمي لهذه المهارات ونحو ذلك. كما يمكن الجمع بين اتجاهين أو أكثر مع ضرورة مراعاة ظروف بيئة التعلم عند اختيار الاتجاه الأنسب^(٢).

البعد الخامس: خصائص المهارات الحياتية

على الرغم من التعريفات المتعددة للمهارات الحياتية، إلا أنه يمكننا تحديد خصائصها

١- (عبد المعطي وآخرون، ١٤٢٨، ص ٢٢-٢٣)

٢- (عمران وآخرون: ٢٠٠١)

وذلك على النحو الآتي:

١. تتنوع وتشمل كل من: الجوانب المادية وغير المادية المرتبطة بأساليب إشباع الفرد لاحتياجاته ولتطلبات تفاعله مع الحياة وتطويره لها.
٢. تختلف من مجتمع لآخر تبعاً لطبيعة كل مجتمع ودرجة تقدمه، وتختلف من فترة إلى أخرى، فاحتياجات الإنسان البدائي للقراءة والكتابة لم تظهر إلا عندما استشعر أهمية تسجيل تاريخه الإنساني، والمهارات الحياتية على هذا النحو تتأثر بكل من المكان والزمان.
٣. تعتمد على طبيعة العلاقة التبادلية بين الفرد والمجتمع، ودرجة تأثير كل منهما على الآخر.

٤. تستهدف مساعدة الفرد على التفاعل الناجع مع الحياة وتطوير أساليب معيشة الحياة، وما يعني هذا من ضرورة التفاعل مع مواقف الحياة التقليدية بأساليب جديدة ومتطورة^(١).

البعد السادس: مكونات المهارات الحياتية

هناك ثلاثة مكونات أو أبعاد للمهارات الحياتية أجمعت عليها عديد من الدراسات والبحوث، وتتمثل هذه الأبعاد فيما يلي:

- أ- الاتجاه: ويتمثل في الدافع والرغبة في القيام بالفعل أو اختيار نمط الأداء.
- ب- المعرفة: ويتمثل في معرفة كيفية القيام بالأداء أو السلوك أو الفعل.
- ج- المهارة: وتتمثل في شكل تنفيذ الفعل تنفيذاً فعلياً.

ومن هنا كان تعليم أي مهارة من المهارات الحياتية معنياً بخلق الاتجاه الإيجابي لدى المتعلم نحو هذه المهارة وبيان أثرها عليه وفائدتها له؛ وتزويده بالمعارف والمعلومات المرتبطة بكيفية أدائه لهذه المهارة، وأخيراً ينبغي أن يتاح للمتعلم فرصة اكتساب هذه المهارة من خلال الممارسة والتطبيق المباشر الآني والمتراكم^(٢).

ثانياً: الدراسات السابقة

بالرجوع الى الادب السابق والدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة، يمكن تقسيم الدراسات التي تم الرجوع اليها الى قسمين على النحو الآتي:

اولاً: الدراسات التي اهتمت بتنمية المهارات الحياتية

أجرى عياد وسعد الدين (٢٠١٠) دراسة هدفت الى وضع تصور مقترح لتضمين بعض

١- (عياد وسعد الدين: ٢٠١٠، ص ١٨٣-١٨٤)

٢- (عبد الله: ٢٠٠٣)

المهارات الحياتية في مقرر التكنولوجيا للصف العاشر، والتعرف الى فاعلية تطبيق وحدة من وحدات التصور المقترح على تنمية المهارات الحياتية والتفكير المنظومي لدى الطلبة، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي للتوصل الى التصور المقترح معتمدين في ذلك على بطاقات الملاحظة واختبار التفكير المنظومي كأدوات للبحث. وقد تم تطبيق هذه الادوات قبليا وبعديا على عينة مكونة من ٢٥ طالبة في إحدى شعب مدرسة فيصل الفهد. وقد اظهرت النتائج بعد تحليلها أن الوحدة المطبقة «وحدة الأنظمة» والمضمنة بالمهارات الحياتية قد حققت فاعلية مقبولة، وكان لها تأثير كبير في تنمية المهارات الحياتية والتفكير المنظومي لدى طالبات عينة البحث بعد دراستهن لها.

وأجرت^(١) دراسة هدفت الى الكشف عن فاعلية برنامج قائم على التعلم النشط في الدراسات الاجتماعية لتنمية بعض المهارات الحياتية والتحصيل لدى التلاميذ المعوقين عقليا القابلين للتعلم، وقد استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج التجريبي ذو المجموعة الواحدة ذات المقياس القبلي والبعدي، ولتحقيق هدف الدراسة قامت الباحثة بإعداد برنامج مقترح قائم على التعلم النشط يتضمن قائمة بالمهارات الحياتية للتلاميذ المعوقين عقليا القابلين للتعلم، بالإضافة الى بناء دليل المعلم واختباري المواقف والتحصيل وبطاقة الملاحظة للاداء المهاري. وتكونت عينة الدراسة من ٢٠ تلميذا من التلاميذ القابلين للتعلم بمدارس التربية الفكرية (بقنا) ومدرسة (الغد المشرق) التابعة لجمعية التأهيل الاجتماعي للمعاقين، وقد أظهرت النتائج بعد تحليلها وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في كل من اختبار التحصيل واختبار المواقف ولصالح التطبيق البعدي، وهذا ما يشير الى فاعلية البرنامج القائم على التعلم النشط في الدراسات الاجتماعية لتنمية التحصيل والمهارات الحياتية لدى التلاميذ المعوقين عقليا القابلين للتعلم، وقد اوصت الباحثة بناء على نتائج الدراسة بضرورة إعادة صياغة مقرر الدراسات الاجتماعية للمراحل الابتدائية للتلاميذ القابلين للتعلم بما يتفق والتعلم النشط، والتوسع في برامج الدمج لهذه الفئة في مدارس التعليم العام، بالإضافة الى الاهتمام بتدريب الطلاب المعلمين على استخدام التعلم النشط.

كما اجرى^(٢) دراسة اخرى هدفت الى التعرف على اثر برنامج تدريبي مقترح في تنمية بعض المهارات الحياتية (المبادرة، التسامح، المسؤولية) لدى طلاب الصف السادس الابتدائي في المدارس الحكومية في محافظة الأسياح التابعة لمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية، وقد استخدم الباحث التصميم شبه التجريبي بحيث يتم تطبيق البرنامج على المجموعة التجريبية

١- (مصطفى) (٢٠٠٩)

٢- (العوض - ٢٠٠٨)

فقط.وقد تكونت عينة الدراسة من ٢٢ طالباً تم توزيعهم على مجموعتين (ضابطة وتجريبية)، وقد اظهرت نتائج الدراسة وجود أثر ذو دلالة احصائية للبرنامج التدريبي المقترح على طلبة المجموعة التجريبية مقارنة بطلبة المجموعة الضابطة، وبناء على نتائج الدراسة اوصى الباحث بضرورة إعداد مقرر خاص بالمهارات الحياتية يدرس للمرحلة الابتدائية، والعمل على تطوير وتطبيق برامج تدريبية في تنمية المهارات الحياتية للطلبة في المرحلتين المتوسطة والثانوية لضمان استمرارية ممارسة الطلاب لهذه المهارات في جميع المراحل، واعداد النظر في برامج اعداد المعلمين بشكل يمكنهم من اكتساب وإكساب المهارات الحياتية للمتعلمين.

وأجرت^(١) دراسة هدفت إلى تنمية المهارات الحياتية والاتجاه نحو مادة العلوم لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية باستخدام مصادر التعلم المجتمعية، ولتحقيق هدف الدراسة استخدمت الباحثة المنهج شبه التجريبي وأعدت قائمة بالمهارات الحياتية، ودليل معلم للوحدتين، واختباراً للمهارات الحياتية واختباراً تحصيلياً ومقياساً للاتجاه نحو مادة العلوم، وتم تطبيق هذه الدراسة على تلاميذ الصف الاول الاعدادي في الفصل الدراسي الثاني من عام ٢٠٠٣-٢٠٠٤م بإحدى مدارس ادارة الساحل التعليمية، وقد اقتصرت الدراسة على (مهارات علمية وتكنولوجية، مهارات الحفاظ على الحياة)، وبعد تحليل النتائج تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية ولصالح المجموعة التجريبية في نتائج اختبار المهارات الحياتية، كما تبين وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية.

كما أجرت نسيم (٢٠٠٥) دراسة هدفت الى تحديد فعالية البرنامج المقترح في تنمية المهارات الاجتماعية لدى أطفال الروضة المدمجين مع زملائهم المكفوفين ليتفاعلوا معهم بنجاح، ولتحقيق ذلك استخدمت الباحثة المنهج التجريبي، وقد تم تطبيق الدراسة على روضة اطفال بمحافظة الدقهلية، واعدت الباحثة استبانة لتحديد المهارات الحياتية الاجتماعية والسلوكية لعينة الدراسة، ومقياس للمهارات الاجتماعية للكشف عن مدى المام الاطفال المدمجين مع المكفوفين للمهارات الاجتماعية. وقد اظهرت نتائج الدراسة عدم امتلاك اطفال عينة الدراسة للمهارات الاجتماعية اللازمة للتفاعل مع الاطفال المكفوفين داخل القاعة الصفية؛ كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات أطفال المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي لمقياس المهارات الاجتماعية ولصالح التطبيق البعدي.

وفي دراسة تجريبية أخرى اجراها (صالح وأمين، ٢٠٠٢) هدفت إلى تحديد مدى فعالية برنامج مقترح باستخدام تعليم الاقران في تنمية المهارات الحياتية لدى الأطفال المتخلفين عقلياً القابلين للتعلم، تم تطبيقها على عينة مكونة من ٢٠ طفلاً وطفلة (٥-٦ سنوات)، و ١٠ متخلفين

عقلياً قابليين للتعلم (٨ سنوات). حيث قامت الباحثان ببناء برنامج تجريبي مقترح يتضمن أنشطة تهدف إلى إكساب الاطفال المتخلفين عقلياً القابليين للتعلم للمهارات الرياضية الوظيفية باستخدام استراتيجية الأقران، وإعداد اختبار للمهارات الرياضية الحياتية. وقد أسفرت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائياً بين درجات أداء الاطفال في الإجابة على مفردات كل بعد من أبعاد الاختبار قبل تطبيق البرنامج؛ ولصالح التطبيق البعدي.

اما الدراسة التجريبية التي اجراها مسعود (٢٠٠٢)؛ فقد هدفت الى تحديد مدى فعالية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تدريس الدراسات الاجتماعية على تنمية المهارات الحياتية والتحصيل والاتجاه نحو المادة لدى تلاميذ الصف الاول الاعدادي بمدرستي ناصر وكفر عسكر الإعداديتين للبنين، ولتحقيق هدف الدراسة أعد الباحث اختباراً تحصيلياً في الوحدة المختارة ومقياس اتجاه نحو الدراسات الاجتماعية، وقد اظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لاختبار المواقف الحياتية ولصالح تلاميذ المجموعة التجريبية.

يتبين لنا من خلال الدراسات السابقة وجود نوع من الاختلاف في هدف كل منها؛ فبعضها هدف الى تنمية المهارات الحياتية من خلال برامج محددة كدراسة (عياد وسعد الدين، ٢٠١٠)؛ (مصطفى، ٢٠٠٩)؛ (العوض، ٢٠٠٨)؛ (صبحي: ٢٠٠٥)؛ أو الى تحديد فعالية برامج محددة في تنمية المهارات الحياتية كدراسة (محمد، ٢٠٠٥) و (نسيم، ٢٠٠٥)، في حين هدفت دراسات أخرى الى تنمية المهارات الحياتية من خلال استخدام استراتيجيات تدريس كدراسة (غازي: ٢٠٠٢)، (مسعود: ٢٠٠٢)، (صالح وأميين: ٢٠٠٢). وبالإضافة الى ذلك فلقد اختلفت الدراسات في عينة الدراسة فبعضها طبق على أطفال الروضة (صالح واميين: ٢٠٠٢)، ودراسات اخرى طبقت على التلاميذ المعوقين عقلياً كدراسة (مصطفى، ٢٠٠٩)، و طبق بعضها على المرحلة الإعدادية كدراسة (صبحي: ٢٠٠٥؛ مسعود، ٢٠٠٢؛ عبدالله: ٢٠٠٤)، في حين طبق الآخر منها على المرحلة الثانوية كدراسة (عياد وسعد الدين، ٢٠١٠).

ثانياً: الدراسات التي اهتمت بتحليل المهارات الحياتية

أجرت سعد الدين (٢٠٠٧) دراسة هدفت الى الكشف عن مدى تضمين المهارات الحياتية مقرّر التكنولوجيا للصف العاشر، ومدى اكتساب الطلبة لها، وتكونت عينة الدراسة من ٥٩٧ طالباً وطالبة تم اختيارهم بأسلوب الطريقة العنقودية من ثمانية مدارس في مديرية غزة، ولتحقيق اهداف الدراسة قامت الباحثة بتصميم اداة تحليل المحتوى وتطبيقها على المقرر قيد الدراسة، ثم قامت الباحثة بتصميم اختبار المهارات الحياتية وتطبيقه على افراد العينة بعد التحقق من صدقه وثباته، وقد أظهرت نتائج الدراسة ضعف تناول محتوى مقرّر التكنولوجيا والعلوم

التطبيقية للصف العاشر للمهارات الحياتية، كما أظهرت النتائج ان مستوى المهارات الحياتية لدى طلبة الصف العاشر لم يصل الى مستوى التمكن ٨٠٪، في حين تبين وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى اكتساب طلبة الصف العاشر لمفاهيم المهارات الحياتية تعزى للجنس ولصالح الذكور. وقد اوصت الباحثة في ضوء النتائج بضرورة تبني التعلم من اجل الحياة لدى المشاركين في العملية التربوية؛ وتطوير مناهج التكنولوجيا والعلوم التطبيقية في ضوء المهارات الحياتية.

وأجرت اللولو (٢٠٠٥) دراسة هدفت الى تحليل المهارات الحياتية في محتوى منهاج العلوم للصف الأول والثاني الأساسيين، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وقامت ببناء قائمة بالمهارات الحياتية الواجب تضمينها في محتوى منهاج العلوم للصف الأول والثاني؛ تضمنت مجالات (المهارات الغذائية، المهارات الصحية، المهارات الوقائية، المهارات البيئية، والمهارات اليدوية). وبعد تطبيق اداة تحليل المحتوى؛ أظهرت النتائج تركيز محتوى مقرر الصف الأول على المهارات العملية واليدوية والمهارات الصحية، وأغفلت المهارات الغذائية والوقائية والبيئية ولم تتناولها بصورة مناسبة.

وفي دراسة أخرى اجرتها (سعيد:٢٠٠٣) هدفت إلى تقويم منهج الدراسات الإجتماعية للصف الأول الاعدادي في ضوء المهارات الحياتية؛ وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي. ولتحقيق أهداف الدراسة قامت الباحثة بتحديد المهارات الحياتية اللازمة لتلميذات الاول الاعدادي (التواصل الاجتماعي، الكتابة التعبيرية، التفسير، حل المشكلات، واتخاذ القرار)، وإعداد وتطبيق اختبار المهارات الحياتية، وبطاقة الملاحظة. وقد أظهرت النتائج المتعلقة باهداف المنهج أن القائمة انطبقت على ٨ أهداف من أصل ٢٠ هدفاً، وأن نسبة المهارات الحياتية المنطقية على المنهاج هي ٣٠٪، وعدد الفقرات في المنهاج التي تناولت فكرة المهارات الحياتية في منهج الدراسات الإجتماعية ٩، ٣١٪، اما النتائج المتعلقة بتطبيق اختبار المهارات الحياتية؛ فلقد أظهرت ارتفاع مستوى اداء التلميذات اما التحسن في الأداء فكان منخفضاً الى حد كبير، ما عدا واحدة أقل من ٥٠٪ من معيار الأداء.

اما الدراسة التي أجراها (الباز و خليل: ٢٠٠٥) والتي استخدم فيها المنهج الوصفي التحليلي؛ فقد هدفت الى تحديد مدى تأدية مناهج العلوم بالمرحلة الابتدائية دورها في تنمية بعض المهارات الحياتية لدى تلاميذ تلك المرحلة. وقد تم تطبيق هذه الدراسة على عينة من موجهي ومعلمي العلوم بالمرحلة الابتدائية، بلغ عددهم (٤١ موجهاً، ٧٨ معلماً)، وعينة من تلاميذ الصف الرابع والخامس الابتدائي. ولتحقيق هدف الدراسة تم تطبيق أدوات واستمارات تحليل محتوى منهاج العلوم للصفين الرابع والخامس الابتدائي في ضوء استخدامها عدداً

من المهارات الحياتية (المهارات البيئية، الغذائية، الصحية، الوقائية، واليدوية)، واستبانة لمعرفة آراء موجهي العلوم حول دور منهاج العلوم في تنمية المهارات الحياتية لدى تلاميذ الرابع والخامس الابتدائي. وقد اظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين آراء موجهي ومعلمي العلوم حول دور منهاج العلوم في الصف الخامس الابتدائي في تنمية المهارات الحياتية.

وهدفنا الدراسة التي اجراها (Dawson 1993): الى تحديد المهارات الحياتية التي ينبغي توافرها في منهاج العلوم للمرحلة الابتدائية، وبعد تحليل محتويات المناهج واحتياجات الطلاب في هذه المرحلة تحددت المهارات الحياتية بما يلي: (المهارات الصحية، المهارات البيئية، المهارات اليدوية، المهارات الغذائية، المهارات الامانية).

بالرجوع الى الدراسات السابقة جميعها التي تم الاشارة اليها خلال هذا الفصل، يلاحظ ان معظمها قد ركزت على كيفية تنمية المهارات الحياتية لدى المتعلمين من خلال استخدام برامج واستراتيجيات مختلفة والكشف عن مدى فعالية استخدامها في اكساب الطلبة للمهارات الحياتية (عياد وسعد الدين ٢٠١٠، مصطفى ٢٠٠٩، العوض ٢٠٠٨، صبحي ٢٠٠٥، محمد ٢٠٠٥، نسيم ٢٠٠٥) في حين جاءت دراسات اخرى لتحليل المناهج الدراسية في ضوء توظيفها وامتلاكها للمهارات الحياتية (اللؤلؤ ٢٠٠٥، سعيد ٢٠٠٢، الباز و خليل ٢٠٠٥).

أما الدراسة الحالية فقد جاءت بهدف تشخيص الواقع الفعلي لدى طلبة الثالث متوسط في المدارس العالمية من حيث امتلاكهم للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم؛ وذلك لتكون نتائجها - حسب توقعات باحثي الدراسة- نقطة البداية للوقوف على فعالية محتوى مقررات العلوم الحالية ومدى مناسبتها للمتعلمين في ضوء التقدم العلمي والتكنولوجي والحاجة الماسة لوجود مهارات حياتية لدى المتعلمين لمواكبة هذا التقدم. فقبل أن نستخدم برامج واستراتيجيات لتنمية المهارات الحياتية للمتعلمين لا بد من معرفة حجم المهارات الحياتية التي يمتلكها المتعلمون وهذا ما هدفت اليه الدراسة الحالية، وذلك يتفق مع دراسة (سعد الدين ٢٠٠٧).

الفصل الثالث: المنهجية والتصميم

يتضمن هذا الفصل وصفاً لمجتمع الدراسة وعينيتها، والأدوات المستخدمة فيها، وإجراءات تطبيقها وتصحيحها، وتفسير نتائجها، ومن ثم عرضاً لكيفية حساب معاملات الثبات والصدق للأداة المستخدمة للعينة، وغيرها من المعالجات الإحصائية التي تم إتباعها للإجابة عن أسئلة الدراسة.

مجتمع الدراسة:

تكوّن مجتمع الدراسة المستهدف من مجمل الأفراد الملتحقين بالمدارس العالمية في

المملكة العربية السعودية للفصل الثاني من العام الدراسي (٢٠١١/٢٠١٢ م) في الصف الثالث المتوسط، والذين بلغ عددهم (١٨٠٠) طالباً وطالبة.

• عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من (٢٧٠) طالب وطالبة في الصف الثالث متوسط ، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية من مدارس مجتمع الدراسة ، وقد شكلوا ما نسبته ١٥٪ من مجتمع الدراسة ، وبعد توزيع الاستبانة وجمعها بلغ عدد الاستبانات النهائية التي جمعت من المدارس المختارة ٢٤٠ استبانة ، كما هو مبين في الجدول رقم (٢) .

جدول رقم (٢) توزيع أفراد العينة حسب المدرسة والنوع الاجتماعي

المدرسة	ذكر	انثى	المجموع الكلي
منارات الرياض العالمية	١٠٠	٩٨	١٩٨
مدارس النور العالمية	١٩	٨	٢٧
مدارس انوار المجد العالمية	٣	٠	٣
مدرسة النصر العالمية	٠	١٢	١٢
المجموع الكلي	١٢٢	١١٨	٢٤٠

• أدوات الدراسة :

لجمع البيانات المتعلقة بالدراسة قام الباحث ببناء مقياس يهدف لمعرفة مدى امتلاك طلبة المرحلة المتوسطة للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم في مدارس الرياض العالمية، وتكون هذا المقياس من (٤٠) فقرة موزعة على اربعة ابعاد هي:

البعد الاول- مهارات التفكير وحل المشكلات: وتقيسه الفقرات من (١ - ١٠) في الاستبانة.

البعد الثاني- مهارات العمل الجماعي / التعاوني: وتقيسه الفقرات من (١١ - ٢٠).

البعد الثالث- مهارات التواصل: وتقيسه الفقرات من (٢١ - ٣٠).

البعد الرابع- مهارات المسؤولية الشخصية: وتقيسه الفقرات من (٣١ - ٤٠).

• إجراءات الدراسة :

يمكن تلخيص خطوات بناء وتطبيق المقياس على النحو الآتي:

١ . عرض المقياس بعد بناءه على محكمين متخصصين، لإبداء ملاحظاتهم واقتراحاتهم حول اداة الدراسة من حيث الصياغة اللغوية والوضوح لكل فقرة من الفقرات ؛ومدى ملائمة

الفقرة للبعد الذي وضعت فيه، وغيرها من الملاحظات.

٢. تطبيق الإستبانة على عينه إستطلاعيه، لمعرفة مدى فهم المصطلحات والكلمات غامضة. ولمعرفة الوقت اللازم للإجابة على الفقرات. وبعد ذلك تم اختيار العينة النهائية المراد تطبيق الأداة عليها والحصول على موافقة بذلك من قبل المعنيين .

١. بعد الانتهاء من مرحلة التطبيق على أفراد عينة البحث، قام الباحثان بتصحيح الإستجابات الخاصة على الإستبانات، ثم رصدت العلامات الخاصة بكل استبانته لكل طالب وطالبة شملها البحث، وفقا للكشوف التي أعدت لهذا الغرض.

٢. قام الباحثان بعد ذلك بتحليل النتائج إحصائياً حسب أهداف البحث وأسئلته، ومن ثم تفسيرها ومناقشتها.

الفصل الرابع : عرض النتائج ومناقشتها

يعرض هذا الفصل ابرز النتائج التي أسفرت عنها الدراسة الحالية مع مناقشة لهذه النتائج، فبعد تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً ؛ تم التوصل إلى النتائج التالية:

• النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

السؤال الأول: ما مدى امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط بالمدارس العالمية في الرياض للمهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم من وجهة نظرهم؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية لاداء الافراد على فقرات الاداة وكذلك حساب المتوسطات الحسابية للمجالات وكانت النتائج على النحو الآتي :

جدول رقم (٢) المتوسطات الحسابية لاداء الافراد على الفقرات في مجال مهارات التفكير وحل المشكلات مرتبة ترتيباً تنازلياً

رقم الفقرة في الاداة	الترتيب	الفقرة	المتوسط الحسابي
٢	١	أجمع البيانات والمعلومات حول المشكلة بدقة وبطرق مختلفة	٤،٢
٦	٢	أربط بين المواقف التعليمية والمواقف الحياتية المشابهة	٤،١
٨	٣	أشعر بالتحدي عندما تواجهني مسألة علمية تستثير تفكيري	٤،٠
١٠	٤	أحل المشكلات التي تواجهني بطريقة غير تقليدية	٣،٩

٢،٧	أفكر بشكل فردي عندما تواجهني مشكلة علمية	٥	٧
٢،٧	أستخدم أسلوباً منظماً في التفكير لمواجهة المشكلات العلمية	٦	٣
٢،٧	أحدد المشكلة العلمية بشكل واضح عندما أشعر بوجودها	٧	١
٢،٦	أطبق ما اتعلم في كثير من المواقف الحياتية	٨	٩
٢،٦	أفكر بالبدائل التي قد تصلح لحل المشكلة قبل أن أتبنى أحدها	٩	٤
٢،٢	أضع خطة لتنفيذ الحلول المناسبة للمشكلة	١٠	٥

نلاحظ من الجدول رقم (٣) بأن الأوساط الحسابية لاداء افراد العينة في مجال مهارات التفكير وحل المشكلات تراوحت بين (٣،٦-٤،٢) ، حيث جاءت الفقرة رقم ٢ بالمرتبة الاولى والتي تشير الى جمع المعلومات حول المشكلة بدقة وبطرق مختلفة، في حين جاءت الفقرة رقم ٥ بالمرتبة الاخيرة بمتوسط حسابي بلغ ٢،٦ وتشير الى وضع خطة لتنفيذ الحلول المناسبة للمشكلة.

جدول رقم (٤)

المتوسطات الحسابية لاداء الافراد على الفقرات في مجال

رقم الفقرة في الاداة	الترتيب	الفقرة	المتوسط الحسابي
١٩	١١	لا افرض رأيي على زملائي في المجموعة	٤،٠
١٢	١٢	أبادر في تقديم العون والمساعدة لزملائي	٢،٩
١٣	١٣	أحرص على بناء الثقة مع زملائي في المجموعة	٢،٨
١٨	١٤	أقيم علاقات ايجابية مع زملائي الطلاب	٢،٨
١٥	١٥	أقدم مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية	٢،٨
١٦	١٦	أتفاوض مع زملائي في المجموعة أثناء التعلم	٢،٨

٢،٦	أتعامل مع الزملاء بطريقة لائقة ومهذبة	١٧	١٧
٢،٦	اعتقد بأن رأي الجماعة افضل من رأي الشخص الواحد	١٨	٢٠
٢،٦	أحترم وجهة نظر زملائي وأتقبلها	١٩	١١
٢،١	أنفذ الأنشطة والمهام التي تتطلب التعاون بشكل جماعي	٢٠	١٤

مهارات العمل الجماعي (التعاوني) مرتبة ترتيباً تنازلياً

نلاحظ من الجدول رقم (٤) بأن الاوساط الحسابية لاداء افراد العينة في مجال مهارات العمل الجماعي (التعاوني) تراوحت بين (٣،١ - ٤،٠) ، حيث جاءت الفقرة رقم ١٩ (لا افرض رأبي على زملائي في المجموعة) بالمرتبة الاولى بمتوسط حسابي بلغ ٤،٠ ، في حين جاءت الفقرة رقم ١٤ (أنفذ الأنشطة والمهام التي تتطلب التعاون بشكل جماعي) بالمرتبة الاخيرة بمتوسط حسابي بلغ ٣،١.

جدول رقم (٥) المتوسطات الحسابية لاداء الافراد على الفقرات في مجال مهارات التواصل مرتبة ترتيباً تنازلياً

رقم الفقرة في الاداة	الترتيب	الفقرة	المتوسط الحسابي
٣٠	٢١	أعبر عن أفكاري وآرائي العلمية بوضوح وبساطة	٤،٥
٢٥	٢٢	أصغي بتركيز للرأي المخالف لي لأستوعب حقائقه	٤،٠
٢٨	٢٣	أناقش وأتجاوز مع زملائي أثناء الموقف التعليمي	٢،٩
٢١	٢٤	أستخدم وسائل اتصال متعددة لفهم المحتوى وحل الواجبات	٢،٧
٢٣	٢٥	أعمل على تحقيق الإنسجام والتواصل بما يتناسب مع الموقف التعليمي	٢،٥
٢٢	٢٦	أنفذ تعليمات المعلم وتوجيهاته أثناء الموقف التعليمي	٢،٤
٢٩	٢٧	أحاول ربط أفكارني بأفكار الآخرين أثناء النقاش والحوار	٢،٤

٢٠٣	أستخدم أساليب التواصل غير اللفظي (الإشارات، الإيماءات، حركة الجسم) أثناء النقاش في الموقف التعليمي،	٢٨	٢٧
٢٠٢	أستخدم أساليب التواصل اللفظي (الكلمات، الحوار المتبادل) أثناء النقاش في الموقف التعليمي	٢٩	٢٦
٢٠٩	أركز انتباهي لما يطرح أثناء النقاشات العلمية	٣٠	٢٤

نلاحظ من الجدول رقم (٥) بأن الاوساط الحاسوبية لاداء افراد العينة في مجال مهارات التواصل تراوحت بين (٢٠٩-٤٠٥)، حيث جاءت الفقرة رقم ٣٠ (أعبر عن أفكارتي وآرائي العلمية بوضوح وبساطة) بالمرتبة الاولى بمتوسط حسابي بلغ ٤٠٥، في حين جاءت الفقرة رقم ٢٤ (أركز انتباهي لما يطرح أثناء النقاشات العلمية) بالمرتبة الاخيرة بمتوسط حسابي بلغ ٢٠٩.

جدول رقم (٦) المتوسطات الحاسوبية لاداء الافراد على الفقرات في مجال مهارات المسؤولية الشخصية مرتبة ترتيباً تنازلياً

رقم الفقرة في الاداة	الترتيب	الفقرة	المتوسط الحسابي
٣١	٣١	أعمل على إظهار مهاراتي وقدراتي أثناء التعلم	٤٠
٣٢	٣٢	أهتم بإنجاز الأعمال والواجبات التي تطلب مني	٢٠٨
٣٥	٣٣	أحاول أن أظهر أفضل مستوى من الأداء العلمي	٢٠٧
٣٦	٣٤	أميز بين الخطأ والصواب أثناء التعلم	٢٠٦
٤٠	٣٥	لدي القدرة على تقييم الأداء بموضوعية	٢٠٦
٣٩	٣٦	أعترف بأخطائي إذا اقتنعت بوجهة النظر المخالفة	٢٠٥
٣٣	٣٧	أتحديث بإيجابية عن الآخرين من حولي	٢٠٣
٣٤	٣٨	اتصرف بجديّة داخل الموقف التعليمي وخارجه	٢٠٠

٢٠٧	أضع جدولاً زمنياً لتنفيذ المهام المطلوبة	٣٩	٣٧
٢٠٦	أقسّم الأعمال الكبيرة إلى مهام منفصلة ومتتابعة	٤٠	٣٨

نلاحظ من الجدول رقم (٦) بأن الأوساط الحسابية لاداء افراد العينة في مجال مهارات المسؤولية الشخصية تراوحت بين (٢٠٦-٤٠) حيث جاءت الفقرة رقم ٣١ (أعمل على إظهار مهاراتي وقدراتي اثناء التعلم) بالمرتبة الاولى بمتوسط حسابي بلغ ٤٠، في حين جاءت الفقرة رقم ٣٨ (أقسّم الأعمال الكبيرة إلى مهام منفصلة ومتتابعة) بالمرتبة الاخيرة بمتوسط حسابي بلغ ٢٠٦.

وللتعرف على استجابات الطلبة على المجالات الاربعة لاداة الدراسة ، تم حساب المتوسطات الحسابية لاداء الافراد على المجالات ككل، كما هو مبين في الجدول رقم ٧.

جدول رقم (٧) المتوسطات الحسابية لاداء الافراد على الأبعاد (المجالات)

رقم البعد	البعد (المجال)	المتوسط الحسابي
١	مهارات التفكير وحل المشكلات	٣٠٨
٢	مهارات العمل الجماعي / التعاوني	٣٠٧
٣	مهارات التواصل	٣٠٦
٤	مهارات المسؤولية الشخصية	٣٠٣

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٧) بان متوسطات اداء افراد العينة على مجالات اداة الدراسة تراوحت بين (٣٠٣-٣٠٨) ، حيث جاء مجال مهارات التفكير وحل المشكلات بالمرتبة الاولى بمتوسط حسابي بلغ ٣٠٨ ، يليه مجال (بعد) مهارات العمل الجماعي (التعاوني) بالمرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ ٣٠٧ ، وفي المرتبة الثالثة جاء مجال مهارات التواصل بمتوسط حسابي بلغ ٣٠٦ ، في حين جاء بالمرتبة الأخير مجال المسؤولية الشخصية بمتوسط حسابي بلغ ٣٠٣.

وقد تعزى هذه النتيجة الى ان الطلبة في المرحلة المتوسطة يميلون الى العمل بشكل جماعي اكثر منه بشكل فردي، في حين يزداد ميل الطلبة الى العمل الفردي كلما تقدم في مرحلته الدراسية، فالطلبة في هذه المرحلة لديهم مهارات تواصل ويمكنهم مواجهة المشكلات ولكن هذه المهارات يزداد امتلاكها لدى الطلبة كلما انتقلوا الى مراحل دراسية متقدمة، لانهم خلال هذه المراحل يتعرضون الى جملة من الخبرات والمعارف والمشكلات والتي من شأنها ان تمي المهارات الحياتية لديهم.

• السؤال الثاني: هل توجد فروق بين استجابات الطلاب على محاور المهارات الحياتية المتعلقة بمقرر العلوم تعزى لمتغير الجنس؟

للإجابة على هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاداء افراد العينة على المقياس حسب الجنس ويبين الجدول الآتي هذه النتائج

جدول رقم (٨) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاداء الافراد على الاداة حسب الجنس

الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ذكر	١٧٦،٤	٣٤،٦
انثى	١٨٦	١٩،٥
المجموع الكلي (ذكر، انثى)	١٨٢،٤	٣١،٠٥

يتبين من الجدول رقم (٨) وجود فروق بين متوسطات استجابات الذكور والاناث ولصالح الإناث، حيث بلغ المتوسط الحسابي للذكور بلغ (١٧٦،٤) وبانحراف معياري بلغ (٣٤،٦)، في حين بلغ الوسط الحسابي للاناث (١٨٦) وبانحراف معياري بلغ (٣١،٠٥)، وجاء اداء افراد العينة (ذكور واناث) بمتوسط حسابي بلغ (١٨٢،٤) وانحراف معياري (٣١،٠٥)، وقد يعزو الباحثان سبب وجود هذه الفروق الى ان الإناث لديهن المقدرة على امتلاك المهارات الحياتية وتوظيفها في المواقف التعليمية والحياتية اكثر مما هو عند الذكور، بالإضافة الى ان البيئة التعليمية المتاحة للإناث قد تكون مهياة بشكل اكثر مناسبة وملائمة لامتلاك المهارات الحياتية من البيئة التعليمية عند الذكور.

ولمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات استجابات الذكور والإناث، قام الباحثان بإجراء تحليل التباين الاحادي (one – way ANOVA) على اعتبار ان الجنس متغير مستقل واداء الافراد على المقياس متغير تابع. وجاءت النتائج على النحو الآتي:

جدول رقم (٩)

الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاداء الافراد على الاداة حسب النوع الاجتماعي

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	(ف)	مستوى الدلالة
النوع الاجتماعي	١	٤٩،٤٢٢	٤٩،٤٢٢	٠،٠٢٤	٠،٨٧٨

يتبين من الجدول رقم (٩) عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات افراد العينة على المقياس تعزى للنوع الاجتماعي، حيث بلغت قيمة الإحصائي (ف) المحسوبة

(٠,٠٢٤) وهذه قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0,05$)، وهذا ما قد يشير الى تشابه الظروف والإمكانات والمناهج التعليمية المتاحة للطلبة لامتلاك المهارات الحياتية.

التوصيات:

- في ضوء نتائج الدراسة الحالية يمكن الإشارة الى التوصيات التالية:
- تضمين مقررات العلوم مواقفَ حياتية يواجهها المتعلمون لتدريبهم على كيفية مواجهتها
- جعل التقويم في تدريس العلوم في صورة مواقف مشكلة توضع لدى الطلبة لمعرفة مدى مقدرتهم على مواجهتها وحلها.
- تصميم برامج لتنمية المهارات الحياتية في ضوء حاجات الطلبة وواقع المجتمع ومتطلبات وتحديات العصر.
- تطوير مناهج العلوم لكي تناسب جميع المستويات في ضوء المهارات الحياتية اللازمة للمتعلمين في كل مرحلة.
- اجراء دراسة مماثلة على طلبة المدارس الحكومية في المملكة العربية السعودية، للتعرف على مدى امتلاك طلبتها للمهارات الحياتية مقارنة بطلبة المدارس العالمية.

عدنان عبد الرحمن أبو عامر

أستاذ

جامعة الأمة للتعليم المفتوح

الإخوان المسلمون في الأراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧-١٩٨٧

• ملخص الدراسة

جاءت الدراسة لتبحث واقع الإسلاميين الفلسطينيين، وتحديداً جماعة الإخوان المسلمين، في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بين عامي ١٩٦٧-١٩٨٧، من خلال تناولها لمراحل تطور عملهم بدءاً بالدعوة والعمل الوعظي، وبرد فعلهم على هزيمة يونيو ١٩٦٧، وصولاً للبحث في أسباب المد الإسلامي في الأراضي المحتلة، بما فيها الأسباب الداخلية والعوامل الخارجية، وأثر وجود الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة على انتشار مظاهر الصحوة الإسلامية، واتجاهات الرأي عقب الاحتلال، وبما يتعلّق بظاهرة انتشار المساجد، والدور القيادي للشيخ أحمد ياسين في إرساء دور الإخوان المسلمين، إضافة إلى أساليب العمل الإخوانية، والجوانب التنظيمية والمالية لديهم، وانتهاءً بنظرة الإخوان إلى العمل المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي، وما واكب هذه المرحلة الحساسة من تفاعلات داخل وخارج التنظيم.

تسعى الدراسة لمناقشة الجوانب المذكورة آنفاً وغيرها استناداً إلى المنهج التاريخي، لاسيما الجانب التحليلي منه، بعيداً عن الطريقة السردية إلا فيما يلزم البحث، معتمداً على عدد وافر من المصادر والمراجع الجادة، وعدد من المقابلات التي أجريتها عدد من الشخصيات المحورية خلال مرحلة الدراسة.

• المقدمة

يجمع الباحثون المتخصصون في شؤون الحركة الإسلامية في فلسطين، أنها لم تحظ بذات المستوى الذي حظيت به القوى السياسية الأخرى، لاسيما في مراحلها التأسيسية والبدائيات الأولى، وما رافقها من ظروف وحيثيات وعلاقات، ولعل ذلك يعود إلى عدة أسباب، أهمها:

- القراءة الموضوعية للأحداث، بمعنى أن الحركة الإسلامية قبل مرحلة السبعينات لم تحظ بذلك الوجود السياسي الهام، بالمقارنة مع منظمة التحرير الفلسطينية وقواها السياسية.

- عدم إعطاء الاهتمام للجانب البحثي من جانب الحركة الإسلامية ذاتها، والتأريخ لمسيرتها منذ البدايات الأولى، تحت ذرائع وأسباب غير موضوعية، مقابل اهتمام القوى الأخرى بالكتابة عن جهودها مهما كانت متواضعة.

- الإهمال المتعمد من الباحثين ووسائل الإعلام للحركة الإسلامية، انطلاقاً من قناعات سياسية مختلفة عن الإسلاميين، وتخوفاً من أن يشكلوا منافساً لهم في المستقبل.

- الكتابات التي ظهرت في مراحل لاحقة لمرحلة التأسيس، لاسيما بعد انطلاق حركة المقاومة الإسلامية حماس نهاية الثمانينات، لم تتناول المرحلة التأسيسية بالتفصيل، مكتفية بالتعريج عليها، كمقدمة للحديث عن نشأة ظاهرة الإسلام السياسي في فلسطين. وأياً كانت الأسباب، فإن الكتابة في تاريخ الإخوان المسلمين في الأراضي الفلسطينية المحتلة بين عامي ١٩٦٧-١٩٨٧، تكتنفه العديد من الملاحظات الهامة، لعل أهمها:

مرحلة أ- أتت فور وقوع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وما رافقها من تعرض الفلسطينيين لشتى ألوان المعاناة والظلم، وبالتالي فقد كانت إعادة الحياة للتنظيم الإخواني مهمة محفوفة بالمخاطر، ولذلك يسجل للثلة الأولى التي اجتمعت للبدء في هذه المهمة السبق التاريخي، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين.

مرحلة ب- انشغل المؤسسون للتنظيم الإخواني في الأراضي المحتلة، بوضع اللبنات الأساسية للبنية التحتية لهذا المشروع الذي قدر له أن يمتد عقوداً طويلة، بما في ذلك المؤسسات الخيرية باختلاف مجالات عملها الإغاثية والتعليمية والصحية، مما هبأ لها القاعدة الشعبية المتسعة يوماً بعد يوم، خلال فترة زمنية وجيزة.

• نظرة الإخوان للاحتلال الإسرائيلي

شكلت الحروب بين العرب و«إسرائيل» دوراً كبيراً في بروز الصحوّة الإسلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي العالم العربي بشكل عام، حيث أدى انتهاء كل جولة منها نصراً أم هزيمة، إلى ظهور موجة جديدة من الصحوّة الدينية، حتى أن هزيمة ١٩٦٧ التي اعتبرها بعض

العرب «عقاباً من السماء» على انحرافهم عن جادة الإسلام، أدت إلى عودة جماعية للدين الإسلامي.

وقد كان وقع الاحتلال الإسرائيلي صعباً وقاسياً على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن بينهم الإخوان، الذين اعتادوا العمل السري طيلة فترة الحكم المصري في القطاع تحديداً بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٧، واعتادوا على أجواء الملاحقة والمتابعة، وبالتالي كانوا أقدر من غيرهم على التعامل المبكر مع هذه الظروف التي أوجدها الاحتلال.

ومما سهل الأمر على الإخوان في الضفة الغربية وقطاع غزة، أنهم لم يعودوا لوحدهم، فمئات الألوف من المواطنين أصبحوا عرضة للقمع والملاحقة من قبل سلطات الاحتلال، وقد تركزت الملاحقة في هذه المرحلة على المنظمات الفدائية التي شكلت الخطر الراهن على جنود الاحتلال، وهي منظمات «فتح والجبهة الشعبية وقوات التحرير الشعبية» التابعة لجيش التحرير الفلسطيني.

ولمواجهة الاحتلال الداهم، فقد تداعت قيادات ورموز جماعة الإخوان إلى اجتماع هام للتعامل مع الوضع الجديد، وتم اللقاء في شهر أيلول سبتمبر من عام ١٩٦٧ في منزل المرحوم محمد خليل الغرابلي بحي الشجاعية في مدينة غزة^(١).

وقد تركز هذا اللقاء التاريخي الهام على عدة محاور:

١- اختيار هيئة إدارية لقيادة الإخوان الفلسطينيين.

٢- تحديد المنهاج التربوي للعمل به في «الأسر الإخوانية»^(٢).

٣- اتخاذ قرار بكسب أعضاء جدد، عن طريق وسيلتين هامتين:

أ- الزيارات الفردية من قبل عناصر الإخوان للأعضاء المرشحين.

ب- الدروس والمواعظ الدينية في المساجد ودور العبادة^(٣).

ولوضع آلية عملية لتطبيق هذه المحاور، وضع المجتمعون عدة أهداف أساسية تكون منطلقاً هاماً لتحركهم في ظل هذا الواقع الجديد، وتمثلت هذه الأهداف بالآتي:

١- محو الصورة المشوهة عن الإخوان في أذهان الناس، وتجلية صورة مشرقة جديدة.

١- الحسنيات، حماد، مخطوط حول نشأة الحركة الإسلامية، مرج الزهور، لبنان، ط١، ١٩٩٢، ص٣.

٢- مصطلح تنظيمي إخواني، وهي نظام تربوي شامل، يلتقي فيه كل خمسة أو ستة من الإخوان برجل يفترض أنه أفقهم في الدعوة، يقرأون القرآن ويحفظون منه، ويدرسون شيئاً من تفسيره، وكذلك الحديث النبوي، ولديهم منهاج تربوي دعوي من كتب فقهاء الإخوان كحسن البنا وسيد قطب وفتحي يكن ومحمد الراشد وغيرهم، ويكون اللقاء أسبوعياً، ويسمى شيخ الأسرة نقيباً. والغرض من الأسرة الإخوانية أن يصبح للعضو في التنظيم إخوة يلتقون دورياً كل أسبوع.

٣- أبو العمرين، خالد، حركة حماس: جذورها، نشأتها، دورها السياسي، جامعة الخرطوم، السودان، ط١، ١٩٩٤، ص٢٠٠.

٢- الانتشار السريع والواسع في المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، لاسيما بعد الانكماش الطويل الذي ترافق مع الحكم المصري للقطاع.

٣- تحديد الموقف بصورة واضحة وحاسمة من الاحتلال الإسرائيلي، وبالتالي تحديد مسيرة الإخوان، ورأيهم فيما يجري على الأرض من وقائع.

٤- ربط إخوان قطاع غزة بنظرائهم في الضفة الغربية، وتم ذلك لأول مرة في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين^(١).

ومع ترسخ أقدام الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كان لابد للإخوان من مراجعة مع النفس، وإجراء وقفة مع الذات، في ظل وضع كان المرء يتلفت حوله فلا يجد أحداً من الجيل الجديد يهتم بالإسلام.

فالمسجد لا تجد فيه شاباً أو شابين يحافظان على الصلاة، وبالتالي لم تكن طريق الإخوان سهلة، ولا معبدة بالورود، ومع ذلك، فقد بدأت مجموعة ممن بات يطلق عليهم «الشباب المسلم»، يعتبرون طلائع هذا الجيل بالتفكير في الوضع القائم، ووقفوا أمام مفترق طريقين:

١- البدء بعملية حرب عصابات ضد الاحتلال، كما فعلت باقي المنظمات الفلسطينية، باستعمال نفس الشباب، الذين تربوا في ظل هذه الأنظمة والأفكار البعيدة عن الإسلام.

٢- الانطلاق بعملية بعث حضاري شامل للأمة في سبيل إحياء الإسلام في نفوسها، وبعدها تكون الانطلاقة نحو التحرير^(٢).

وهكذا بدأ فصل جديد من تاريخ الإخوان المسلمين في الأراضي المحتلة عقب هزيمة ١٩٦٧، حيث شرعوا بعملية البناء الهادئ للقوة الإسلامية، ولم يشاركوا في المقاومة المسلحة التي قادتها منظمة التحرير ضد الاحتلال، مكتفين بالتركيز على إقامة بنية تنظيمية واسعة.

وفي منتصف السبعينات، عندما وصلت الحركة القومية الفلسطينية إلى ذروتها، كان الإخوان منشغلين بإقامة بنيتهم الاجتماعية والسياسية^(٣).

الجدير بالذكر، أن عدداً من الباحثين في نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية يرون بأن بروز حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة، جاء ليحول دون بروز الاتجاه الديني كقوة سياسية ذات بال، حيث عانى الإخوان المسلمون في قطاع غزة تحديداً من حالة ضعف وتشتيت، بسبب إجراءات الملاحقة والاضطهاد التي تعرضوا لها من قبل الإدارة المصرية.

١- صالح، محسن محمد، التيار الإسلامي في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٨، ص٢١.

٢- المقادمة، إبراهيم، معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، مؤسسة اليم، غزة، ط١، ١٩٩٤، ص٢٥٤.

٣- شكيد، روني، حماس من الإيمان بالله إلى طريق التطرف، المكتبة المصرية الفرنسية، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ص٥١.

كما أن قيام حركة فتح في أواخر الخمسينات سلبهم خيرة قياداتهم وكوادريهم، ولذلك كانوا بحاجة إلى وقت طويل لاستجماع قواهم، والعودة إلى الساحة كقوة سياسية، الأمر الذي لم يتحقق إلا في أواخر مرحلة السبعينيات^(١).

• التغيير الاجتماعي سابق للحراك السياسي

تشير الوقائع والأحداث التاريخية إلى أن هذه المرحلة تميزت بـ«خفوت» التأثير الإخواني في مسار القضية الفلسطينية على الصعيدين السياسي والعسكري، واتجهت حركتهم في الأراضي المحتلة نحو نظرية «التغيير الاجتماعي»، وأعطوها الأولوية في نشاطهم وتحركهم في المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال.

كما رأوا أن هذا التغيير الاجتماعي سيقود إلى الحراك السياسي، ولذلك فلا بد من إحداثه حتى يصبح المجتمع ناضجاً لممارسة المقاومة الشاملة للاحتلال، لأن أي حركة ستقاوم الاحتلال لا يمكن أن تصمد بدون توفر الأرضية المناسبة والمناخ الملائم.

ويمكن إرجاع هذا التصور عند الجماعة إلى عاملين تاريخيين أساسيين:

١- العامل الأول: تمثل في الضربات الشديدة التي تلقاها الإخوان في بعض الأقطار العربية، وعلى الأخص في مصر، وكانت من العنف والشمول لدرجة أنها طالت معظم العاملين في صفوفهم، وقضت على الكثير من تنظيماتهم ومؤسساتهم، الأمر الذي انعكس سلباً وبشكل واضح على نشاط الإخوان الفلسطينيين، على أساس أنهم غير مفضولين عملياً عن إخوانهم خارج فلسطين.

٢- العامل الثاني: تمثل في حملة التشويه التي شنتها بعض الأنظمة العربية والقوى السياسية التي تحالفت معها، للتشهير بالحركة الإسلامية، وخلق الشكوك حولها، وقد امتدت ظلال هذه الحملة على شكل حرب إعلامية، وإشاعات قوية، عملت على تشويه صورة الإخوان الفلسطينيين لدى جماهير الشعب، في الوقت الذي كان فيه الإسلاميون يرزحون في السجون والمعتقلات العربية^(٢).

على أية حال، فقد قضى الإخوان جل وقتهم وجهدهم خلال هذه المرحلة في بناء المجتمع الفلسطيني، وأسهبوا في الأحاديث الطويلة عن أهمية تحصينه، وإعداده بصورة لازمة لخوض المعركة، وضرورة تربية الأجيال، ودور المرأة المسلمة، ومفاهيم التكافل الاجتماعي، منطلقين في ذلك كله من قاعدة أساسية تتمثل في أن بناء المجتمع المسلم ضرورة لازمة من ضرورات تحرير فلسطين.

١- أبو عمرو، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دار الأسوار، عكا، ط١، ١٩٨٩، ص٢٩.

٢- الحمد، جواد، دراسة في الفكر السياسي لحركة حماس، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ط١، ١٩٨٨، ص٣٦.

وهكذا ارتبط مفهوم بناء المجتمع الفلسطيني بمفهوم الجهاد لدى الإخوان المسلمين، وإستراتيجيتهم القائمة عليه، لأن المجتمع هو البيئة التي تنهض بمشروع الجهاد وتحميه، وتوفر له عناصر الاستمرارية والنجاح^(١).

كما شكلت التوعية ببناء المجتمع أولوية من أولويات الحركة الإسلامية، كونه أداة التغيير الرئيسية في الواقع، وأساس التطوير الحضاري والمستهدف ضمن المشروع الإسلامي، والمتمثلة في بناء المجتمع المسلم بروابطه المتينة، وخضوعه لتعاليم الإسلام، وإبراز النموذج الإسلامي المتمتع بكل المزايا التي يجب أن تطبق في واقع المجتمعات العربية^(٢).

واستناداً إلى كل ما تقدم، فإن عملية البناء الاجتماعي على أسس عقائدية، بحسب فهم الإخوان المسلمين، باتت ضرورية وموازية لعملية مواجهة المحتل وتحرير الأرض، حيث تتكامل العمليتان ولا تتعارضان على النحو التالي:

١- الأولى تحصين المجتمع بالتربية.

٢- والثانية مواجهة الاحتلال بالمجتمع المحصن.

كما أن عمليتي التربية والإعداد، صبت خلاصتها في مصلحة برنامج المواجهة مع المحتل وتغذيته، عبر تنمية القيم الدينية الدافعة إلى البذل والتضحية والاستشهاد.

وربما شكلت الفترة التي تبعت انطلاق انتفاضة الحجارة أواخر عام ١٩٨٧ مؤشراً على نجاح فترة الإعداد التي سبقتها، فقد أنتجت مسيرة البناء والإعداد التي بدأتها الحركة الإسلامية، وقوداً ثرياً غنياً في تاريخ القضية الفلسطينية، من حيث أعداد المعتقلين والجرحى والشهداء من طلاب الكتل الإسلامية والجامعة الإسلامية، ومدرسيها والعاملين فيها، ومن شباب المساجد وروادها وأئمتها وأشبالها^(٣).

• أسباب انتشار الإخوان الفلسطينيين

يطلق على هذه المرحلة اسم «بناء الأنوية الصلبة»، التي تحملت أعباء الدعوة، وبناء الهياكل، وزيادة الانتشار، رأسياً وأفقياً، وإزالة آثار حملة التشويه التي حورب بها الإخوان المسلمون محلياً وإقليمياً.

وفي ظل هذه الأجواء استمر النشاط الإخواني بصعوبة بالغة، وكان أبرز سمات هذه المرحلة قيام الشيوخ والوعاظ في المساجد بنشر الدعوة الإسلامية بين الناس، خصوصاً الشباب، حيث

١- ماغوو، بول، اقتل خالد... اغتيال مشعل وصعود حماس، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٥٦.

٢- المركز القومي للدراسات والتوثيق، الندوة السياسية: خبرات الحركة السياسية في القرن العشرين، غزة، ط١، ٢٠٠٠، ص٤٥٤.

٣- صالح، جهاد، حماس.. نظرات في الفكر والممارسة، مكتبة المنار، الكويت، ط١، ١٩٨٩، ص٧٣.

قام المكلفون بالعمل التنظيمي بتجنيد من وصف بـ«الشباب الصالح» الذي تنطبق عليه الشروط. ومع هزيمة عام ١٩٦٧، بدأ يتبلور فهم جديد لدى الإخوان المسلمين يعطي للصراع على فلسطين مكانته الواقعية، حيث مثل الوجود اليهودي الصهيوني فيها أوج التحدي الغربي السياسي للأمتين العربية والإسلامية، بما في ذلك من انكشاف الخطر الثقافي والحضاري الشامل الذي مثلته «إسرائيل»، ليس على أرض فلسطين وشعبها فقط، وإنما على الأمة العربية جمعاء، لاسيما مع وضوح التحالف الاستراتيجي التام بين الحركة الصهيونية والغرب في هجمتهم على الأمة. ويمكن معرفة عوامل المد الإخواني في الأراضي الفلسطينية المحتلة في تلك المرحلة من خلال الأسباب التالية:

١- حرب ١٩٦٧: التي شكلت صدمة بالنسبة للفلسطينيين خاصة، وللغرب عامة، لم يستطيعوا استيعابها في الفترة الأولى، بل يمكن القول أنها كانت مفاجئة أكثر من هزيمة ١٩٤٨، نظراً لأن الأجواء التي سادت أثناء النكبة كانت مهياًة لهزيمة العرب.

كما استوعب كثير من المثقفين والساسة العرب تلك الهزيمة لسببين:

أ- طبيعة الأنظمة العربية السائدة في تلك الفترة.

ب- الوضع العالمي الذي سيطرت عليه الدول الاستعمارية.

بينما عاشت الشعوب العربية قبل عام ١٩٦٧ نشوة المد القومي في مرحلة جمال عبد الناصر ١٩١٨-١٩٧٠^(١)، وتعتقد أن مسألة الانتصار على «إسرائيل» غير قابلة للشك، ومن هنا كانت المفاجأة قاصمة^(٢).

ومع وقوع الهزيمة، توضح مؤشر هام تمثل في فشل النظم العربية في مواجهة «إسرائيل»، وبالتالي فقد أعقب الهزيمة مباشرة، عودة التأثير إلى دائرة الساحة الفلسطينية، وبدء صحوة إسلامية جديدة فيها، كان من أبرز معالمها:

أ- تراجع المد القومي واليساري الذي شكل في فترة من فترات الصراع، أملاً تعلق به الجماهير الفلسطينية من أجل التحرير.

ب- بدء قيادات جديدة من المثقفين ممن ينتمون إلى أصول اجتماعية شعبية، تمارس دوراً

١- تولى السلطة في مصر بين عامي ١٩٥٤-١٩٧٠، ويعتبر قائد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، شجع الثورات في الوطن العربي ودول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، ولعب دوراً أساسياً في تأسيس منظمة التحرير سنة ١٩٦٤، يعتبر من أهم الشخصيات السياسية في العالم العربي، عرف عنه قوميته، واكتسب الكثير من المؤيدين، وبالرغم من أن صورته كقائد اهتزت إبان نكسة ١٩٦٧، إلا أنه ما زال يحظى بشعبية وتأييد كبيرين. توفي سنة ١٩٧٠، وكانت آخر مهامه الوساطة لإيقاف أحداث أيلول الأسود بين الأردن والمنظمات الفلسطينية.

٢- البرغوثي، إيداء، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مركز الزهراء للدراسات، القدس، ط١، ١٩٩٠، ص٣٩.

فعالاً في حركة الإخوان المسلمين.

ت- لم يعد الهدف الأول من الصحوة إقامة الدولة الإسلامية فقط، بل تقاطع معه العامل الوطني، بحيث يمكن للصدام مع الاحتلال أن يتواكب مع الدعوة لإقامة الدولة الإسلامية^(١). وعلى صعيد التيار الإسلامي في فلسطين، اعتبرت حرب ١٩٦٧ «نتيجة» لهزيمة الفكر القومي، وكانت الكارثة التي قصمت ظهور من وصفوا في كتابات الإخوان المسلمين بـ«الدجالين من دعاة التحرر والثورية، والأبطال المزيفين الذين أذلوا شعوبهم، وطاردوا دعاة الإسلام، وزجوا بالشباب الطاهر المسلم في السجون والمعتقلات، وحاربوا كل دعوة إسلامية مخلصه، وشجعوا الفساد والانحراف الفكري والسلوكي والأفكار المستوردة، فكانت الهزيمة نتيجة طبيعية لهذا السقوط، وعقوبة ربانية للأدعياء الطغاة»^(٢).

٢- الجوار الجغرافي في مصر والأردن: من خلال الشباب الفلسطيني الذين درسوا في جامعات البلدين في سنوات السبعينيات، وقد عاد هؤلاء الطلبة بعد أن أصبحوا أطباء ومهندسين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، ليقوموا بالدعوة على غرار ما عاشوا في مصر والأردن، حيث استمر تدفقهم حتى نهاية السبعينيات وأوائل الثمانينات، وتحول الوضع الإخواني الفلسطيني تدريجياً إلى موقع تنظيمي بالغ الأهمية^(٣).

٣- ظهور النفط في الخليج: تأثر الفلسطينيون بالآلاف من أبنائهم الذين ذهبوا إلى بلدان الخليج العربي، حيث يتمتع الدين هناك بوضع قوي كـ«قانون وثقافة وقيم»، كما كان تأثير الخليج من خلال المساعدات المالية الحكومية والشعبية التي تدفقت على الأراضي الفلسطينية. خاصة بعد حرب تشرين أول أكتوبر ١٩٧٣^(٤).

وليس خافياً أن بعض دول الخليج وخاصة السعودية، دعمت العديد من النشاطات الإسلامية في فلسطين: سواء بناء المساجد، مساعدة الجمعيات الإسلامية، ولجان الزكاة^(٥).

٤- أحداث الثورة الإيرانية: التي ساهمت من خلال شعاراتها الإسلامية، والدور القيادي

١- الحمد، جواد، المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٤، ١٩٩٧، ص ٢٨٢.

٢- أبو عامر، عدنان، الحركة الإسلامية في قطاع غزة بين الدعوة والسياسة، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٤٢.

٣- نافع، بشير، الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠، مركز فلسطين للدراسات، غزة، ط ١، ١٩٩٩، ص ٢٥.

٤- تعرف بحرب تشرين وحرب يوم الغفران، ودارت بين كل من مصر وسوريا من جانب، وإسرائيل من الجانب الآخر، وبدأت

بهجوم مفاجئ بتاريخ ٦ أكتوبر من قبل الجيشين المصري والسوري على القوات الإسرائيلية المربطة في سيناء والجولان، وتوقف إطلاق النار في ٢٤ أكتوبر، وهدفت مصر وسوريا إلى استردادهما بعد احتلالهما عام ١٩٦٧، وانتهت الحرب رسمياً

بالتوقيع على اتفاقية فك الاشتباك، حيث وافقت إسرائيل على إعادة مدينة القنيطرة لسوريا، وضفة قناة السويس الشرقية

لمصر، مقابل إبعاد القوات المصرية والسورية من خط الهدنة، وتأسيس قوة خاصة للأمم المتحدة لمراقبة تحقيق الاتفاقية.

٥- عمل، ماجد، موقف اليسار الفلسطيني من التيار الأصولي، مجلة قضايا فكرية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٤٢.

لعلماء الدين فيها، في إعطاء دفعة قوية للعمل السياسي الإسلامي في فلسطين.

وأثبتت هذه الثورة التي اندلعت أواخر العام ١٩٧٨، للمرة الأولى الإمكانية الفعلية لوصول الجماهير المؤمنة إلى السلطة بواسطة «الثورة الشعبية»، وبالتالي لم ينحصر تأثيرها فقط في الأهمية الإستراتيجية لإيران، لكنها أثرت على شكل وإستراتيجية العمل السياسي الإسلامي، وواقعية طموحه^(١).

وقد استفاد الإخوان المسلمون من تزايد تأثير الصحوة الإسلامية في العالم العربي تحديداً، والعالم الإسلامي عامة، وبدأ المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال يميل نحو قيم وسلوكيات محافظة تلقائياً، فهو مجتمع أغليته العظمى إسلامية، ويتأثر بالمناخ الإسلامي العام المحيط به.

ومن المؤشرات المرافقة لهذا التحول المتدرج والمستمر، ازدياد عدد المساجد والمصلين بصورة ملحوظة، وتسارع الالتزام بالمظاهر الإسلامية، كارتداء الأزياء الإسلامية من قبل عدد متصاعد من النساء، وإطلاق اللحي من قبل الرجال^(٢).

٥- تراجع منظمة التحرير: فقد كان لحرب عام ١٩٨٢ وغزو لبنان من قبل الاحتلال الإسرائيلي، تأثير سلبي على منظمة التحرير بفصائلها المختلفة لسببين:

أ- خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان.

ب- الانشقاق الذي حدث في حركة فتح.

ومما ساهم في انحسار نفوذ منظمة التحرير، ما أعطته التجربة اللبنانية أوائل الثمانينيات في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وما صاحبها من عمليات فدائية ضد الجيش الإسرائيلي وقوات «المارينز» الأمريكية، وبالتالي أعطى دفعة قوية للتيار الإسلامي في فلسطين.

إلى جانب ذلك، فقد عانت الفصائل الوطنية الفلسطينية الكثير من المشاكل والعقبات التي تكدست أمامها، وحالت دون تحقيقها للشعارات التي رفعتها، لعدة أسباب:

أ- التردد الكبير والتغييرات الجذرية التي طرأت على تلك الشعارات، من تحرير كامل التراب الفلسطيني وإقامة الدولة العلمانية، إلى تأسيس دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، إلى الاتحاد الكونفدرالي مع الأردن.

ب- التخلي عن تبني الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين، إلى جعله أمراً هاماً يسير جنباً إلى جنب مع العمل السياسي، إلى اعتماد العمل السياسي السلمي خياراً وحيداً.

١- أبو عمرو، زياد، أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٦٧، دار الأسوار، عكا، ط١، ١٩٨٧، ص٤٣.

٢- الجريايوي، علي، حماس... مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية، الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣، ص٧٥.

ت- وقوع الشباب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها في اضطراب وخيبة أمل، وجعلت الكثيرين منهم يجدون في ثبات شعارات الحركة الإسلامية ملجأ لهم^(١).

٦- الطابع الديني للصراع: بات كثير من الفلسطينيين في تلك المرحلة مقتنعين بأن الصراع مع «إسرائيل» هو صراع ديني بالأساس، وأن السر الكامن وراء نجاح الإسرائيليين هو تمسكهم بدينهم، مما يجعلهم يعتقدون أن الاحتلال الإسرائيلي ليس تهديداً للأرض فقط، بل للهوية الوطنية والثقافية التي يشكل الإسلام عمودها الفقري.

وازدادت ثقة الفلسطينيين أنه كلما زاد الإسرائيليون في تطرفهم الديني اليهودي، كان ذلك داعياً لهم للعودة إلى الأصول الإسلامية، والتمسك بها أكثر.

• طفرة بناء المساجد

كانت الأوقاف في الضفة الغربية وقطاع غزة تابعة للحكم العسكري الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٧، حيث يشرف ضابط إسرائيلي على المساجد الحكومية، مما أدى إلى انتشار ما بات يعرف بـ«المساجد غير الحكومية»، أو «المساجد الأهلية»، وكان يتم فصل إمام المسجد الحكومي من عمله، إذا تدخل في السياسة بطريقة لا ترضي الإسرائيليين، بينما يبقى العاملون في المساجد الأهلية بمنأى عن تدخل الاحتلال المباشر.

وقد أصبحت «المساجد الأهلية» في الأراضي المحتلة معاقل للإخوان المسلمين، بل نسبت إلى تلك التنظيمات الإسلامية، حسب التوجه السياسي للإمام والجمهور الذي يؤمها^(٢).

وللهروب من تدخل سلطات الاحتلال في شؤون المساجد، قام الأهالي في أحيان كثيرة بمبادرات شخصيات محسوبة على الإخوان المسلمين، بجمع التبرعات وبناء مساجد بعيدة عن سيطرة ضابط ركن الأوقاف وتدخلاته، حيث كان العمل فيها تطوعياً ولا يتلقى العاملون فيها رواتب من الحكومة الإسرائيلية، ولذلك كانت بمنأى عن التدخلات المباشرة، نظراً للحساسية الدينية التي تتمتع بها المساجد، مما أكسبها حصانة نسبية.

وبين العامي ١٩٧٠-١٩٨٨ تم بناء ١٤٠ مسجداً، وزاد عددها عن ستمائة، فيما لم تزد قبل الاحتلال الإسرائيلي عن المائتين، وبصورة إجمالية فقد بني من المساجد في فلسطين بعد عام ١٩٦٧ أكثر مما بني منذ فتحها المسلمون حتى ذلك التاريخ^(٣).

وقد وصف الإخوان المسلمون فترة ما بعد النكسة بين العامي ١٩٦٧-١٩٧٥، بأنها مرحلة المساجد، حيث هدفت إلى بناء المساجد، واستيعاب الجيل وتعبئته، ولملمة شتاته، وتأطير

١- البرغوثي، إياد، الإسلام السياسي في فلسطين: ما وراء السياسة، مركز القدس للإعلام، القدس، ط١، ٢٠٠٠، ص٤٩.

2- Zeev Schiff and Ehud Yaari, Intifada: The Palestinian Uprising, Simon & Schuster, 1989, p242.

٣- موراي، إيان، الإسلام يشكل المقاومة في الأراضي المحتلة، جريدة القبس، الكويت، ١٤/١٠/١٩٨٧.

توجهه، وتركيز عقيدته، وتعميقها لمواجهة التيار الصهيوني^(١).

وعلقت مجلة «التايمز» اللندنية على ظاهرة زيادة عدد المساجد بقولها: «إن السبب الرئيسي لزيادة عدد المساجد عما كانت عليه في بداية الاحتلال هو تنامي التيار الإسلامي، ومن مظاهر ذلك الأعداد الكبيرة من المسلمين الذين يأتون للصلاة في المسجد الأقصى، مع أنه لم يكن يؤدي الصلاة فيه سوى عدد قليل جداً من الرجال قبل عشرين عاماً»^(٢).

وهكذا شكلت المساجد في الضفة الغربية وقطاع غزة، رموزاً حقيقية للهوية الدينية والاجتماعية، لجمهور كبير من المواطنين في هذه المنطقة، وعمل الإخوان المسلمون منذ بداية تحركهم، لتشكيل مراكز تجمع ونقاط انطلاق وملاجئ لهم، وللخلايا والحلقات التابعة لهم في هذه المساجد.

وسعت الحركة «المحرومة» من التعبير السياسي العلني، إلى استخدام منابر المساجد ودور العبادة للتعبير عن آرائها ومواقفها، كما أن هجمات المتطرفين اليهود على الأماكن المقدسة أدت إلى تقوية تعلق المواطنين بها.

ونجح الإخوان في الوصول إلى المساجد عبر إقامة علاقات طيبة من خلال زيارة أئمة المساجد، وقيام عناصرهم بحملات جمع التبرعات وتنظيف المساجد، وإصلاح ما يعطل من أجهزة فيها، بحيث باتوا جزءاً لا يتجزأ من أسرة المسجد، ولا يستطيع الإمام الاستغناء عنهم.

وقد أتقن الإسلاميون اختيار الأوقات المناسبة لتشييد وبناء المساجد الجديدة، حيث اعتادوا اختيار أيام السبت، حيث إجازة القيادة العسكرية الإسرائيلية، ويقومون باستدعاء مئات العمال لأعمال البناء والتشييد ليكون مسجداً للعائلة أو الحي في أقل من أربع وعشرين ساعة.

وقد أوضح المستشرق الإسرائيلي «شالوم هراري» لاحقاً هذه الظاهرة الفريدة بقوله: «في صبيحة يوم الأحد، كنا نستفيق لنرى مسجداً لم يكن موجوداً يوم الجمعة»^(٣)!

فيما عبر الدبلوماسي الأمريكي «دان كرتزر» عن ذلك مشدوهاً بالقول: فجأة، يكون هناك مبنى أخضر وأبيض، حيث لم يكن موجوداً في الأسبوع السابق»^(٤).

كما سيطر الإخوان المسلمون في الأراضي المحتلة وفقاً للتقديرات، على نحو ٤٠٪ من إجمالي المساجد حتى عام ١٩٨٧، وكانت طرق السيطرة كثيرة ومتنوعة، كالمعونات المالية والتبرعات، وإقامة المكتبات في المساجد.

١- حيدر، خليل، الحركات الإسلامية في الدول العربية، مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٨، ص٢١.

٢- جبارة، تيسير، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٩٢، ص١٩.

٣- معاريف، ١٩/١٢/١٩٨٥.

٤- يديعوت أحرونوت، ٢٨/١١/١٩٨٥.

ولم يكن للإدارة المدنية الإسرائيلية أية وسيلة للإشراف على نشاط المساجد أو توجيهها، وأكد تقريرها لعام ١٩٨٥ أنه ليس لديها أية سيطرة على المساجد، وما يجري حولها. واعتقدت سلطات الاحتلال أن المساجد لعبت دوراً موازياً للدور الذي أدته الجامعات والسجون والمعقلات، حيث تم تجنيد الأفراد داخلها، وزعمت أن الإخوان المسلمين استخدمت المساجد في تأمين تخزين الأسلحة القتالية، نظراً لما يوفره طابعها الديني من خصوصية تبعد عنها الشبهات^(١).

وفي العام ١٩٨٤، كتب المسئول الأمني الإسرائيلي «أمنون كوهين» تقريراً عن المساجد في محاولة منه لإعاقة بنائها، ومقترحاً حظر بناء أي مسجد جديد دون توصية من القيادة العسكرية للأراضي المحتلة، وموافقة القاضي المحلي وممثلي الوقف، وتقديم طالب البناء طلباً بالتصريح من اللجنة المحلية، وقائمة بأسماء مجلس الإدارة، والعاملين بالمسجد لإجراء فحص أمني عليهم^(٢).

وطيلة الوقت، لم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط، بل تجري فيه معظم الأمور الاجتماعية، فالصلاة فيه، والاعتصام ضد المحتل تحت قبته، والإفطار الجماعي في صحنه، وتوبة العميل في رحابه^(٣)، وجمع التبرعات وتوزيع الصدقات فيه.

وبالإمكان إدراك حساسية دور العبادة عند الحركة الإسلامية، بما يميز الإسلاميين عن القوى السياسية الأخرى، بانفرادهم بمؤسسة المساجد، ولم ينازعهم فيها أحد، فضلاً عن أثرها الكبير في مجتمع أغليبيته من المسلمين كالمجتمع الفلسطيني^(٤).

ولذلك، فقد تعدى دور المسجد لأكثر من كونه مكاناً فقط للصلاة والعبادة:

أ- فقد أصبح معقلاً لإقامة الندوات والاجتماعات التي تكون أحياناً بشكل دوري.

ب- وقاعات لتحفيظ القرآن الكريم، حيث تتخذ دور القرآن من المساجد مقرات لها.

ت- وساحة لإقامة الاحتفالات الدينية.

ث- وغالباً ما يكون له مكتبته الخاصة.

ج- ويكون له فريقه الرياضي الخاص، وتجري مباريات تحت عنوان دوري المساجد.

١- المدهون، ربعي، الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٢٨-١٩٨٧، شؤون فلسطينية، العدد ١٨٧، أكتوبر ١٩٨٧، ص ٢٧.

٢- شكيد، مرجع سابق، ص ٧٦.

٣- عادة درجت عليها القوى الوطنية تعفو خلالها عن العملاء المرتبطين بالاحتلال الإسرائيلي، بحيث يعلن العميل عن توبته الحقيقية عن التعامل مع سلطات الاحتلال داخل المسجد.

4- Ira Lapidus, Islam Political Movements... Patterns of Historical change, University of California press, 1988, p50.

ح- وله مجلة حائط، وفيه توزع منشورات الاتجاهات الإسلامية، ومنها تعمم الأخبار التي تهم الجمهور، وعلى أبوابها تعلق الإعلانات الهامة.

خ- وله دور بارز في تنظيم الزيارات الجماعية للمسجد الأقصى المبارك.

د- كما برزت فيه ظاهرة الإفطارات الجماعية، والاعتكافات في شهر رمضان، التي عمت الكثير من مساجد الأراضي المحتلة^(١).

عموماً، فقد شكل المسجد لفترة طويلة، خاصة بين العامي ١٩٦٧-١٩٨٧، مركزاً للتجمع الديني والاجتماعي والثقافي.

• مركزية الشيخ أحمد ياسين^(٢)

كان الشيخ أحمد ياسين رائد هذه المرحلة، فقد برع في استقطاب الفتيان والشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-٢٠ عاماً، وكون له قاعدتين دعويتين في مدينة غزة:

١- القاعدة الأولى في المسجد الشمالي بمخيم الشاطئ.

٢- القاعدة الثانية في مسجد العباس بحي الرمال.

وكانت الجلسات الأسبوعية بداية لتنظيم هؤلاء الشباب، الذين سيحملون على عاتقهم مهمة العمل الإسلامي في الجامعات المصرية والأردنية، وفي دول الغرب.

ومع التقيد بالعمل الدعوي في هذه المرحلة، إلا أن إشارات ذات مغزى ظهرت أحياناً وكشفت عن نوايا الإخوان وتطلعاتهم، وفي مقدمتهم الشيخ ياسين من خلال موقفين هاميين:

أ- فقد سمى ولده الأول «عائد» قبل حرب عام ١٩٦٧، ولما توفي، وجاءه الولد الثاني سماه بذات الاسم، وجاءت البنت الأولى ليسميتها «عائدة».

ب- عندما أسندت قوات الاحتلال قيادة قطاع غزة إلى الجنرال «أريئيل شارون»^(٣) الذي

1- Azzam Tamimi, Hamas: Unwritten Chapters, Hurt Company, 2007,p44.

٢- زعيم فلسطيني، بدأ نشاطه السياسي بالمشاركة في المظاهرات الاحتجاجية على العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وأظهر قدرات خطابية وتنظيمية. ولع نجمه في غزة، مما لفت إليه أنظار المخابرات المصرية، فاعتقلته، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية، ثم أفرج عنه. بعد هزيمة ١٩٦٧ استمر في إلهاب مشاعر المصلين من فوق منابر غزة، ونشط في جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين، ثم عمل رئيساً للمجمع الإسلامي، وأنشأ أول مجموعة عسكرية عام ١٩٨٤ لمقاومة الاحتلال، إلا أنه اعتقل وحكم عليه بالسجن المؤبد، ولم يطلق سراحه إلا ضمن صفقة تبادل أسرى، وبعد اندلاع الانتفاضة أواخر عام ١٩٨٧، أسس حركة حماس، حيث اعتقلته سلطات الاحتلال عدة مرات، وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، وأفرج عنه في تشرين الأول ١٩٩٧. تعرض للاغتيال عدة مرات، إلا أن يوم الاثنين الموافق ٢٢ آذار ٢٠٠٤، شهد استشهاده وهو ابن الـ٦٥ عاماً، بصاروخ إسرائيلي حول جسده القعيد إلى أشلاء متناثرة.

٣- جنرال إسرائيلي، انخرط في صفوف الهاغاناه، كُلف بتشكيل وحدة ١٠١ بعد تنفيذ مجزرة قبية، وتولى قيادة فرقة مظليين خلال حرب سيناء، ثم عُيّن قائداً للواء الجنوب، وقاد حملات اغتيالات واعتقالات ضدّ المقاومين في غزة. سعى لتعميق الاستيطان، وأقام علاقات مع الحركات الاستيطانية، ومن أشد معارضي اتفاقيات «كامب ديفيد». تولى حقيبة الدفاع في حكومة «بيغن»،

استخدم كل أساليب القمع والإرهاب للقضاء على العمل الفدائي في الأراضي المحتلة، وحين حوَصر مخيم الشاطئ للاجئين عدة أسابيع، وقف يومها الشيخ ياسين على منبر مسجد العباس في خطبة الجمعة ليلهب حماس الناس، حيث خرجت المظاهرة الحاشدة عقب الصلاة، تتحدى قوات الاحتلال، وتطالب بكسر الطوق عن المخيم، فيأمر الاحتلال بمنعه من الخطابة^(١).

لقد ركز الشيخ ياسين نشاطه الحركي الإسلامي في السنوات الأولى التي ضعف فيها الإخوان المسلمون في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتمكن من إنشاء هياكل تنظيمية، وبدأ بعملية جمع التبرعات، وحين أصبح بحوزته مبلغٌ من المال أنشأ مسجداً صغيراً شمال المخيم، وأقام فيه فصولاً تعليمية، وبجواره نادياً اجتماعياً، وملعباً صغيراً لكرة القدم، ونظم المسابقات الرياضية، وفي الصيف أقام المخيمات الصيفية للأطفال^(٢).

وقد برز الشيخ ياسين، وتميَّز بسعة المعرفة، وقدرته التنظيمية، وقيادته الجذابة والمحبوبة، وشخصيته (الكاريزماتية) في أوساط أبناء جيل الشباب داخل سكان المخيمات، وذو حضور ديني واجتماعي بارز في الأراضي المحتلة.

كما ساهمت صفات التفاني في خدمة الناس، والعمل على قضاء حوائجهم ومواساتهم، والوقوف الدائم إلى جانبهم، في نشوء حالة من الاحترام والتقدير له في معظم الأوساط، وصلت ذروتها في السعي إليه للاحتكام في المنازعات، وفض الخلافات، وقبول الحكم الذي يصدر عنه^(٣).

وجاء النجاح الذي حصده الإخوان بزعامة الشيخ ياسين من خلال توسيع صفوف الحركة، وتعدد نشاطها داخل الجماهير، نظراً لعدة أسباب لعل أهمها ذلك الواقع الاجتماعي والاقتصادي الصعب في الضفة الغربية وقطاع غزة، الذي يعتبر معظم سكانها لاجئين من أصل قروي، وإنَّ تخرُّج جيل كبير من الجامعات خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات، وأصابتهم حالة من الإحباط إلى حد كبير بسبب فقدان الأمل في التقدم الاجتماعي والاقتصادي، خاصة تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي زاد الالتفاف حول الحركة.

هذه الخلفية المليئة بالتقاليد الإسلامية، وظروف العيش الصعبة، والمحبة من جانب، ومن جانب آخر الانفتاح نحو الحداثة، منح الخيار الإسلامي الطريق السهلة، والتمرد على الواقع

ودعا للتخلص من منظمة التحرير، وإخراجها من لبنان بالكامل، ونفذ مذابح صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢، التي راح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين، انسحب من قطاع غزة عام ٢٠٠٥، وترأس الحكومة الإسرائيلية بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٦.

1- Avraham Diskin and Shaul Mishal , Coalition Formation in the Arab World :an Analytical Perspective, International Interactions, vol. 11, 1984, p44

٢- شاول مشعال وأبراهام سيلع، عصر حماس، دار يديعوت أحرونوت، تل أبيب، ١، ١٩٩٩، ص ١٥٤.

٣- أبو عمرو، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، عكا، دار الأسوار، ١، ١٩٨٩، ص ٢٣.

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للحياة تحت الاحتلال الإسرائيلي^(١).

ونظراً لنشاط الشيخ ياسين في صفوف الإخوان المسلمين، فقد طاردته السلطات المصرية، وسجنته عام ١٩٦٦ بتهمة التخريب ضد النظام الحاكم، من خلال موجة الاعتقالات التي صاحبت إعدام «سيد قطب» في مصر، وعلى عكس ما حدث مع زملائه، فلم يتم تحويله إلى السجن العسكري نظراً لظروفه الصحية، بل أدخل السجن في غزة، وبعد مرور شهر أطلق سراحه.

ومع ذلك، فقد كان للعمل الدعوي الذي شرع به الشيخ ياسين ورفاقه نتائج على المدى البعيد، فما إن جاء عام انتفاضة الحجارة ١٩٨٧، حتى كان الإخوان المسلمون قد ثبتوا وجودهم في معظم المؤسسات المتواجدة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأنشأوا مؤسساتهم الخاصة بهم في قطاع غزة والضفة الغربية.

إلى جانب أن ثقلهم من «التراكم الكمي» بلغ ما يكفي لإحداث تغيير نوعي حاد، وكان لا بد لهذا التغيير أن يتطرق إلى سلوكهم العملي تجاه الاحتلال الإسرائيلي، وتمثل ذلك بحدوث الانتفاضة، وبسبب متطلبات الأيديولوجية التي يجب أن تستمر بشكل أو بآخر لدى حركة تعتمد الدين منهجها وفكرها وهدفها، وتعتمد التعبئة المستمرة ضد اليهود، التي يجب أن تتجسد في الواقع العملي^(٢).

• وسائل وأساليب الإخوان

يمكن القول أن نشاط الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة اقتصر في هذه المرحلة بين عامي ١٩٦٧-١٩٨٧ بصورة عامة على الأمور الدينية والاجتماعية، ولم يكن ذا طابع سياسي واضح أو محدد.

إلا أن تراجع نضال الحركة الوطنية الفلسطينية، وبعض العوامل الداخلية والخارجية، أفسح المجال أمام الجماعة كي تقوم بنشاط سياسي ملحوظ، خصوصاً داخل الجامعات، وتركز هذا النشاط أساساً في مواجهة أفكار ونفوذ الفصائل الوطنية المنضوية في إطار منظمة التحرير، والتصدي لتهجها العلماني، ولم يخصص سوى جزء من جهد الجماعة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي مباشرة^(٣).

كما استطاع الإخوان المسلمون في هذه المرحلة الاتصال اليومي بالجماهير في الأراضي المحتلة، والتأثير فيها، من خلال النشاطات والاحتفالات الدينية والاجتماعية، كذكرى ليلة القدر،

1- Shaul Mishal and Reuven Aharoni , Speaking Stones Communiqués from the Intifada Underground, Syracuse University Press ,1994 , p40.

٢- أبو عامر، مرجع سابق، ص ٧٥.

٣- أبو عمرو، زياد، حماس خلفية تاريخية وسياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٢، شتاء ١٩٩٢، ص ٨٦.

الإسراء والمعراج، والمولد النبوي وما شابه.

ومن المعروف أن الاحتفالات الدينية لا تخضع لذات القيود التي تتعرض لها النشاطات الوطنية والسياسية، لاسيما وأن الإخوان المسلمين نجحوا في تطوير أساليب خاصة في هذه النشاطات والاحتفالات، لا يسمح فيها بالاختلاط أو الغناء أو الرقص، حيث يجتمع الرجال في الأعراس مثلاً في قاعة يستمعون فيها للآيات القرآنية والمواعظ، أو الأناشيد الدينية، ويشاهدون العروض المسرحية الإسلامية ذات الدلالات والعبء الأخلاقية^(١).

وهكذا ارتبط بناء المجتمع الفلسطيني بمفهوم الإخوان المسلمين، وإستراتيجيتهم القائمة على الجهاد، إذ أن هذا المجتمع هو البيئة التي تحميه وتهض به، وتوفر له عناصر الاستمرارية والنجاح^(٢).

وبالتالي فقد أثمرت النشاطات الإخوانية في الأراضي المحتلة في فترة السبعينيات، وظهر ذلك جلياً بصورة واضحة، في النتائج التي أسفرت عنها دراسة ميدانية أجريت في النصف الأول من العقد السابع من القرن العشرين بين عامي ١٩٧١-١٩٧٢ على مجموعة من أصحاب المهن الحرة في بعض المناطق الفلسطينية، وأوضحت أن ما يقرب من ٥٥% ممن تم استجوابهم، فضلوا أن يدمج الدين في الحياة الاجتماعية، كما ظل الإسلام هو الإطار المرجعي للغالبية العظمى منهم^(٣).

وقد وظفت الحركة الإسلامية عدداً من الوسائل والأساليب لزيادة مدها وانتشارها الجماهيري، ومنها :

١- خطباء المساجد: فقد احتل إمام المسجد مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، ولعب أدواراً دينية وثقافية واجتماعية مميزة، وكان يشكل لجاناً لمساعدته، حيث سيطر شباب الإخوان المسلمين على نصيب كبير منها، وبدأت تتراجع من الذاكرة صورة الإمام الطاعن في السن لتحل مكانها صورة الإمام الشاب، كما اختلفت النظرة السائدة للمسجد على أنه مكان للعبادة والصلاة فقط، إلى مكان يلعب دوراً نشطاً في الحياة المجتمعية.

٢- دروس الوعظ والإرشاد: من خلال حلقات الدروس، التي كانت تعطى في المساجد والساحات العامة، والندوات الدينية، إلى جانب المنتديات الاجتماعية، لتعريف الأعضاء المحتملين على المواعظ والدروس الدينية، ونشر فكر الإخوان شفاهاة في الحلقات التعليمية.

٣- الأعراس الإسلامية: التي بدت في تلك المرحلة غريبة، والإقبال عليها ضعيفاً، ونظر

١- الحروب، خالد، حماس الفكر والممارسة السياسية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص٢٦٠.

٢- عوض خليل، جذور الإسلام السياسي في فلسطين، شؤون فلسطينية، العدد ٢٢٧، مارس ١٩٩٢، ص٢٣.

٣- مصطفى، هالة، التيار الإسلامي في الأرض المحتلة، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ١١٢، يوليو ١٩٨٨، ص٨٢.

إليها الناس على أنها مؤشر تخلف ورجعية، إلا أن الإخوان بدأوا من خلالها ينشرون المسرح الإسلامي في مناطق مختلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة، وسرعان ما أصبح الناس كلهم في شوق لإقامة هذه الحفلات الإسلامية، حيث حرص الإخوان على تأسيس العديد من الفرق الفنية، للنشيد والمسرح، ولديهم اليوم تراث طويل من الإنتاج الفني.

٤- الكتب الإسلامية: التي أنارت الطريق للقراء في العثور على الحل الصحيح لمستقبل أفضل، والتخلص من الاحتلال، حيث لجأ الإخوان إليها في نشر أفكارهم، وتوسيع نفوذهم، لاسيما تلك الكتب الدينية الصادرة عن قادة الفكر الإسلامي^(١).

وقد اكتظت رفوف المكتبات الإسلامية بالمئات من هذه الكتب والأديبات، حيث جرى استيراد معظمها من الخارج، ومن أشهرها: رسائل الإمام حسن البنا، كتابات سيد قطب، محمد قطب، محمد الغزالي، رياض الصالحين، الأربعين النووية، المنهج الحركي للسيرة النبوية، سلسلة العوائق، الرقائق، المنطلق، لعبة الأمم، الخطر الصهيوني، وغيرها. وقد انتشرت هذه الكتب في عقدي السبعينات والثمانينات بشكل رائع، حتى أن دور النشر التي أرادت زيادة دخلها، كانت تزيد من طباعة الكتب الإسلامية.

وقد جرى نشر ثماني مجلات بشكل منتظم أو متقطع من قبل المؤسسات والكتل الطلابية المختلفة التابعة للإخوان المسلمين، وركزت محتوياتها على المسلكية الفردية، ووصف الثقافة السائدة بأنها مشوهة بفعل تأثير الغرب، والدعوة للعودة إلى الإسلام، والتحريض ضد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وتوجيه النقد للقوى الوطنية المحلية، ووصف الاحتلال الإسرائيلي بأنه «لعنة أو عقاب من الله»، لأن الفلسطينيين ابتعدوا عن طريق الإسلام الحقيقي، وإن السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق هو العودة للإسلام.

وفيما يخص المنهاج التربوي للأسر الإخوانية، فقد كانت كتب الفقه والسيرة والتفسير، والكتب الحركية، والمنشورات والدراسات التي تناولت القضية الفلسطينية^(٢).

٥- لجان الإصلاح الاجتماعي: دخل الإخوان هذا المجال باعتباره من المجالات الاجتماعية المهمة، حيث توسط المجمع الإسلامي لتسوية النزاعات بين العشائر، في مجتمع تقليدي ذي روابط عائلية تحدها رابطة الدم كالمجتمع الفلسطيني، على أن يكون للتوسط والتحكيم المتفق عليه آلية العمل في تسوية النزاعات، وكان للجان الإصلاح التابعة للمجمع التي هبَّت للدفاع عن أبناء الطبقات الضعيفة والفقيرة، أثراً كبيراً منحها قوة جذب داخل هذه الطبقات^(٣).

١- الطيب، توفيق، الحل الإسلامي ما بعد النكبتين، دار المختار الإسلامي للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٧٩، ص٦٤.

٢- يمكن الرجوع إلى كتاب عبد الحلیم محمود: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠.

٣- سارة، فايز، الحركة الإسلامية في فلسطين.. الأيديولوجيا والسياسة، المستقبل العربي، ع١٢٤، يونيو ١٩٨٩، ص٦١.

٦- العمل المؤسساتي: عمل الإخوان على تعميم الانتشار الواسع للتيار الإسلامي في الأراضي المحتلة، من خلال إنشاء جمعيات أهلية، لإضفاء الصبغة القانونية لنشاطاتهم الاجتماعية، رغم أن طلبات للشيخ ياسين بإنشائها رفضت من قبل الحكم العسكري حتى سنة ١٩٧٠، وبضغوط من قبل أوساط تقليدية، أنشئت الجمعية الإسلامية كوسيلة للعمل الجماهيري والديني، وفتحت لها فروعاً في التجمعات السكانية المهمة^(١).

٧- الأنشطة الرياضية: حيث كان الإخوان يشرفون عليها مباشرة، ويعقدون البطولات والمباريات مع المساجد الأخرى، وهو نشاط كان يغلف بالطابع الدعوي، حيث يسبق المباراة أو التدريب درس خفيف ودعاء ديني، والأمر ذاته عند انتهاء النشاط.

كما وجد عناصر الإخوان طعماً للرياضة في إطار المسجد، حيث يصلون الفجر، ثم ينزلون ساحة الملعب يستمعون إلى درس، ليس فقط عن طريق مدرب رياضي، وإنما مربّي يقوم بتوجيهاته التربوية والأخلاقية.

وهكذا شكلت الرياضة عامل جذب يستخدمه الإخوان لاستقطاب المزيد من الأنصار، فكان الأخ يجد مع الرياضة وجبات إيمانية، وجرعات أخلاقية، مما كان له أثراً كبيراً في توسيع إطار أنصار الحركة في ذلك الوقت.

• الموقف من المقاومة المسلحة

لقد علقت قيادة الإخوان المسلمين تركيزها على الشعائر الدينية والمفاهيم العقائدية، انطلاقاً من تركيزها على تعبئة الأمة، وحشدتها لمعركة التحرير، لأن الفلسطينيين بمفردهم لا يستطيعون الانتصار في المعركة.

كما أن تحقيق التعبئة والحشد -وفق مفهومهم- لا ينجزان إلا على أرضية إسلامية، تؤدي لإنتاج جيل مسلم ملتزم بالدين ومستعد للتضحية، ويبدأ ذلك بصوغ الفرد صوغاً إسلامياً عقائدياً، وهي نقطة البداية التي كرسوها في إطار محدد الملامح والقسمات، وبذلك نظروا إلى الافتراق عن الحركات المبادرة لتبني المقاومة المسلحة، على أنه اختيار بين طريقتين:

١- أن تبدأ بعملية قتال عصابات ضد الاحتلال الإسرائيلي كباقي المنظمات الفلسطينية، وتستعمل نفس الشباب الذين تربوا في ظل هذه الأنظمة والأفكار البعيدة عن الإسلام، وبهذا تكون امتداداً لكل ما حدث في الماضي، وتعيد تكرار أخطائه.

٢- أن تبدأ بعملية بعث حضاري شامل للأمة في سبيل إحياء الإسلام في نفوسها، ومن ثم، بعد عملية البعث هذه، تكون الانطلاقة نحو التحرير^(٢).

١- الجرباوي، علي، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص٢٧.

٢- المقادمة، مرجع سابق، ص٢٥٤.

ويشير السياق التاريخي لبروز الصوت الحركي الإسلامي وخفوته في فلسطين، ومنذ فترة مبكرة من القرن العشرين، إلى أن فترات تنامي نفوذه، وتعاضل قوته، تزامنت مع انخراط الإسلاميين التام في الكفاح الوطني المعني مباشرة بمقاومة الاحتلال الأجنبي: الاستعمار الإنجليزي أولاً، ثم الغزو والاستيطان الصهيوني تالياً.

وقد مثلت تلك المقاومة، ولا تزال، بوابة الشرعية السياسية والجماهيرية، كونها التعامل الأصح والمتوقع مع جوهر القضية المركزية في فلسطين، وهي قضية اغتصاب الأرض، ووجود الاحتلال الأجنبي، ويمكن الاستدلال بتصاعد نفوذ الإخوان المسلمين وشعبيتهم في مطلع الخمسينيات، وفي نهاية الثمانينات، مع انطلاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، وانخراطها في مشروع المقاومة^(١).

وهكذا لم تكن الفجوة السياسية بين الإخوان المسلمين ومنظمة التحرير الفلسطينية بشأن المقاومة المسلحة نفسها، وإنما حول مسألة التوقيت، فقد اختار ياسر عرفات^(٢) ورفاقه في الفصائل الوطنية الكفاح المسلح لاستعادة فلسطين منذ أواخر الخمسينات، لكن الشيخ ياسين بقي ملتزماً بفكر الإخوان المسلمين القائم على أن تحرير الأرض يأتي فقط نتيجة لبرنامج طويل ومكثف من التعليم الأيديولوجي، والديني، والنفسي.

أكثر من ذلك، فإن الإسلاميين الفلسطينيين رأوا أن راية الإسلام هي التي أخرجت الصليبيين من القدس في القرن الثاني عشر، وبمواجهة تكرار فشل من وصفوهم بـ«العرب العلمانيين»، كانت هناك حاجة إلى الروح المعنوية نفسها في أواخر القرن العشرين.

حتى أن قيادات الإخوان في الأراضي المحتلة اعتقدوا على نطاق واسع أن الفلسطينيين لا يمكن أن يكونوا سوى «رأس حربة»، لمساعدتهم في طرد اليهود من فلسطين، وكانوا بحاجة لأن يقوم نظراؤهم بإنشاء دولة إسلامية في إحدى الدول المجاورة^(٣).

كما اعتبر الإخوان المسلمون الفلسطينيون أن الطريق التي اختاروها في هذه المرحلة هي الأصعب، فليس أسهل على الشباب المليئة قلوبهم بالحماسة والاندفاع، من حمل السلاح، والانطلاق نحو قتال الاحتلال الإسرائيلي، وهذه الطريق توحى لسالكها بقصرها، والعكس

١- دخان، عبد الفتاح، الإخوان المسلمون وقضية فلسطين في القرن العشرين، مركز النور للبحوث، غزة، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٧٦.
٢- من رموز حركة النضال الفلسطيني، أول رئيس للسلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤، ترأس منظمة التحرير عام ١٩٦٩، تزعم حركة فتح، وقاد مسيرته من عدة بلدان عربية بينها الأردن ولبنان وتونس، وأسس قواعد مسلحة في بيروت، ثم خرج إلى تونس بعد محاصرته من قبل القوات الإسرائيلية، وجاء أهم تحول سياسي في مسيرته بقبول بقرار ٢٤٢، وبعد انعقاد مؤتمر مدريد والقبول بحل الدولتين، دخل في مفاوضات سرية مع الإسرائيليين، تمخضت عن اتفاق أوسلو، وحظي على جائزة نوبل بالمنافسة مع «إسحاق رابين»، وما لبث أن حاصره الاحتلال في مقر إقامته برام الله، إلى أن انتقل إلى رحمة الله بتاريخ ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤، بعد تسميمه من المخابرات الإسرائيلية.

٣- ماغوو، مرجع سابق، ص٦٣.

صحيح، فكيف تتنوع هؤلاء الشباب بمقاومة إغراء السلاح، وقصر الطريق، والتوجه نحو الطريق الذي يبدو طويلاً، وغير محددة نهايته؟

وهكذا، التقت الظروف الموضوعية والذاتية في تبرير ابتعاد الإخوان الفلسطينيين عن ساحة العمل الفدائي، مع التوجهات الأساسية في فكرهم، حيث أنهم يعطون المسائل الاجتماعية، وتربية الفرد، ومن ثم الأسرة، وصولاً إلى المجتمع المسلم، أولوية في تنظيرهم وممارستهم العملية، ويتعدون عن استخدام الوسائل العنيفة كالقوة^(١).

ورغم ذلك فقد واجه الإخوان إخراجات شديدة من قبل عناصرهم، الذين أتوا إليهم طالبين العمل في المجال العسكري، ولما لا يجدوا مرادهم توجه بعضهم إلى منظمات أخرى مثل فتح وغيرها.

وقد قامت حجة الإخوان المسلمين الفلسطينيين في عدم الانخراط في المقاومة المسلحة على النقاط التالية:

- أ- عدم توفر الإعداد اللازم من ناحية الإعداد المادي والبشري، وقلة العناصر.
- ب- عدم افتتاح الجمهور الفلسطيني بجدوى هذا العمل، خاصة ما يتعلق بإيقاع الخسائر في الجيش الإسرائيلي، كما غلب على العمل الفدائي آنذاك الطابع الاستعراضي.
- ت- تذرر الفلسطينيين من ظاهرة الفدائيين الذين شكلوا في كثير من الأحيان عبئاً عليهم، ولم يكن لهم ذلك الرصيد الجماهيري^(٢).

ورغم أن هذه المرحلة تعتبر التأسيسية للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أن تأخير العمل العسكري، وعدم الشروع في مقاومة الاحتلال، أثرا بعض الشيء على الحركة، لاسيما أن هذا التأخير يقف خلفه إشكالية نظرية، في العلاقة بين التحرير والتغيير.

في حين جاءت المراحل التي تم فيها تجاوز هذه التقابلية، واشتغل فيها الإخوان على جبهتي التحرير والتغيير في آن واحد، دون تقديم واحدة على حساب الأخرى، من أكثر المراحل الناجحة بالمعايير كلها في سيرة الإخوان الفلسطينيين، ولعل أبرزها تمثل في نهاية حقبة الأربعينيات والخمسينيات، وفترة انطلاق انتفاضة الحجارة في أواخر الثمانينيات^(٣).

• التحضير لانطلاق المقاومة

لقد مثلت «المسألة الفلسطينية» نقطة توتر مبكرة داخل التنظيم الإخواني في فلسطين

١- الهندي، خالد، عملية البناء الوطني: وجهة نظر إسلامية، مركز البحوث الفلسطينية، نابلس، ١٩٩٩، ص٤٧.
٢- كان هذا لسان حال جميع قادة الإخوان المسلمين في غزة، حين كانت توجه لهم اتهامات التخلف عن مسيرة المقاومة.
٣- الحروب، مرجع سابق، ص٢٨. كما تبدي ذلك بصورة واضحة من خلال تصدر الجناح العسكري لحركة حماس لعمليات المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

المحتلة، بين جيل الشبان الجدد، والجيل السابق لهم، الذي احتلت عناصره المواقع القيادية في مرحلة ما بعد ١٩٦٧.

كما أن تراجع القضية الفلسطينية عقب اندلاع الحرب العراقية الإيرانية مع بداية عقد الثمانينات، جعلها تتحول إلى قضية هامشية، عربياً ودولياً، حيث ازدادت سياسة الاحتلال الإسرائيلي صلفاً وغروراً، وبتشجيع ومؤازرة من الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد تم تتويج الأمر بالاجتياح الإسرائيلي للبنان، ومحاصرة بيروت عام ١٩٨٢، وشكل هذا الحصار أكبر إهانة تتعرض لها الأمة العربية بعد حرب ١٩٦٧، رغم الصمود التاريخي للمقاومة الفلسطينية فيها.

هذه التطورات جميعها جعلت الإخوان المسلمين في الأراضي الفلسطينية المحتلة يدركون أنهم يواجهون تحدياً حقيقياً يعود إلى أمرين اثنين:

١- تقهقر القضية الفلسطينية إلى أدنى سلم أولويات الدول العربية.

٢- تراجع مشروع الثورة الفلسطينية من إستراتيجية الكفاح المسلح حتى التحرير، إلى التسوية المفروضة على الشعب الفلسطيني.

وانعكس هذا الفهم على إدراك الإخوان بضرورة أن يقوموا بعمل من قبلهم، واتضح أنه في ظل هذين التراجعين، وتراكم الآثار السلبية لسياسات الاحتلال القمعية ضد الشعب الفلسطيني، و«نضوج خميرة» المقاومة لدى الشعب داخل فلسطين، وليس من خارجها، فقد كان لا بد من مشروع فلسطيني إسلامي جهادي، بدأت ملامحه في «أسرة الجهاد» عام ١٩٨١، ومجموعة الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٣^(١).

علماً بأن الإخوان المسلمين الفلسطينيين، حملوا خلفهم آنذاك تاريخاً طويلاً، محلياً وعربياً، غنياً بالرموز التي اجتمع فيها تراث البطولة والتضحية بنضالات أجيال من الإخوان، وأصبح للجماعة -رغم سنوات العمل السري الطويلة- مؤسسة من الأفكار والتواريخ والرجال، بحيث حافظت على أن تبقى نقاط التوتر الداخلية تحت مستوى الانفجار التنظيمي^(٢).

وفي كل الحالات، لم يكن الميراث النضالي للإخوان المسلمين الفلسطينيين محل نقاش، ولم يتعلّق الحوار بدورها التاريخي، أو مبررات وجودها واستمرارها، بل انصبَّ أساساً على تجديد برامجها، ورؤاها، وفاعلية دورها في اللحظة المعاصرة^(٣).

ولم ينظروا في تلك المرحلة بحماسة إلى مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في ظل الأوضاع

١- دخان، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

٢- الشريف، كامل، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤، ص ٦٧.

٣- الحمد، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

السائدة، ولم يتصدر هذا الأمر رأس سلم أولوياتها، لأنها انصبت على إصلاح الفرد، وإيجاد المجتمع القادر على إقامة الدولة الإسلامية، وبهذا التسلسل تتضح الأوضاع لفتح سجل المقاومة ضد الاحتلال، وهي التي ستبقى عديمة إن تمت دون توفر شروطها الإسلامية^(١).

وقد واجه الإخوان حملات شديدة من الانتقادات الحادة، بسبب تأخرهم عن اللحاق بركب العمل المقاوم في الأرض المحتلة، واتهموا بتخليهم عن الواجب الشرعي المتمثل في الجهاد، مما تسبب في خسارتهم يومياً، ذاتياً وموضوعياً^(٢).

وفي موقف صريح ونادر الوجود في الأدبيات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، يسجل الشيخ عبد الله عزام^(٣) أحد قادة الإخوان المسلمين في فلسطين، نقداً حاداً للحركة الإسلامية بإشارته إلى أنها «قَصُرَتْ في تأخرها في التحرك للجهاد، وسبقتها المنظمات العلمانية والقومية والشيوعية، وإذا كانت الحركة الإسلامية تعيب على الأخيرة يساريَّتها وانحرافها وتخبطها وإغواءها للشباب، فما ذلك إلا لغيابها عن الساحة»^(٤).

ومع ذلك، يمكن إعادة قرار عدم القيام بأي عمل عسكري ضد الاحتلال للأسباب التالية:
١- كان الإخوان في حالة من الضعف كماً وكيفاً، لا تمكنهم من القيام بأي عمل عسكري ناجح ومستمر في ذلك الوقت، واتفقت الآراء داخل الجماعة على أن الهدف الرئيس يجب أن يكون إعادة بناء التنظيم الإخواني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٢- ضعف الإخوان في البلاد العربية في ذلك الوقت، خاصة التنظيم الأم في مصر، مما حرّم المقاومة الإسلامية في الأرض المحتلة من العمق والمساعدات الضرورية.

٣- القناعة السائدة بأن أي عمل عسكري ضد الاحتلال، دون الإعداد النفسي والروحي والمادي سيكون مصيره الفشل.

٤- هناك سبب في غاية الأهمية، يتمثل في حالة الإحباط واليأس المنتشرة في أوساط الفلسطينيين، وبالتالي فإن المقاومة المسلحة ضد الاحتلال، دون مشاركة الشعب المهزوم والمحبط، سيكون لا طائل من ورائها^(٥).

١- الجريباوي، مرجع سابق، ص ٧٢.

٢- الشقاقي، فتحي، مركزية فلسطين والمشروع الإسلامي المعاصر، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٩، ص ٥٩.

٣- من مواليد قرية سيلة الحارثية شمال مدينة جنين عام ١٩٤١، ثم انتقل مع عائلته إلى الأردن، وهناك انضم إلى الإخوان المسلمين سنة ١٩٦٩، حيث انتقل إلى المملكة العربية السعودية، فأفغانستان، مما ساعده ذلك من الاقتراب من الجهاد الأفغاني = الذي أثار اهتمامه في تلك الفترة، وفي سنة ١٩٨٤ انتقل للإقامة في مدينة بيشاور الباكستانية، وهناك أقام مع أسامة بن لادن، واهتم بتقديم المساعدات من جميع أنحاء العالم للمجاهدين الأفغان. استشهد في تججير سيارته عام ١٩٩٣.

٤- الحروب، مرجع سابق، ص ٢١.

٥- أبو العمرين، مرجع سابق، ص ٢٠١.

وبالرغم من الرغبة الجامعة لدى أفراد الإخوان المسلمين للحاق بالعمل العسكري ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي، إلا أن الجماعة كانت تجد عزاءها في نظرتها التاريخية الطويلة للأمور، حيث لم يكن المقصود تحقيق سبق تاريخي بتنفيذ عملية هنا وهناك، بل هي خطة لا ترتبط بأهداف تكتيكية، رغم وجود الغيرة الشديدة لدى شبابهم^(١).

ووفقاً لما ورد في وثائق الإخوان المسلمين الفلسطينيين، فقد بدأت فترة الثمانينات بخروجهم إلى الشارع، وتحويل الحركة إلى قوة أساسية، وارتبط ارتكازها في الشارع بالمواجهات مع سلطات الاحتلال، من مظاهرات وإضرابات وتوزيع المنشورات، وفي نهاية هذه الفترة بدأ الاستعداد لمرحلة الجهاد.

وعلى ضوء حرب عام ١٩٨٢، فقد أدى طرد قيادات وإخلاء مقرات منظمة التحرير من لبنان، إلى تعزيز الاعتقاد لدى الإخوان المسلمين أنها اقتربت من نهايتها بسبب ما اعتبروه «الإفلاس العسكري والأيدولوجي لها».

وعلى ضوء هذه الخلفية، تعززت الميول داخل زعماء الإخوان الفلسطينيين لإعداد أنفسهم، فتطلب الأمر تغييراً هيكلياً، واستعداداً لتبني طريق المقاومة في الصراع ضد الاحتلال، وباتوا في النصف الثاني من الثمانينيات مؤهلين تماماً لإطلاق مشروعهم الجهادي الذي أصبح أكثر إلحاحاً، حيث دخلوا هذه المرحلة أكثر عدداً، وأفضل تنظيمياً، وأمضى قوة.

كما كانت هذه المرحلة غنية في حياة الإخوان المسلمين الفلسطينيين، للأسباب التالية:

أ- فقد تجمعت لديهم الكوادر والصفوف والطاقات الشبابية المندفعة.

ب- وجاءت الصياغة النظرية للأفكار العديدة التي تم تبادلها داخل الحركة فترة طويلة من الزمن تدور حول أولوياتها، والعلاقة بين أولويات التمكين والتحرير، وخلصت منذ سنوات إلى صيغة عضوية متداخلة لهما، تحاول أن تزيل أي تناقض بينهما، أو تقدم أياً منهما على الأخرى، وتقضي بضرورة وإمكانية مباشرة العمل لتحقيقهما بشكل متلازم، وعدم تأخير أي منهما على الأخرى.

ت- كما ساعدت الظروف الموضوعية الفلسطينية، والظروف الذاتية للحركة، على تحديد التاريخ الزمني لمباشرة التطبيق الفعلي لهذه الصيغة^(٢).

ث- التوسع في البناء التنظيمي، وتطوير الهياكل التنظيمية، واستكمال الإعداد الجدي، وإنشاء الأجهزة المختصة.

١- صرح بذلك بعض مسئولو الحركة في لقاءات منفردة.

٢- الناصر، حسام، حركة حماس.. الانطلاق ومعادلة الصراع، فلسطين المسلمة، لندن، ط١، ١٩٩٠، ص٤٠.

ج- ثقل الحركة السياسي الواضح، وترسخ العلاقة بين قطاع غزة والضفة الغربية.

ح- اختبارات القوة التي دخلتها الحركة، داخلياً مع القوى السياسية الأخرى، وخارجياً في بعض المواجهات مع الاحتلال، فكان لا بد من اختبار سلامة الطريق، والتثبت من متانة التنظيم، عن طريق تسخين الجو الميداني من خلال:

١- تنظيم المظاهرات الجماهيرية.

٢- إصدار البيانات والمنشورات السياسية التحريضية، حيث أصدروا الكثير من البيانات بأسماء مختلفة، حفاظاً على الجانب السري، وأحياناً تصدر البيانات بأسماء ثورية من باب إبعاد الشبهات عنهم، وتضليل البحث عن الجهة التي تصدرها.

٣- الاشتباكات مع جيش الاحتلال وجها لوجه.

وهكذا أوجدت القناعات المتجددة لدى الإخوان المسلمين، تعبيرات كثيرة، كان أبرزها المشاركة الفعالة في إشعال انتفاضتي المساجد عامي ١٩٨٢-١٩٨٣، المتمثلة في مظاهرات عارمة خرجت من المساجد، تعلن غضبها وثورتها إثر أحداث اقتحام المسجد الأقصى^(١).

وفي قطاع غزة، وزع الإخوان منشوراً يدعو المسلمين للرجوع إلى شريعة الله، والتمسك بالإسلام لتحرير الأقصى من اليهود، وحاصرت السلطات الإسرائيلية عدداً من مساجد القطاع، أهمها مسجد فلسطين في حي الرمال، والمسجد العمري بمدينة غزة، ومسجد الإصلاح في حي الشجاعية، ومسجد الرحمة بحي الأمل في خان يونس، ومسجد معسكر الشاطئ.

ورغم هذا الحصار، فقد انطلقت المظاهرات بعد الصلاة لتتهافت (الله أكبر)، وقام جنود الاحتلال بتفريق المظاهرات بالقنابل المسيلة للدموع، وضرب المتظاهرين بالعصي، وجرح عدد كبير منهم^(٢).

كما تجلّت التحركات الإخوانية في النشاطات السياسية التي انخرطوا فيها، وفي المواجهات الدائرة التي خاضوها ضد الاحتلال، لاسيما مشاركة الكتل الطلابية الإسلامية في مظاهرات عنيفة ضد قوات الاحتلال، ودور الجامعة الإسلامية فيها، خاصة النداء الذي وزعته الحركة بتاريخ ١٦/١٠/١٩٨٦، ودعا لإضراب عام ليوم واحد للاحتجاج على مظاهر الإهانة والتفكيك التي

١- في أعقاب مجزرة المسجد الأقصى عام ١٩٨٢، تدخل الجيش الإسرائيلي في أول يوم بعدها، وحاصر المسجد، ومنع دخول من هم دون سن الأربعين، ورفض السماح للمصلين من الضفة والقطاع والجليل من الدخول للصلاة، إلا أنهم باتوا في القدس قبل ذلك بليلة واحدة، تعبيراً عن استنكارهم للمجزرة، واستعداداً للفداء، ورغم الأعداد الكبيرة من جنود الاحتلال، فقد خرجت مظاهرة ضخمة تهتف (الله أكبر)، ولم يستطع الجنود السيطرة عليها، بل وقفوا مشدوهين.

٢- جبارة، مرجع سابق، ص ١٧.

تمارسها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة^(١).

• تحركات جهادية

مع تنامي التيار الإسلامي في فلسطين، وتزايد إقبال الشباب على الإسلام، أصبح الإخوان المسلمون يمتلكون رصيماً شعبياً، وزخماً إسلامياً، أعانهم على تطوير دورهم في مواجهة الاحتلال، والارتقاء بمستوى مشاركتهم الجهادية.

ف«أسرة الجهاد» التي اكتُشفت في قرى المثلث عام ١٩٨١، والأسلحة التي ضبطت مع بعض أبناء الإخوان بقيادة الشيخ ياسين عام ١٩٨٢، وأدت إلى سجنه مع عدد من إخوانه في سجون الاحتلال، أكد نهج الإخوان بتصعيد المواجهة مع الاحتلال، ومشاغلتهم على مدار الساعة، عبر أحداث ومواجهات يومية في الشارع، وفي ثكناته العسكرية ومستوطناته^(٢).

ومع أن هذه المرحلة في عقدي السبعينيات والثمانينيات، اتسمت بالعمل التربوي والجماهيري والاجتماعي، من أجل التمكين للحركة الإسلامية فكراً ورجالاً، إلا أنها لم تخل من إرهابات للعمل الجهادي، من مظاهرات وشهداء واعتقالات ومجموعات عسكرية وأسلحة، كلها تنبئ أن الحركة ستدخل قريباً جداً ساحة العمل المقاوم.

حيث واجهت القيادة الإخوانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أسئلة لا تقطع من أوساط شبابهم الجدد فيما يتعلق بالموقف من مسألة فلسطين، والحركة الوطنية الفلسطينية.

وكان من الراجح أن الشيخ ياسين خصوصاً حمل تعاطفاً قوياً مع العمل الفدائي، وربما ربطته ببعض المجموعات الفدائية نهاية الستينيات بعض العلاقات، إلا أنه التزم في حوار مع أولئك الشباب الذين التفوا حوله بالموقف الإخواني الفلسطيني الرسمي، أن الجماعة لن «تتورط» في هذه المرحلة في العمل المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي، وأن مستقبل الصراع على فلسطين مرتبط بعملية التحول الإسلامي في المنطقة العربية، وخاصة في دول الجوار^(٣).

وقد اتضح فيما بعد، أن قيادة الإخوان خطت خطوات مهمة في تأسيس أجهزة سرية وخاصة، استعداداً لتصعيد نشاطهم في مواجهة الاحتلال، وقامت بتأسيس جناحين سريين:

١- جهاز عسكري باسم (المجاهدون الفلسطينيون).

٢- جهاز أمني باسم جهاز (المجد والدعوة).

وظلت هذه الأجهزة سراً مدفوناً لا تعلم به السلطات العسكرية الإسرائيلية، إلى أن انكشف الأمر في تحقيقات السجون بعد حملة الاعتقالات التي جرت في شهر مايو ١٩٨٩، وتم التحقيق مع

١- عز الدين، أحمد، حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين، دار التوزيع الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٨٩، ص١٥.

٢- يكن، فتحي، القضية الفلسطينية من منظور إسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٧٦.

٣- صايغ، يزيد، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٨٧٦.

بعض أعضائها^(١).

وبعد استكمال التحضيرات لهذه المرحلة الحاسمة والمصيرية، بدأت الاستعدادات للعمل الجهادي من خلال: جمع السلاح، وإجراء التدريبات.

وشرع الشيخ ياسين بإعطاء أوامره بجمع السلاح، وتوزيعه بين نشطاء الإخوان، إلا أن قوات الاحتلال وضعت يدها عام ١٩٨٤ على السلاح في بيته، واعتقلت معه مجموعة من قيادات الحركة، وضبطت معهم أكثر من أربعين قطعة سلاح، وحكم عليه بالسجن لمدة ١٢ سنة، لكنه مكث أقل من سنة، وأطلق سراحه في صفقة تبادل للأسرى بين «إسرائيل» والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل^(٢).

واعتماد الإخوان المسلمون في كثير من الأحيان على إخفاء السلاح الذي يجمعونه في منازلهم، بسبب عدم وجود أماكن أخرى يخفونه فيها، في أجواء من السرية والتكتم الشديدين، حيث لم يكن يشعر فيها أقرب المقربين، بمن فيهم أفراد العائلة^(٣).

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن هياكل العمل العسكري لدى الإخوان المسلمين في الضفة وغزة، أنشئت قبل انطلاق انتفاضة الحجارة أواخر العام ١٩٨٧، وقبل تأسيس حركة حماس بسنوات، أما التأخر في الإعلان عن هذا التوجه، فقد كانت له أسبابه، ومن أهمها:

١- السبب الأمني: فالإخوان المسلمون عموماً، والفلسطينيون على وجه الخصوص، سواء في الأرض المحتلة أو خارجها يتسمون بالتكتم الشديد في أمورهم، وعلى الأخص في النواحي العسكرية والأمنية والسياسية، التي تظل إدارتها في دائرة ضيقة لا تصل إلى أفراد التنظيم، ولا إلى كثير من القيادات.

٢- ما كان يشاع عن الإخوان المسلمين من إجماعهم عن مواجهة الاحتلال قبل الانتفاضة، وما بثته المنظمات العلمانية والوطنية، عن تخاذلهم تجاهه، ويقدر ما كان يثير هذه الدعاية الغيظ والحنق لدى شباب الحركة في الجامعات، فإنه كان يبعث الرضا والارتياح في صفوف القيادة المطلعة على بواطن الأمور^(٤).

• الجهاز العسكري.. المجاهدون الفلسطينيون

أسس الشيخ أحمد ياسين هذا الجهاز عام ١٩٨٢ لتحقيق هدفين رئيسيين هما:

- ١- أبو العمرين، مرجع سابق، ص ٢٢١.
- ٢- شيف، زئيف، ويعاري، إيهود، انتفاضة، ترجمة، دار الجليل للنشر والدراسات، عمان، ط١، ١٩٩١، ص ١٩٤، وقد قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة، بتنفيذ صفقة التبادل مع الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٨٥، حيث أطلق سراح ١١٥٠ أسيراً فلسطينياً من ذوي الأحكام العالية والمؤبدة مقابل ثلاث جنود إسرائيليين أسرتهم الجبهة في وقت لاحق.
- ٣- تبين ذلك من خلال التحقيقات التي أجرتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي مع معتقلي الحركة فيما بعد.
- ٤- أبو العمرين، مرجع سابق، ص ٣٢.

١- جمع السلاح في أيدي عناصر الإخوان، لاستخدامه عند الحاجة.

٢- التدريب عليه، والقيام بأعمال عسكرية ضد جنود الاحتلال.

واعتمد العمل العسكري منذ بدايته على السرية التامة، حيث اقتصر إبلاغ الشيخ لثلاثة فقط من المقربين إليه من أعضاء الإخوان بقراره هذا، وهم: عبد الرحمن تمران من جباليا، د. إبراهيم المقادمة من البريج، د. أحمد الملاح من الشجاعة.

وقد امتازت محاولة الشيخ هذه بأهمية خاصة، إذ كانت بإشراف مباشر من القيادات الأولى للحركة، بمعنى أنها لم تكن مجرد مغامرة لمجموعة ثانوية على هامش التنظيم، وهو ما يشير إلى الجدية في تبني التوجه الجديد، لاسيما أن بعض الذين اعتقلوا، وحوكموا بسببها، كالشيخ أحمد ياسين، وصلاح شحادة، كانا من أهم قادة حركة حماس في وقت لاحق^(١).

وفي مارس ١٩٨٣ أرسل الشيخ ياسين، عبد الرحمن تمران إلى الأردن للقاء يوسف العزام عضو البرلمان الأردني عن الإخوان المسلمين، ليطلع على نشاط الحركة في غزة، وإخباره ببدء الاستعداد للجهاد، والطلب منه المساعدة في الحصول على المعونات، وتم الاتفاق بين الرجلين على دعمه بالمال لشراء السلاح، الذي سلم بدوره للشيخ ياسين.

وبالفعل، فقد اجتمع ياسين برجاله الثلاثة في جلسة سرية بمنزله نهاية أبريل ١٩٨٣، وتقرر في الجلسة إقامة «منظمة المجاهدين»، وبدأ العمل للحصول على السلاح، وتجنيد أعضاء المنظمة وتدريبهم، وفي نهاية الجلسة تولى تمران مهمة الحصول على السلاح^(٢).

وتمكن الجهاز من تجنيد العديد من العناصر، وشراء كميات من السلاح من داخل فلسطين المحتلة، حيث ضخ الإخوان مبالغ مالية مرتفعة لتمويل صفقات شراء السلاح.

وبتاريخ ١٥/يونيو/١٩٨٤، وفي ساعة متأخرة من الليل، وصل رجال الأمن العام الإسرائيلي وقوات من الجيش والشرطة إلى منزله، وبعد تفتيشه عشر على مجموعة كبيرة من الأسلحة من بينها: ٢٢ مسدساً من أنواع مختلفة، ١١ بندقية ورشاش «كارل غوستاف»، ٥ رشاشات من نوع «عوزي»، كمية كبيرة من الذخيرة، قنبلة غير صالحة للاستخدام.

وفي أعقاب اعتقال ياسين، والتحقيق معه، تم اعتقال أعضاء من مجموعة المجاهدين، وبعد شهرين قدمت عريضة اتهام ضدهم، تضم التهم التالية:

أ- العضوية في منظمات دينية هدفها الإضرار بدولة إسرائيل باستخدام القوة.

ب- إقامة دولة إسلامية بدلاً من دولة إسرائيل.

١- الحروب، مرجع سابق، ص ٢٥.

٢- عدوان، عاطف، إبراهيم المقادمة.. القائد والداعية المجاهد، مركز أبحاث المستقبل، غزة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٤٠.

ت- التورط في شراء سلاح، وحيازته بدون ترخيص.

وقال القضاة الإسرائيليون في حيثيات الحكم: «إن هذا التنظيم الذي ناقشه هنا لا يشبه التنظيمات المعروفة لدينا في المناطق، فأمامنا مجموعة من المتشددین في عقائدهم الدينية، على الرغم من اختلاف كل منهم عن الآخر في ثقافته وتجاربه في الحياة، تجمعوا على أساس ديني، وهدف سياسي للإضرار بدولة إسرائيل بقوة السلاح، وهي جماعة انتقلت من العقيدة الدينية إلى العمل، واستعدت بكميات من الأسلحة، ومن الصعب أن نتصور ماذا كان سيحدث لو لم يتم اكتشاف هذا التنظيم، أو تم استخدام هذا السلاح، فهم يهدفون إلى القضاء على دولة إسرائيل، وإقامة دولة إسلامية بدلاً منها، ولم يعد ذلك في إطار الأحلام، بل دخل في إطار الواقع والتنفيذ العملي»^(١).

وحكم بالسجن لمدة ١٢ عاماً على الشيخ ياسين، و١٢ عاماً على عبد الرحمن تمران، و٩ سنوات على محمد أبو سمرة، و١٠ سنوات على كل من: محمد شهاب، محمد رمضان، نايف جلاوي، وما لبث أن أطلق سراح ياسين منتصف عام ١٩٨٥، في إطار عملية تبادل الأسرى بعد أن قضى ١١ شهراً فقط من مدة عقوبته.

وقد توقف عمل الجهاز العسكري إلى أن خرج ياسين، ليعيد بناءه على أسس جديدة، ولعل اعتقاله، أبقى التنظيم محافظاً على هيكله وأمنه ووجوده، مما يدل على درجة السرية الكبيرة التي عمل بها.

وشكلت مرحلة ما بعد إطلاق سراحه، تجسيدا لتوجه جديد لدى الإخوان المسلمين يقضي بتفعيل الصدام ضد المحتل الإسرائيلي، في قرار رئيسي اتخذته قيادة الإخوان في فلسطين صيف عام ١٩٨٥.

ويقوم القرار على دعوة كافة عناصرها في كافة أماكن تواجدهم في فلسطين المحتلة، إلى المشاركة في المظاهرات والصدامات مع قوات الاحتلال، بل والدعوة لها، وهو القرار الذي أعطى الضوء الأخضر للمشاركة الإسلامية في بعض التظاهرات حينئذ^(٢).

وما لبث أن بدأ صلاح شحادة مع بداية عام ١٩٨٦ بتشكيل المجموعات العسكرية، وبإشراف مباشر من الشيخ ياسين دون علم باقي القيادات الإخوانية، واعتمد الجهاز منذ بداية عمله نظام النقاط الميئة في الاتصالات، واستخدام الأرقام لأعضائه بدلا من الأسماء الحقيقية أو الأسماء المستعارة، وكان منفصلا تماما عن الجسم التنظيمي وبقية الأجهزة للحركة.

١- شكيد، مرجع سابق، ص ٧١.

٢- جهاد، محمد جهاد، الانتفاضة المباركة ومستقبلها، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٤١.

واهتمت قيادة الجهاز باختيار العناصر المناسبة له، ممن توفرت لديهم الصفات والمميزات الهامة، أهمها: الخبرة والصلابة والسرية التامة، والتمويه حتى على الإخوان.

وقد وصلت السرية في عمل عناصر الجهاز، درجة أن الإخوان في بعض المناطق تحفظوا في علاقاتهم مع بعض أعضاء هذه المجموعات العسكرية ظناً منهم أنهم تركوا الحركة، ولعل أبرز درجات التمويه التي استخدمت، هو ما فعله محمد نصار الذي تخصص في إحضار السيارات الإسرائيلية داخل فلسطين المحتلة، واعتقل عدة مرات على قضايا مدنية، مما أبعد عنه الشكوك من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية، خاصة وأنه واحد من المحررين في تبادل الأسرى عام (١٩٨٥).^(١) وقد قام الجهاز بعدة عمليات طعن وإطلاق نار وزرع العبوات الناسفة، وتصفية العملاء، من خلال بعض المجموعات العسكرية، واستطاع القيام بعدة أعمال أهمها:

١- تكوين خلايا عسكرية.

٢- جمع المعلومات اللازمة عن تحركات الجيش الإسرائيلي.

٣- تدريب العناصر تدريباً عسكرياً عالياً^(٢).

• الجهاز الأمني .. الجهاد والدعوة - المجد

أدى الكشف الإسرائيلي عن الجهاز العسكري للإخوان المسلمين الفلسطينيين، إلى اتخاذ قرار من قبل الشيخ ياسين سنة ١٩٨٦ بإنشاء الجهاز الأمني، الذي أنشئ لتحقيق أهداف رئيسة تمثلت فيما يعرف بالجهاد الداخلي، لتحسين الجبهة الداخلية، ولذلك فقد كان هذا الجهاز بمثابة جهاز استخبارات وردع، وتركزت أهدافه بما يلي:

أ- حماية صفوف الحركة من الاختراق، سواء من قبل العدو أو التنظيمات الأخرى.

ب- رصد تحركات العدو العسكرية والمدنية والوجود الاستيطاني.

ت- جمع معلومات عن المشبوهين، تجار المخدرات، اللصوص، ومروجي الفساد.

ث- نشر الوعي الأمني العام داخل المجتمع، بإصدار النشرات التي توضح أساليب العدو.

ج- التحقيق مع العملاء وتأديبهم أو تصفيتهم.

وقد تبين فيما بعد أن الجهاز قام بتنفيذ بعض الأعمال قبل دخول الانتفاضة، مثل قتل عملاء خطرين، ومهاجمة أماكن مشبوهة^(٣).

١- أبو عامر، مرجع سابق، ص ٩١.

٢- جبارة، مرجع سابق، ص ١١٤.

3- Amnon Cohen, Political Parties in the West Bank Under Jordanian Rule 1948/1967-, Cornell University, Press, 1980, p228.

وقد سمي هذا التنظيم السري اختصاراً باسم (مجد)، وهي الحروف الأولى من (منظمة الجهاد والدعوة)، حيث انتشر بواسطة شبكة من الخلايا، وبدأ العمل ضد من أشتبه بقيامهم بأعمال غير أخلاقية، من خلال الخطف والتحقيق مع الذين أُشتبِه بتعاونهم مع إسرائيل^(١).

• الهيكل التنظيمي للإخوان الفلسطينيين

تكونت هيكلية الإخوان المسلمون في الأراضي المحتلة من الهيئة الإدارية المشكلة من بعض القيادات البارزة، وإلى جانبها مجلس الشورى العام الذي اجتمع لأول مرة عام ١٩٦٨. وفي هذه المرحلة كان مجلس الشورى الذي بلغ عدد أعضائه عشرين أخصاً في أوائل السبعينيات، يعين تعييناً، ولم تكن مرحلة الانتخابات بعد قد دخلت إلى جسم التنظيم. وحسب بعض الإفادات، فإن مجلس الشورى لم تعقد له انتخابات دورية، بحكم الظروف الأمنية في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أنهم لم يشهدوا انتخابات داخلية بين صفوفهم خلال السبعينيات والثمانينيات، وغالباً حدثت الانتخابات لأول مرة في التسعينيات^(٢). وفي مراحل لاحقة، كان نقباء كل منطقة ينتخبون مجلس الشورى العام، الذي ينتخب بدوره الهيئة الإدارية العامة للحركة، حيث توزع الهيكل التنظيمي للإخوان المسلمين الفلسطينيين في ضوء التقسيمات التالية:

١- قسّم الإخوان الضفة والقطاع إلى عدة محافظات، قسّمت بدورها إلى عدة مناطق، وكل منطقة منها تنتخب مجلس شورى خاص بها.

٢- مجلس الشورى العام للضفة والقطاع يكون وفقاً لعدد المنتظمين في صفوف الإخوان المسلمين، بمعدل عضو واحد عن كل خمسين أخصاً، ويقوم كل مجلس شورى محلي بانتخاب ممثليه في مجلس الشورى العام، الذي يقوم بانتخاب الهيئة الإدارية الذي سمي المجلس التنفيذي، ويسمى مكتب فلسطين، المكون من سبعة أفراد.

٣- يقوم أعضاء الهيئة الإدارية لكل منطقة بتوزيع الصلاحيات ومهام العمل بينهم، ما بين مسئول تربيوي، مالي، طلابي... إلخ^(٣).

علماً بأن التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين وصل عشية هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧ إلى وضع لا يحسد عليه، بعد أن تناقصت عضويته إلى عدد قليل من العناصر، معظمهم من المدرسين الذين لم يقوموا بأي نشاط يذكر^(٤).

١- شكيد، مرجع سابق، ص ٧٢.

٢- صرح بذلك عدد من قيادات الإخوان في لقاءات منفردة.

٣- أبو العمرين، مرجع سابق، ص ٢٢١.

٤- يكن، مرجع سابق، ص ٢١.

وكدليل على القلة العددية في تلك المرحلة، فقد كان النقيب في الإخوان مثلاً، بدلاً من إشرافه على أسرة أو أسرتين من الأسر الإخوانية، فإنه يكلف برعاية ثلاث وأربع أسر في بعض الأحيان، نظراً لقلة الإقبال على الدعوة في بداية السبعينيات.

وكان عدد الإخوان في جلسات الأسر يتراوح بين سبعة إلى عشرة في الأسرة الواحدة، مما يدل على أن الأمور كانت سرية، ولم يسمع أحد في الجماعة عن الشكل التنظيمي في بداية هذه المرحلة.

وبلغة الأرقام، وحسب التقديرات الإخوانية، فقد وصل عددهم في قطاع غزة عام ١٩٦٩ إلى خمسين أخاً فقط، فيما ارتفع العدد بين العامين ١٩٨٢-١٩٨٧ إلى ٩٥٠ أخاً، في حين لم يتم التوصل إلى رقم دقيق لنظرائهم في الضفة الغربية^(١).

وقد ركز الإخوان المسلمون الفلسطينيون في عملية استقطاب العناصر على فئتي الطلاب والمعلمين بشكل أساسي، فيما كان هناك قصور لديهم في استقطاب فئة العمال، بسبب انشغالهم في بيوتهم، وعدم وجود وقت لديهم، والتعب الذي يصابون به من كثرة العمل.

وجاءت المناهج التربوية المقررة على الإخوان المسلمين في قطاع غزة متشابهة، وقرية من مستويات التفكير بشكل عام، مما شكل إمكانية قائمة لدمج الفئات المتشابهة والمتجانسة مع بعضها البعض كالطلاب والعمال، وهكذا.

• الجانب المالي

اعتبرت المسألة المالية أحد الإشكالات المهمة للإخوان المسلمين الفلسطينيين في تلك المرحلة، فلم تكن لديهم تلك الإمكانيات المالية لتغطية أنشطتهم، وبالتالي فقد اعتمدوا على تبرعات المتطوعين، ولذلك فإنهم ينحون باللائمة على الجانب المالي الذي لو توفر بشكل متيسر لخرجت الأنشطة والفعاليات أكثر تحسناً وإنتاجاً.

وتجمع العديد من المصادر على أن المرحلة الأولى للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة بين عامي ١٩٦٧-١٩٨٧، امتازت بمحدودية الميزانيات المالية، ويقدر أحدهم ميزانية منطقة مثل مخيم الشاطئ بمبلغ ٥٠٠ دينار أردني، ما يعادل ٧٥٠ دولار أمريكي، لكنه لم يوضح هل هي ميزانية شهرية أم سنوية^(٢).

ويمكن تحديد أهم المصادر التمويلية التي اعتمدت عليها الجماعة، بـ:

١- الأموال التي تجمعها الحركة من أنصارها، أو من المتعاطفين معها، أو من عامة الشعب

١- صرح بذلك عدد من قيادات الإخوان في لقاءات منفردة.

٢- صرح بذلك عدد من قيادات الإخوان في لقاءات منفردة.

داخل الأرض المحتلة، وتأتي على هيئة زكاة، هبات، أو تبرعات لمساعدة الفقراء والمحتاجين، يقدمها المحسنون إلى الهيئات والمؤسسات الإسلامية التي تشرف عليها جماعة الإخوان المسلمين.

وتذهب معظم الأموال المستمدة من هذا المصدر إلى مساعدة الأسر الفقيرة، وبناء المساجد ورياض الأطفال، وأية أعمال خيرية أخرى، ولذلك فإن كثيراً من سكان القطاع كانوا يقبلون، بدوافع أخلاقية أو دينية، وأحياناً بدوافع سياسية، على التبرع بالأموال للحركة، أو للجان الزكاة التابعة لها، أو المتعاطفة معها.

٢- مساهمة بعض المدرسين والموظفين بمبالغ مالية في تمويل هذه الأنشطة، من خلال اشتراكاتهم الشهرية^(١).

٣- الأموال التي تتلقاها الحركة من مصادر غير رسمية خارج فلسطين، حيث يقوم أنصارها وأصدقائها في الخارج بجباية هذه الأموال من المسلمين.

٤- الدعم الصادر عن الحركة الإسلامية العالمية في مختلف الأقطار، لاسيما الأردن ومصر والسعودية ودول الخليج، حيث قدمت الدعم المالي للإخوان في فلسطين بدافع الأخوة الإسلامية لمناصرتها، فضلاً عن تعزيز مكانة الاتجاه الإسلامي في مواجهة القوى العلمانية في الأرض المحتلة^(٢).

وقد توزعت أوجه الإنفاق في حركة الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة بين العامي ١٩٦٧-١٩٨٧ على الأوجه التالية: الناحية الإعلامية، الفقراء والمحتاجين، الطلبة والدارسين، أنشطة المساجد، أسر المعتقلين، والأنشطة الرياضية.

• الموقف الإسرائيلي من النشاط الإسلامي

تعرضت الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتحديدًا قطاع غزة والضفة الغربية لمعاملة قاسية منذ احتلال الجيش الإسرائيلي لها عقب حرب العام ١٩٦٧، حيث عانى المسلمون الأثريين تماماً كمنظرائهم الإخوان المصريين، ما يعني أن النشاط الذي ورثتهم سلطات الاحتلال كانوا متمرسين على العمل السري.

في المقابل، «خدع» الإسرائيليون أنفسهم وفقاً لتعبير الدبلوماسي الأمريكي السابق «دان كرتسر»، الذين صدقوا أن الإسلاميين في الأراضي المحتلة ينحصر اهتمامهم الوحيد في توعية الفلسطينيين بأموالهم الدينية، لاسيما وأنها كانت عبارة عن «جزيرة في بحر إسلامي»، وعرضة

١- من المعلوم أن الإخوان يقدمون مساهمة شهرية لصالح صندوق الحركة بواقع ٥، ٢٪ من الدخل الشهري للقادر منهم.

٢- أبو عزة، عبد الله، مع الحركة الإسلامية في الدول العربية، دار القلم، الكويت، ط١، ١٩٨٦، ص ١٥٣.

لمخاطر نهضة إسلامية^(١).

وقد استند هذا الموقف الإسرائيلي إلى تفكير تاريخي لوزير الدفاع الأسبق «موشيه دايان» الذي قال: «لا بأس بالإسلاميين ما داموا لا يطلقون النار، ويفجرون القنابل، وما دام لم يكن هناك قلاق، فإنه ينبغي علينا معاملة الإسلام كما نعامل المسيحية»^(٢).

لكن الإسرائيليين أخطأوا تماماً في قراءة الموقف في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد اعتقدوا أن الإخوان الفلسطينيين سيقوضون ما كان دعماً مطلقاً للعقيدة العلمانية والقومية لمنظمة التحرير، ولهذا سمحوا لهم بالازدهار، للدرجة التي جعلت «إسحاق سيفيف» الحاكم العسكري الإسرائيلي يصف إستراتيجية إسرائيل المدروسة لتعزيز موقع الإسلاميين على حساب منظمة التحرير والشيعيين، بالقول: «منحتني الحكومة الإسرائيلية ميزانية، وقامت السلطة العسكرية الإسرائيلية بمنحها للمساجد»^(٣).

لكن ما بدا كسياسة تساهل ديني من قبل السلطات الإسرائيلية تجاه الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة بين عامي ١٩٦٧-١٩٨٧، إلا أنه لم يكن لديها قوة بشرية كافية على الأرض، حتى إذا كانت لديها رغبة في تحدي الإسلاميين، ولم يكن لديها ما يكفي من خبراء اللغة لترجمة الخطب التي يتم إلقاؤها في المساجد الخاضعة لسيطرة الإسلاميين، أو حتى القيام بدوريات كافية في مختلف أنحاء الأراضي المحتلة^(٤).

وفي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، استنتجت المحللة «مارثا كيسلر» بأن تل أبيب تلعب بالنار، معربة عن تقديرها بأن المسؤولين الإسرائيليين لم يكونوا يدركون مدى خطورة ما سيؤول إليه الوضع في الضفة والقطاع، للدرجة التي تم فيها إحباط محاولة لمسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» لقيام «السي آي إيه» بتحليل ظاهرة الإسلاميين الفلسطينيين نتيجة تدخل أصدقاء «إسرائيل» في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريغان»^(٥).

وقد أجاد «كرتزر» الدبلوماسي الأمريكي العريق طرح التساؤل الخطير أمام رئيس

١- ماغوو، مرجع سابق، ص ٦٠.

٢- شالوم هراري، نشأة حماس في غزة، هآرتس، ١٢/٨/١٩٨٩.

3- David Shipler, Arab and Jew: Wounded Spirits in a Promised Land, Penguin, 2002, p156.

4- Robert Dreyfuss, How the United States Helped Unleash Fundamentalist Islam, Metropolitan Books, 2005, p208.

٥- الرئيس الـ٤٠ للولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٨١-١٩٨٩، عمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي بداية الخمسينيات، وعند وفاته كان مصاباً بالزهايمر، ويعتبر أحد أكبر رؤساء أمريكا عمراً، في عهده برزت أنيابها، فتنجحت باستعادة بنما ونيكاراغوا وتشيلي، وفي أفريقيا استعادت أثيوبيا وأنغولا. أوعز إلى "إسرائيل" عام ١٩٨٢ باجتياح لبنان للقضاء على القوة العسكرية الفلسطينية، ووضع في سلم أولوياته محاربة الاتحاد السوفيتي ومعاداة الشيوعية وتفكيك حلف وارسو، وحقق ما وعد به الأميركيين.

الوزراء الإسرائيلي السابق «شمعون بيريز»^(١) منتصف عام ١٩٨٥، حول التساهل الإسرائيلي مع الإسلاميين الفلسطينيين بقوله: «هل تعتقدون حقاً أنكم تستطيعون تطويع هؤلاء الرجال؟»^(٢)

كما شهد العام ١٩٨٧ إعداد وثيقة إسرائيلية سرية وضعت على مكاتب أكثر من مائتي شخصية حكومية إسرائيلية وفي جهاز الأمن العام، والجهاز الإداري، وأبرز صانعي القرار في تل أبيب، ونصت الوثيقة على أن إسلاميي الأراضي المحتلة، يريدون حكومة بأسلوب ديني في كل فلسطين التاريخية.

لكن رسالة الوثيقة كانت: «أن الإسلاميين لا يشكلون تهديداً أمنياً مباشراً على إسرائيل، حيث كتب الجنرال «شايفي إيرز» الحاكم العسكري أواخر الثمانينات في مقدمة التقرير: «إن إسلاميي الضفة وغزة يريدون التركيز على عملية الفوز بالقلوب والعقول.. ولاحقاً فقط سيبدأون كفاحاً نشطاً ضد إسرائيل»^(٣)

• الخاتمة

بعد أكثر من أربعين عاماً من بدايات إعادة التأسيس لتنظيم الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة، بات من غير المشكوك فيه أن هذا التنظيم تمكن من فرض وجوده على أرض الواقع، ولم يعد من جدوى لمحاولات التهميش والتغيب.

وليس هناك من شك في أن الحركة الإسلامية في فلسطين، وأعني الإخوان المسلمين، قد أصابوا قدراً من النجاح، وقدراً آخر من الإخفاق، وهذا أمر طبيعي في نشأة الحركات السياسية، ومع ذلك فإنه من السابق لأوانه التقرير بشكل نهائي، وخاصة في ظل الظروف الراهنة التي تمر بها القضية الفلسطينية، والإخوان أنفسهم، في مدى نجاحهم أو إخفاقهم.

لقد أنجز الإخوان الفلسطينيون العديد من المنجزات الفكرية والحضارية والجهادية للمجتمع الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وبالرغم من ذلك، فليس من الموضوعية في خاتمة هذه الدراسة الاستطراد باتجاه التزكية والإشادة فحسب، وإنما يتحتم البدء باتجاه المراجعة الذي يحمل معاني هامة وضرورية لمسيرة الحركة.

فقد وقع الإخوان المسلمون الفلسطينيون خلال فترة الدراسة في مزالق فكرية، وخصوصاً

١- الرئيس الإسرائيلي الحالي، وهو سياسي ووزير في الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، يعتبر الممثل الحقيقي للزعامة الجديدة في إسرائيل، اعتبر المنظر الرئيسي للتحالف مع فرنسا، من خلال دوره النافذ في البدء بالمشروع النووي في ديمونا، رئيس وزراء إسرائيل مرتين، وتقلد وزير الدفاع، والخارجية. في أوائل ومنتصف التسعينات، لعب دوراً رئيسياً في تحريك عملية التسوية مع الفلسطينيين، وحاز على جائزة نوبل للسلام بالشراكة مع ياسر عرفات وإسحاق رابين عام ١٩٩٤.

٢- يديعوت أحرونوت، ١١/٧/١٩٨٥.

3- John Wallach, The New Palestinian: The Emerging Generation of Leaders, Prima Publishing, 1992, 213.

في اختلاق «التقابلية الموهومة» بين الوطني والإسلامي، وما أنتجته من فرز للألوان السياسية، بحيث صارت صفة الإسلاميين تنفي صفة الوطني، والأخيرة تنفي الأولى، مع أن مفهوم الوطنية بمعناه الفلسطيني اتخذ لوناً مختلفاً عن الوطنيات العربية، لأنها حملت مدلولات نضالية وكفاحية ضد المحتل الأجنبي خلال مرحلة الاستعمارين البريطاني والصهيوني.

ونظراً للظروف غير الطبيعية التي نشأ فيها الإخوان المسلمون في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد كانت لذلك آثار سلبية، أهمها على المستوى التنظيمي الداخلي، لاسيما في غياب روح النقد الذاتي البناء والفاعل.

ففي الوقت الذي برع فيه الإخوان بنقد الآخر، وليس نقد أنفسهم لأنه كشف لهم ولأخطائهم وخطاياهم، فإنهم تصعبوا جداً القيام بنقد ذاتي، لأنها مواجهة للذات، علماً بأن هذا النقد يفرض -فيما لو حل كنمط تربوي في الحركة- نقاشاً عقلانياً صارماً، بعيداً عن المفهوم التقليدي للنقد على أنه مجرد تخريب وطعن بقدرسية الأشخاص.

ومع أن الإخوان المسلمين الفلسطينيين التزموا مبادئ الإسلام، والعمل على هداها، إلا أن ذلك لم يعطهم شهادة الصواب باسم الإسلام في كل عمل عملوه، فلا شك أن كل عمل أو قول بشري قابل للصواب، كما أنه قابل للخطأ والانحراف: خطأ في فهم المطالب الدينية أو تفسيرها، وخطأ في تنزيل هذا الفهم على أرض الواقع، وخطأ في التنفيذ على أرض الميدان هنا وهناك.

ماجد الدرويش

أستاذ مشارك دكتور

السنة وعلوم الحديث - جامعة الجنان

الأقليات في لبنان والخوف على المصير

(بحث في النشأة والدوافع)

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وبعد: منذ فترة ليست بالبعيدة ونحن نسمع عن الأقليات في العالم وعن ضرورة حفظ حقوقها، مما يوحي بوجود ظلم لاحق بالأقليات في المجتمعات المتنوعة.

ثم التركيز الأكبر دائماً على منطقتنا العربية التي تعتبر عقر دار المؤمنين، لأن فيها نسيجا منوعا من عقائد مختلفة، وقوميات مختلفة، وما كان لهذا التنوع أن يبقى إلى اليوم لولا عقيدة الإسلام وأحكامه في التعامل مع المخالفين، من باب تأويل قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، فلم يبين المسلمون محاكم للتفتيش، ولم يجبروا أحدا على تغيير معتقده، بينما وجدنا بعضاً من غير المسلمين؛ إذا دخلوا بلاد المسلمين عنوة منتصرين؛ يلجئون إلى (الإبادة) التي تطهر البلاد من غيرهم، أو في أحسن الأحوال يخبرون الناس بين تبديل المعتقد أو الطرد، إن لم نقل القتل،

١- الحجرات: آية ١٣

وما الأندلس، أو كوسوفا، أو البوسنة والهرسك عنا ببعيد.

فالإسلام ابتداءً ليست له مشكلة مع المخالفين، ولذلك حفظ وجودهم وضمن لهم استقلايتهم وخصوصيتهم. أما اليوم، وبعد اضمحلال السلطة السياسية للإسلام، فقد بات هذا التنوع سبباً على المنطقة، وباعت قلاقل وحروب، ومفتاحاً لتقسيم البلاد وإضعافها سياسياً وجغرافياً.

ومع معرفتي بأن دراسة هذا الموضوع دراسة علمية تحتاج إلى نظر في قواعد الفقه السياسي، ونشأة المجتمع المسلم، والضوابط والأصول التي أصلتها الشريعة في التعامل مع المخالفين، وكيف نظرت إليهم: هل اعتبرتهم أقليات بمفهوم اليوم؟ أم رعايا؟ أم جاليات؟ أم مواطنين؟

وهل مفهوم المواطنة في الفقه السياسي الشرعي يتوافق مع مفهوم المواطنة في الفكر السياسي للمدارس السياسية المختلفة اليوم؟

وهل منطلقات الفكر السياسي في تعامل الإسلام مع المخالفين تشبهها منطلقات الفكر السياسي للمدارس السياسية المختلفة اليوم؟ بل هل مفهوم الدولة في الإسلام يشبه مفهوم الدولة اليوم؟

هذه كلها أسئلة تحتاج إلى إجابات صريحة وواضحة لأنه على أساسها تكون العلاقات بين سائر شرائح المجتمع.

طبعاً أنا لن أدخل في متاهة الجواب عن شيء من هذه الأسئلة، بل أظن أن الفكر السياسي الإسلامي اليوم لم يبلغ مرحلة إعطاء أجوبة صريحة واضحة لا لبس فيها لهذه الأسئلة، إلا أنني سأعرض للواقع الذي نعيشه عرضاً مبسطاً، محاولاً البحث عن الدوافع التي تحرك مفهوم الأقليات اليوم، والإجابة عن بعض الإشكاليات التي تُطرح بدهاء ومكر. لذلك سأبدأ بالتعريف بمصطلح (الأقليات) وتاريخ نشأته، ثم أعرج على الدوافع لبروزه، محاولاً بيان وجهة نظري في هذا الموضوع.

مصطلح الأقليات... النشأة والتاريخ

لم يعرف المسلمون في تاريخهم، ولا في كتبهم ولا ثقافتهم، هذا المصطلح، وإنما ظهر مع بوادر ضعف الدولة الإسلامية المتمثلة بالإمبراطورية العثمانية، وفقد نفوذها، وظهور ما بات يعرف يومها بالمسألة الشرقية، حيث كانت أوروبا خاصة، والغرب عامة، يُعدون العدة لورثة الرجل المريض، فتوسلوا لذلك الوصاية على المجموعات الأتنية التي تشكل مع المسلمين نسيج المجتمع.

يومها بدأ هذا المصطلح بالظهور، مع إبراز ضرورة حماية هذه المجموعات التي أطلقوا

عليها لقب (الأقليات)، وإنما هي في الحقيقة نوع من الوصاية المباشرة بهدف التدخل في الشأن التركي والضغط على السلطنة لتقديم التنازلات وتقليص نفوذها.

وقد برز هذا التوجه جلياً في معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ م، والتي أُلزِمَتْ فيها الدول الأوروبية الجديدة المنفصلة عن السلطنة العثمانية، وهي: بلغاريا، وصربيا، والجبل الأسود، ورومانيا، بالإضافة إلى السلطنة العثمانية، بقبول كل الالتزامات التي نصت عليها هذه المعاهدة وفي مقدمتها: حماية الحريات الدينية، والمساواة لمصلحة الأشخاص المنتمين إلى الأقليات^(١). مما يؤكد القول بأن مصطلح الأقليات إنما هو مصطلح سياسي جديد بدأ ظهوره واستعماله بشكل كبير في بداية العهد الاستعماري الحديث.

«إلا أن حماية حقوق الأقليات بقيت مجرد حالات معزولة لا تعبر عن سياسة قانونية عامة حتى إنشاء عصبة الأمم؛ التي وضعت نظاماً دولياً لحماية الأقليات؛ طبق في مواجهة عدد محدود من الدول.

وبعد فشل نظام العصبة المتعلقة بحماية الأقليات وانتهاء العمل به؛ بزوال عصبة الأمم وحلول الأمم المتحدة محلها؛ بات مستقراً في أذهان القائمين على إنشاء الأمم المتحدة عدم الجدوى من إنشاء نظام خاص لحماية الأقليات، وأن فكرة عالمية حقوق الإنسان والمساواة كافية لوضع حد لمشكلة الأقليات. إلا أن الأمم المتحدة سرعان ما شرّعت بدراسة الموضوع، فوضعت صكوكاً دولية عديدة تهدف إلى حماية الأقليات».

وبذلك صارت (حقوق الأقليات) جزءاً من شرعة حقوق الإنسان، وصارت وسيلة ضغط فعالة تبرر التدخل في شؤون الدول بحق وبيباطل.

ومما يؤسف له أن بعض هذه المجموعات العرقية، أو الأثنية، أو القومية، قبلت أن تكون وسيلة

١ - معاهدة برلين: لما قبلت روسيا عرض معاهدة سان استمانوس على مؤتمر دولي يعقد في برلين كتب البرنس بسمارك تلغرافاً إلى الدول كافة يدعوهم فيه لإرسال مندوبيهم للاجتماع في يوم (١٢) حزيران- يونيه سنة (١٨٧٨) م، فاجتمع المندوبون، وتناقشوا أياماً، وكان ينوب عن الدولة محمد علي باشا وقره تيودري باشا وسعد الله بك. وأهم ما جاء في المعاهدة: تقسيم بلغاريا إلى القسمين: القسم الشمالي يعطى امتيازاً عادياً، والقسم الجنوبي يمنح نوعاً من الامتيازات. وأن تستقل رومانيا استقلالاً سياسياً ويضاف إلى بلادها مقاطعة دوبريجه، في مقابل استيلاء الروس على بسارابيا. وأن يضم إلى الصرب إقليم نيش، وأن يعطى الجبل الأسود ميناء انتيفاري وثلث الأراضي التي أعطيت له بموجب معاهدة سان استمانوس، وأن تستولي روسيا على بسارابيا التي كانت انتزعت منها سنة (١٨٥١) م، وأن يضم إلى أملاكها بأسيا قارص وأردهان وباطوم. وقرر المؤتمر أيضاً أن تستولي إيران على إقليم قطور، والنمسا على فرضة أسبيزا، وأن تحتل جنودها البوسنة والهرسك إلى أجل غير مسمى. وتعد الباب العالي أن يقبل، بلا تمييز بين دين ودين، شهادة رعاياه = أمام المحاكم، وأن ينفذ النظام الذي سن لجزيرة كريت سنة (١٨٦٨) م، وأن تدخل نظامات مشابهة لها في جميع القسم التركي الأوروبي بعد تحويلها إلى ما يوافق حاجة تلك البلاد. وأن يهتم الباب العالي بتنظيم بلاد الأرمن، وأن يحميهم من تعديات الجركس والأكراد، وأن يبلغ الدول من حين لآخر ما أحدثه من تلك الإصلاحات.

ضغط، متذرة بالخوف على الوجود والمصالح، مع شيء من الطمع بأن تتحول هذه المجموعات إلى دول، وما دَرَوًا أنهم بقبولهم هذا كانوا يمهّدون لقيام الكيان الصهيوني في فلسطين.

مصطلح الأقليات... تعريف

كون هذا المصطلح ناشئ فإنه لا وجود له في قواميس السياسة الشرعية عندنا، وإنما نجده في قواميس السياسة المعاصرة.

وكحال أي مصطلح ناشئ حديث النُحت، فإنه يَعتَوره بعض الاضطراب، والسبب في ذلك أن تعريفات هذا المصطلح هدَفَ واضعوها من خلالها إلى جعلها مفتاحاً لتأمين مصالحهم في الدول التي فُضِّلَ هذا المصطلح على مقاسها!!!

فمثلاً الموسوعة البريطانية تعرّف الأقليات بأنهم: (جماعة من الأفراد يتميزون عرقياً، أو دينياً، أو قومياً، أو لغوياً، عن بقية الأفراد في المجتمع الذي يعيشون فيه). وهذا تعريف بالوصف. أما الموسوعة الأمريكية فتعرف الأقليات بأنهم: (جماعة لها وضع اجتماعي داخل المجتمع أقل من وضع الجماعة المسيطرة في نفس المجتمع، وتمتلك قدرًا أقل من النفوذ والقوة، وتمارس عددًا أقل من الحقوق مقارنة بالجماعة المسيطرة في المجتمع. وغالبًا ما يُحرّم أفراد الأقليات من الاستمتاع الكافي بحقوق مواطني الدرجة الأولى).

وهذا تعريف مبني على الهدف الذي يسعى إليه واضعوه وهو دغدغة مشاعر المعنيين لفتح باب للتدخل المباشر. لأن مضمون هذا التعريف لم يوجد إلا في ظل الدول التي أتت بها اتفاقية سايكس-بيكو.

أما في تاريخنا الإسلامي فمضامين هذا التعريف غير موجودة. عدا عن أن الحاكم الذي يمارس سلطة أعلى على مجموعة عندها حقوق أقل؛ قد لا يكون أكثرية عددية. وهناك مجتمعات تتسلط فيها (الأقليات) على (الأكثريات) وتغتصب حقوقها. وبالتالي فهذا لا يصلح تعريفًا.

أما الخبير الإيطالي (فرنسيسكو كابوتورتسي)⁽¹⁾ فقد عرف الأقلية في دراسته المكلف بها من قبل الأمم المتحدة، والتي اعتمدت في المنظمة الدولية، بقوله: (الأقلية: هي مجموعة أقل عددا بالنسبة إلى باقي السكان في دولة ما، وفي مركز غير مهيم في الدولة التي ينتمون إليها، وتمتلك هذه المجموعة خصائص ثقافية: طبيعية، أو تاريخية، أو دين، أو لغة، تختلف عن باقي السكان، ويعبرون عن شعور بالتضامن للمحافظة على ثقافتهم أو دينهم أو لغتهم).

وهذا التعريف لا يختلف في مضمونه عن سابقه لكنه عبارته ألطف. ويقال فيه ما يقال في سابقه.

Francesco Capotorti, Study on the Rights of Persons belonging to Ethnic, Religious and Linguistic - (Minorities, (United Nations: New York, 1991). فلقد نشرت الأمم المتحدة عام ١٩٩١م دراسة للمقرر الخاص فرانسيسكو كابوتورتسي حيث تتبع تطور مفهوم الأقلية منذ عام ١٩٢٠م حتى تاريخ صدور التقرير..

وكذلك الأمر في عبارة الخبير النرويجي «اسبيرون أيدى»، الذي اعتمدت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة تعريفه في الدراسة التي أعدها عام ١٩٨٩ م عن حقوق الإنسان، حيث قال: (يقصد بالأقلية كل مجموعة من الأشخاص المقيمين في دولة ذات سيادة، ويشكلون أقل من نصف السكان في المجتمع الوطني، ويتمتع أفرادها بخصائص مشتركة عامة ذات طبيعة أثنية أو دينية أو لغوية تميزهم عن باقي السكان). فلم يعرّج على الامتيازات السياسية.

وليس ببعيد عنه التعريف الذي أورده الدكتور سعد الدين إبراهيم في موسوعته «الملل والنحل والأعراف» حيث عرف الأقليات بأنها: (أية مجموعة بشرية تختلف عن الأغلبية في واحد أو أكثر من المتغيرات التالية: الدين، أو اللغة، أو الثقافة، أو السلالة).

ومن خلال هذه التعريفات نلاحظ؛ من دون كبير عناء؛ كيف أنها لا تتفق فيما بينها إلا على موضوع العدد، والخصوصية: الثقافية، أو العرقية، أو الدينية، وبعضها يزيد قيودا تهدف إلى دغدغة مشاعر المجموعات العرقية والقومية المختلفة، وكأنها تحرضها على بعضها البعض. وبخاصة إذا علمنا أن كل الصكوك الرئيسية التي أصدرتها الأمم المتحدة، والمتعلقة بحقوق الأقليات، لم تُعرّف فيها الأقليات تعريفاً واضحاً، وإنما أعطت أوصافاً لما يمكن أن يعتبر أقليات. واعتبرت من عندها أن هؤلاء عندهم مشكلة مع الغالبية المهيمنة على قرار البلد، ثم بنت على ذلك أنه لا بد من التدخل المباشر لحماية حقوق هذه الأقليات، لدرجة أنه كانت تخلق مشاكل وحروب لتبرير فرض هذه الحقوق، والتي هي في حقيقتها استعمار من نوع جديد.

مع العلم أنه توجد دول تحكمها أقليات، بمفهومهم، وهي متسلطة فيها على الأكثريات، بل وربما مارست ضدها ما يشبه حروب الإبادة، فلو نظرنا إلى بلادنا العربية مثلاً لوجدنا دولاً تحكمها أقليات، وتتمتع فيها بامتيازات لا توجد عند الغالبية، وهذا بالتالي يخرجها من حيز مصطلح الأقليات بحسب التعريفات المعتمدة اليوم، وهذا برأيي ينقض هذا التعريف ويجعله غير منضبط، مع تمييزنا بين أقليات وأخرى، إذ ليس كل حكم لأقلية يعني أن الأمر على ما وُصف، فقد تحكم الأقلية وتكون عادلة، بناءً، تعمل للصالح العام.

بالإضافة إلى أنه ليس صحيحاً أن كثيراً من المشكلات التي تقع داخل مجتمع فيه أقليات وأكثريات سببه تسلط الأكثرية على الأقلية، ونحن لو استقرنا تاريخ المنطقة لوجدنا أن الأكثرية السنية كانت عامل استقرار في المنطقة، ولم تكن يوماً عامل إثارة قلاقل، ولعل الإشارة إلى فتنة عام ١٨٦٠^(١) التي وقعت في جبل لبنان ودمشق بين الدروز والموارنة، والتي تولت فرنسا كبرها،

١- مجاز (١٨٦٠) في لبنان هو صراع في لبنان قام بين الموارنة من جهة والدروز والمسلمين الشيعة من جهة أخرى. بدأ الصراع بعد سلسلة من الاضطرابات توجت بثورة الفلاحين الموارنة على الإقطاعيين وملاك الأراضي من الموارنة. وسرعان ما امتد إلى جنوب البلاد حيث تغير طابع النزاع، فبادر الدروز بالهجوم على الموارنة.

بلغ عدد القتلى من المسيحيين حوالي (٢٠,٠٠٠) كما دمرت أكثر من (٢٨٠) قرية مسيحية، و(٥٦٠) كنيسة. وبالمثل تكبد الدروز والمسلمون الشيعة خسائر فادحة كذلك....

والوقوف على الدور الذي قامت به الأكثرية السننية الحاكمة في وقف الفتنة من خلال الدور الذي قام به الأمير عبد القادر الجزائري، تبين ما أقول.

مصطلح الأقليات والسلطة..

ومصطلح (الأقلية) لا يقف عند هذا الحد بل نجد أنه يتخطاه إلى مفهوم السلطة في النظام الديمقراطي، حيث يحكم الأكثرية الأقلية، وتمارس الأقلية دور المعارضة، ولا يلزم أن تكون المعارضة مقهورة، إلا أن هذا لا يؤدي إلى المشاكل التي يؤدي إليها نظام الأقليات القائم على القوميات والعرقيات والأثنيات. فالأول غالباً بيني، والثاني غالباً يهدم ويقسم

أمة.. جالية.. لا أقلية

فإذا كان مصطلح الأقليات لا وجود له في ثقافتنا، فما الذي أطلق من تسمية على المقصودين بالبحث؟

لا بد من الرجوع لبدایات نشأة الدولة في الإسلام لمعرفة كيفية التعامل مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، لأن الذي يرسم سياسة التعامل معهم هو الشرع، لذلك فلا بد من النظر في نشأة مجتمع المدينة المنورة للنظر في كيفية التعامل مع أهل الكتاب الذين كانوا يستوطنون المدينة المنورة. وهذا يمكن أن نجده في وثيقة المدينة المنورة التي نظمت حياة الناس، والتي تعتبر أهم وثيقة دستورية في تنظيم حياة المجموعات المختلفة في المجتمع المسلم الواحد.

وقد نظرت الوثيقة إلى يهود على أنهم (أمة) أي مجموعة لها استقلاليتها الدينية الكاملة ضمن المجتمع المدني، واعتبر ما اتفق عليه بمثابة معاهدة، والمعاهدة تكون بين طرفين متميزين عادة. وقد عَنَوْنَ لها ابن إسحاق في مغازيه بقوله: «وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كِتَابًا بَيْنَ الْمَهْجَرِيِّينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَّعَى فِيهِ يَهُودَ وَعَاهِدَهُمْ، وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ». ومما جاء في الوثيقة:

(وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغَى-أَي يهلك- إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

= امتدت الأحداث إلى دمشق وزحلة وجبل عامل وغيرها من المناطق. سقط خلالها الأخوة المسابكيون الذين اعتبرتهم الكنيسة الكاثوليكية طوبوايين عام (١٨٦٠). جاءت هذه الفتنة مرحلة ثالثة بعد اشتباكات طائفية أقل حدة حصلت عامي (١٨٤٠) و(١٨٤٥) بين الموارنة والدروز أيضاً.

تم في هذه الفترة حرق الكنائس والمدارس التبشيرية. وقام بعض المنتفضين من المسلمين بإنقاذ العديد من المسيحيين من أبرزهم عبد القادر الجزائري الذي أوامهم في مقر إقامته وفي قلعة دمشق.

دمرت خلال هذه المجازر حارة النصارى في دمشق القديمة والتي كان يسكنها الكاثوليك وكانت تُقيم فيه الطبقة البرجوازية الصناعية التجارية بشكل كامل، بما في ذلك عدد من الكنائس القديمة، بينما نجا سكان حي الميدان الفقير خارج الأسوار والذي شكل الأرثوذكس معظم سكانه بسبب حماية جيرانهم المسلمين لهم. (المرجع: ويكيبيديا).

وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.
 وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.
 وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.
 وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.
 وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.
 وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ
 بَيْتِهِ (١).

وهكذا فقد تمتع يهود في المدينة بحكم ذاتي شبه تام، ووزع ولاؤهم على قبائل العرب حتى لا يؤخذ بطنٌ بجزيرة غيره، وهذا غاية العدل. ولذلك عندما غدر يهود بني قينقاع لم يجبل سواهم، وكذلك عندما غدر بنو النضير لم يحاسب يهود خيبر، .. إلا أن يهود أبوا إلا أن يجتمعوا على الغدر فجاء الحكم العام بإجلائهم عن الجزيرة نهائياً، ومن هنا أطلق عليهم فقهاؤنا لقب (الجالية).

وقد أطلقه علماؤنا ابتداءً على أهل الكتاب خاصة، ثم على كل من كان في ذمة المسلمين عامة، فشم كل المجموعات التي كانت تعيش في كنف الدولة المسلمة.

يقول الإمام مرتضى الزبيدي في معجمه الفريد (تاج العروس): «والجالية: الذين جلاوا عن أوطانهم: يقال: فلان استعمل على الجالية، أي على جزيرة أهل الذمة؛ كما في الصحاح. وإنما سموا بذلك لأن عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه، أجلاهم عن جزيرة العرب لما تقدم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيهم (٢)، فسموا جالية، ولزمهم هذا الاسم أين حلوا، ثم لزم كل من لزمته الجزيرة من أهل الكتاب بكل بلد وإن لم يجلاوا عن أوطانهم» (٣).

فالإسلام نظر إلى هذه الجماعات منذ أول يوم على أنهم أمة مع المؤمنين، وأنهم جزء أصيل في المجتمع، لهم حقوق وعليهم واجبات، وإن كنا بحاجة لتحرير مفهوم وصف الأمة الذي أطلقه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١- سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٧.

٢- لحديث (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) ويروى (أخرجوا اليهود) وكأنها رواية بالمنع، والمقصود والله لأعلم أن لا يكون للمشركين كيان سياسي مستقل على غرار ما كان لليهود قبل إخراجهم من جزيرة العرب، وهو من مفهوم حديث: (لا يجتمع في جزيرة العرب ديتان) بمعنى أنه لا ينبغي أن تكون من سلطة إلا للإسلام، لأننا وجدنا أوزاعاً من يهود وغيرهم كانوا في أرجاء من الجزيرة العربية زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم إلا أنهم كانوا أجراء ومستخدمين لا مجتمعات لها استقلاليتها، إلا إذا قلنا بقول الإمام أحمد إن جزيرة العرب يقصد بها المدينة وما حولها. والله أعلم.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (جلو): ٣٧ / ٣٦٨.

وكذلك الأمر مع نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في العام التاسع للهجرة، ونزلوا المسجد النبوي الشريف، فعاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب لهم كتاباً، ومما جاء فيه: (ولنجران وحاشيتها، جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيتهم، ولا راهب من رهبانيتهم، ولا كاهن من كهانته. وليس عليهم ربيّة، ولا دم جاهلية. ولا يُحشرون، ولا يُعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقاً فينبهم النَّصْفُ غير ظالمين ولا مظلومين)^(١).

فهل تعرف دساتير اليوم وضعاً خاصاً كالذي أعطاه الإسلام لهذه المجموعات التي كانت تشارك المسلمين البلاد؟!

وهل ضاقت صدور المسلمين بالتعدد الذي كان يُلَوَّنُ مجتمعهم، كما ضاق صدر فرنسا بحجاب تضعه المسلمة على رأسها، وبالأمس ضاقت شوارعها على رجل يصلي في الطريق! وضاق صدر سويسرا بماذن ترتفع في سمائها! أهكذا يكون التسامح وقبول الآخر؟!

ويومٌ على إثر يوم نرى كيف أن صدور المخالفين تضيق بقبولنا، ولذلك أرى أننا نحن المعنيون أكثر من غيرنا بمصطلح قبول الآخر، بمعنى أن يقبلنا غيرنا، فيوم كنا حكام المنطقة، وحاول خليفة المسلمين أبو جعفر المنصور إجلاء الموارد من جبل لبنان بسبب ثورة قام بها بعض شبابهم، لم يأذن له الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى بتشتيت الناس وإجلالهم عن أراضيهم، ولم يسمح له أن يؤخذ البريء بجريرة المسيء.

ويوم جاء التتار لبلاد الشام وأسروا عددا لا يستهان به من المسلمين واليهود والنصارى، ذهب لمكافهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى، ولما أراد السلطان التتري أن يعطيه أسارى المسلمين فقط رفض، وقال لا أقبل إلا بفكاك الجميع، لأن أهل الكتاب أهل ذمتنا ونحن مسؤولون عنهم.

ونحن اليوم لا نحاسب على أفعال السلاطين، وإنما على مواقف العلماء، لأنها هي الترجمة الحقة لأحكام الدين ونصوصه، وإذا كان بعض النصارى ظلم من بعض الحكام، فإن كثيراً من المسلمين وأئمتهم وعلمائهم ظلموا من نفس الحكام أكثر بكثير. ولم يحدث في تاريخنا الإسلامي أن علماءنا فرطوا بحقوق أهل الكتاب عامة، والمسيحيين خاصة.

وعليه فما نراه اليوم، أو نسمعه، لا يمكن تفسيره إلا بأنه حقد دفين على الإسلام والمسلمين، فهو غير مبرر تاريخياً ولا أنياً، لأننا لم نقصر يوماً في معاملة غيرنا معاملة تليق بهم.

١- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. محمد حميد الله الحيدر آبادي. ص ١٧٦.

وسواء اعتُبر النصارى في بلادنا جالية أم أقلية أم رعايا، فالسؤال الذي يجب أن يطرح: هل ظلمهم الإسلام يوماً؟ وإن كنا نفهم التوجس من الأنظمة الظالمة المستبدّة، وإنْ تَجَلَّبَبَتْ بِجِلْبَابِ الإسلام، إلا أننا لا يمكن أن نستوعب التوجس غير المبرر من الإسلام السُّنيّ على الإطلاق.

المسيحيون الموارنة في لبنان

بعد هذه المقدمات السريعة أُلجُّ إلى لبنان وما فيه من خصوصيات، لا لأعرض لتاريخ نشأة لبنان والظروف التي شكلته سياسياً، وإنما لأتكلم عن امتيازات من يعيشتون فيه.

فمن أكثر الجماعات الدينية التي استفادت من الوصاية الأوروبية على الدولة العثمانية في القرنين الماضيين: المسيحيون، وبخاصة الموارنة، الذين ربطوا أنفسهم بالكنيسة الكاثوليكية استجابة لدعوات الآباء الكبوشيين، ثم تولّت فرنسا الضغط على الباب العالي للمطالبة بحق حماية المسيحيين الكاثوليك في الإمبراطورية العثمانية^(١)، فكانت كل الفرمانات الهمايونية التي تصدر، تراعي وجودهم وخصوصياتهم، حتى اشتهر المثل الذي يقول: «هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان».

ومنذ أن بدأ التدخل بدأت المشكلات تظهر تباعاً بين أطراف المجتمع اللبناني، وتاريخنا ليس بالبعيد، وبالتالي فالكل في ذهنه صور وتطبيقات لهذا التدخل وآثاره، وإن اختلفت التأويلات. وتجنباً لكثير من السلبيات التي برزت في تاريخنا الحديث، وبالتحديد منذ ظهور مصطلح الأقليات، توسل اللبنانيون لذلك مبدأ الحوار، وبالأخص الإسلامي المسيحي، وثقافة قبول الآخر، وغير ذلك من الطروحات التي هدف أصحابها إلى إضفاء نوع من الطمأنينة في قلوب (الأقليات)، وبخاصة بعد سلسلة من الصراعات التي لم تجلب سوى الويلات؛ وإن كان بعض هذه الطروحات يستشف منها اتهام الإسلام بأنه مقصر في قبول غير المسلمين؛ ثم تُحشد شواهد الحال على ذلك والتي تُختَصِرُ اليوم في ما يتعرض له مسيحيّو الشرق من تضيق واضطهاد أدى إلى هجرتهم من بلادهم، لذلك فإن أعدادهم في تناقص مُطَرِدٍ يؤذّن بشرق جديد ليس فيه أحد من المسيحيين.

هكذا يصور الأمر، وطبعاً هذه صورة قاتمة، وما أظن أن أحداً فيه مُسَكَّةٌ من مروءة يقبل بها، إذ كيف يُقبل أن يهجر إنسان من أرضه وبيته وتاريخه؟ وبخاصة أن المسيحية في الشرق موجودة قبل الإسلام!! لذلك فإن الانطباع الأول حيال هذا العرض أن المسلمين عليهم أن يحترموا منطق التاريخ والجغرافيا وأن لا يعملوا على إفراغ الشرق من أبنائه المسيحيين. مع العلم أن واقع الحال والتاريخ يشهد بعكس ذلك.

١- ينظر كتاب (الجاليات الأوروبية في بلاد الشام) للدكتورة ليلي الصباغ: ١ / ١٣.

ومن أجل تدارك هذا الخلل أنشئت هيئات للحوار الإسلامي المسيحي، وانتدب لها أفاضل الناس من كلا الديانتين، وكانت الندوات دائماً تعرض لتاريخ العلاقة بين الإسلام والمسيحية كدين، وبين المسلمين والمسيحيين كشعوب متجاورة متداخلة، ثم يُدلف بعد ذلك إلى الواقع الأليم الذي وصلت إليه المنطقة اليوم، حيث يشهد العالم بشكل عام، والشرق الأوسط بشكل خاص، تطرفاً دينياً وتزمتاً وتنامياً لمشاعر العداة: إن بين الأديان المختلفة، أو بين المِللِ والنَّحْلِ في الدين الواحد. حتى إن أحد المحاضرين الكرام ربط بين تنامي ظاهرة التطرف الديني والهجرة المسيحية في الشرق.

وبرأيي هذه معادلة ظالمة لأنها تنافي واقع الحال. إذ التطرف ليس مقصوراً على دين بعينه ولا شعب بعينه، وإنما التطرف سلوك نجده عن الكثيرين وفي بلاد شتى.

وقد خرَّجت هذه المنتديات والحوارات بنوع من التوصيات التي يمكن أن تعالج هذا الخلل الحاصل، منها: التركيز على التاريخ الناصع للعلاقة بين الديانات عبر التاريخ من خلال تعاليم هذه الأديان نفسها، لأن هذا النوع من العلاقة أمر بدهي طالما أننا نتشارك الأرض نفسها، أما الجنة فيقضي الله بها لمن يشاء، ونحن - بني البشر- لنا أن نختار العقيدة التي نرى أنها تبلغنا تلك الجنة الموعودة، وبالتالي فنحن مسئولون عن اختيارنا أمام الله سبحانه وتعالى، وملزمون بعد ذلك بالعمل على وفق هذا الاختيار.

هذا المنطق سليم من وجهة نظري..

غير أن بعض الطروحات التي كانت تعرض كانت غير منطقية وغير واقعية، ولا تعالج المشكلة، وإنما تخلق أزمات جديدة، وتُهَيِّئ لصراعات جديدة، كما أن فيها حَيَدَةً عن المطلوب، وخروجاً عن المعالجة الصحيحة للمشكلة.

إذ لا يخفى على ذي لب أن هذه المشكلات حديثة حدوث مصطلح الأقليات، فالعقائد لم تكن يوماً هي المشكلة، وهذا باعتراف الجميع، إذ الكل يستشهد بالتاريخ على طيب العلاقة بين المسلمين والمسيحيين.

وقد سبق ذكر إقرار الإسلام لغير أتباعه على دينهم، وعلى لسان نبينا صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي لا يدع مجالاً للتأويل.

وسواء كان المسيحيون، أو غيرهم، جالية أم أقلية، فإن الإسلام راعى خصوصياتهم، وحفظ وجودهم، وأخذوا حقوقهم في ظل حكمه وأكثر.

فإذا كان الأمر على ما ذُكر فما الذي جعل الأمور تصل إلى ما وصلت إليه؟

هذا الذي ينبغي أن نسأله لأنفسنا ابتداءً: ما هو سبب هذه المشكلة؟ ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والمشكلة التي ينبغي أن نعالجها هي ذات شقين: الشق الأول الهجرة المسيحية من الشرق، والشق الثاني مظاهر العداء المتنامي بين المسلمين والمسيحيين، والتي بلغت أوجها في تصريحات غبطة البطريرك الراعي في فرنسا، والتي تدل دلالة واضحة على تحالف ما بين ما بات يُعرَفُ بالأقليات في مواجهة الإسلام السُّنِّي تحديداً ذي مساحة الانتشار الواسعة، وبخاصة أنها تزامنت مع ما يروج له البعض تحت مصطلح (يقظة السنة في المنطقة).

وهذه المواقف لا تحافظ على الوجود المسيحي في لبنان بل تعرضه لخطر جديد، وبالتالي يتوجب على العقلاء دراسة الكلام جيداً قبل التصريح به، وبخاصة المرجعيات التي تحظى في المجتمع باحترام كبير.

وفي رأيي، واختصاراً للوقت، أن السبب الأساس هو ما خُطِّطَ لبلادنا باسم (الشرق الأوسط الجديد)، الذي بدأ مع سياسة التدخلات الأوروبية في السلطنة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر، والذي تمخَّض عن دخول العنصر اليهودي على المنطقة من خلال قضية فلسطين، ومن خلال الأنظمة التي تدعم هذا الكيان والتي تسعى إلى إيجاد حالات تطرف لتبرير تطرف اليهود، كما تسعى إلى إيجاد حالات عداء بين المختلفين: إن في المعتقد أو في المذاهب، لإضعاف ذلك المد المتجانس الذي يحيط باليهود في فلسطين، سواء بشقه الإسلامي أم بشقه المسيحي، وكل ذلك سعياً نحو السيطرة الكاملة على هذه المنطقة المهمة في التاريخ والجغرافيا، والتي تسمى (البلاد العربية).

وأستطيع أن أدلِّ على قولي هذا بكلمة قالها (ناحوم غولدمان) رئيس المنظمة اليهودية العالمية في المؤتمر الذي عُقد في باريس سنة ١٩٦٨ م بأنه إذا أرادت إسرائيل أن تعيش مطمئنة في فلسطين فعليهم (تسيخ الشعوب) من حولها، ثم أعطى تصوراً كيف يمكن أن يصلوا إلى مطلبهم بأنه عن طريق إقامة (دويلة مارونية في لبنان)، و(دويلة علوية في سوريا)، و(دويلة كردية في شمال العراق).

وهذا يعني أنهم سيضربون على وتر: القوميات، والعرقية، والأثنيات. وهو الذي أطلقوا عليه (حقوق الأقليات).

أليس هذا ما تعيشه منطقتنا اليوم؟

وتقنيداً لبعض المزاعم أقول: لننظر إلى أكثر المناطق التي يُتعرَّضُ فيها للمسيحيين، كالعراق وفلسطين ومصر مثلاً: ففي العراق نحن نعلم أن المسيحيين موجودون قبل المسلمين بدهور، وقصة نبينا صلى الله عليه وسلم مع عدَّاس الغلام النصراني، الذي جاءه بقطفة العنب يوم أذته تثيف في الطائف، دليل واضح على ذلك. وكان عداس من أرض نينوى، قرية نبي الله يونس بن متى عليه السلام في العراق.

ثم جاء المسلمون، وبنوا الكوفة والبصرة زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبأمر منه، ثم بغداد بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وفي كل مراحل تاريخ العراق الإسلامي ما سمعنا أن أحدا تعرّض للوجود المسيحي، بل كل كتب التاريخ تؤكد على أن كثيرا من الشخصيات المسيحية كانت لها حظوة عند الخلفاء المسلمين، فما الذي تغيّر اليوم لتفجّر كنائسهم ويُهَجَّرُوا من أرضهم؟ إنه الواقع الجديد الذي طرأ على العراق، إنه الاحتلال.

ونفس الأمر يقال عن الوجود المسيحي في فلسطين، فيوم تسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاتيح القدس من بطريكها المسيحي، والذي كتب لهم العهد العمرية، والتي اشترطوا لأنفسهم فيها ألا يسكنهم فيها يهود!! ومن يومها ما أظن أن أحدا تعرض للوجود المسيحي في فلسطين، بل أكثر من ذلك: حتى عندما احتل الفرنجة أجزاء من العالم الإسلامي متستريين بالصليب، لم يتعرض المسلمون لمسيحيي الشرق لأنهم يعلمون أن تلك الحملات لم تكن دينية وإنما كانت تستهدف خيرات بلاد المسلمين، بل أكثر من ذلك فإن كثيرا من مسيحيي الشرق قاتلوا مع المسلمين ضد القادمين من الغرب باسم الصليب.

فما الذي طرأ اليوم لتكون هذه الهجرة المسيحية من فلسطين؟ إنه الاحتلال اليهودي الذي يدعمه النظام الغربي بكل قوته.

ويبقى الوجود المسيحي في مصر، وقد فضحت الثورة مؤخرًا دور النظام الذي كان قائما بأمر الاحتلال في فبركة الخلافات بين المسلمين والمسيحيين، وكنيسة القديسين خير دليل.

ثم عندنا الوجود المسيحي في لبنان وفي سوريا، لماذا لا يتعرض لما يتعرض له سائر المسيحيين في الشرق؟ لأنه لا يوجد ذلك العنصر المفجّر وهو الاحتلال.

مع العلم أن الوجود المسيحي في لبنان له امتيازات تفوق امتيازات المسلمين السنة في كثير من دولهم. وما قضية اتفاق الطائف والمناصفة في الحكم إلا ترجمة عملية لإقرار أرباب السياسة السنة بهذه المعادلة، لذلك استغرب الجميع التصريحات الأخيرة لغبطة البطريرك الراعي في فرنسا التي تخوف فيها من المدّ السني في بلاد الشام والعراق، هذا بالرغم من الوضع المتميز الذي يتمتعون به، مع العلم أنه ليس السنة الذين يطرحون المثالته في لبنان!! وإنما الذين جاء بهم النظام الذي أبدى غبطته التعاطف معه حرصًا على المصلحة والمصير!!!

تفكك المملّ والنحل

ولو انتقلنا إلى الجانب الآخر من المشكلة، وهو العداء بين أبناء الملة الواحدة، ففي العراق مثلاً يوجد عدّة أماكن تعتبر مقدّسة عند الشيعة، منها مرافد الإمامين العسكريين في سامراء، وسامراء تاريخياً مدينة سنية ليس للشيعة فيها وجود، بناها أمير المؤمنين المأمون لتكون مركزاً لتجميع أجناد الدولة الذين ضجت منهم بغداد، ثم أخذت مصيفاً للخلفاء العباسيين.

وعبر تاريخ وجود هذين الضريحين كانت السنة هم الذين يقومون على خدمة هذه الأضرحة،
والكل يعلم أن ملكيتها تعود للأوقاف الإسلامية السننية في بغداد.

فلمَ لم يتعرض أحدٌ عبر التاريخ لهذين الضريحين؟ ولمَ اليوم يفجر هذان الضريحان؟ لأن
هناك واقعاً جديداً طرأ على المنطقة هو الاحتلال.

وما قلته هنا لست متفرداً به، بل وجدته عند أكثر من مرجع سياسي عند السنة وعند الشيعة
وعند المسيحيين، فعند الشيعة مثلاً سمعت السيد محمد حسين فضل الله يقول؛ سنة ١٩٨٢ م في
بيته في بئر العبد قبل أن يوضع له ذلك الانفجار المشؤم: «هناك دول ثلاثة في المنطقة سوف
تعطيها أمريكا دوراً مستقبلياً ضمن منظومة الشرق الأوسط الجديد: إيران، وتركيا، وإسرائيل». وهذه
دول قومية بامتياز، ودينية بامتياز.

وسمعت عند السنة معالي الوزير سمير الجسر، في غداء تكريمي للمكتب الدائم للحقوقيين
العرب الذي انعقد في طرابلس^(١)، يذكر ما ذكرته عن أن مشكلة المسيحيين في المنطقة سببها
الاحتلال، بل وربما اقتبست من عباراته.

كما سمعته يعلل بروز التطرف الديني في المنطقة بأنه لتبرير التطرف اليهودي: أنه إذا كان
الإسلام لا يقبل الوجود المسيحي فلن يقبل الوجود اليهودي، مما يبرر لليهود جعل دولتهم يهودية
وطرد المسلمين منها.

وهذا هو المغزى الأساس من لعبة الأقليات في منطقتنا. وهذا يعني أن هجرة المسيحيين
مطلوبة يهودياً لتبرير يهودية دولتهم.

وسمعت الأمير حارث الشهابي؛ وهو من أفاضل الموارنة في لبنان؛ يتكلم بعمق وإسهاب عن
تاريخ العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، وأن التعاليم الإسلامية لم تكن يوماً سبباً لمشكلة بين
المسلمين والمسيحيين، وإنما لو حللنا كل خلاف حصل تاريخياً بينهم لوجدناه يرجع إلى عنصر
خارجي.

هذا كله قيل وأكثر، إلا أن المشكلة الحقيقية تكمن في أن مجموعات من المسلمين
والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم التقت مصالحها مع مصالح منظومة الشرق الأوسط الجديد
الذي يقوم على أساس عرقي ومذهبي، مما يحولهم من طائفة إلى دويلة، فاستغلوا العاطفة الدينية
عند الرعايا، ودَعَمَهُمْ في هذا إعلام ضخم رُوِّج لأفكارهم ترويجاً سليماً، بمعنى ركّز على حالات
العداء المفتعلة، وظل يبرزها ويطمس غيرها حتى ولّد ذلك ردات فعل عند سائر المسيحيين

وجدنا آثارها في أوسلو^(١). ونجد آثارها كلما حصل خلاف بين السنة والشيعية مهما كان بسيطاً. ومن وجهة نظري أن المسؤول عن هذا الشحن ليس السنة، بل دليل ما يبدونه دائماً من مرونة مع غيرهم وبخاصة في لبنان، وإنما الذين قبلوا لعبة الأقليات وصدّقوا أن الإسلام قد اضطهدهم منذ أن حكمهم، وهذا الكلام لا أقوله هباءً، وإنما قال لي يوماً أحد ضباط المخابرات السورية العلويين الكبار في أعقاب نقاش حام بيني وبينه بعيد مجزرة باب التبانة سنة ١٩٨٦م على يد العلويين المحميين من النظام السوري، والتي ذهب ضحيتها أكثر من خمسمئة شخص، بين طفل وامرأة ورجل، قال: (أنتم حكمتونا ١٤٠٠ سنة، والآن جاء دورنا لنحكمكم ١٤٠٠ سنة)، وبالتالي فإن الذين ارتضوا لعبة الأقليات يطالبون السنة اليوم بتسديد فواتير الدولة الإسلامية تجاههم على مدى خمسة عشر قرناً.

ولو استرسلنا في الكلام لما انتهينا من ذكر الوقائع ولكنها نماذج تضعنا أمام الأسباب الحقيقية للمشكلة، وبالتالي فمواجهتها تكون بإزالة أسباب الأزمات والرجوع بالمنطقة إلى زمن التآلف والتواد وحسن الجوار، يوم لم يكن هناك كيان صهيوني، ولا احتلال أمريكي للعراق، ولا استغلال للدين من قبل تجار السياسة، كما لم يكن يوماً ما يُعرف ب: (الأقليات) التي باتت حجة كل تقسيم وسبب كل صراع.

نماذج من التسامح السني مع غير المسلمين

ومع أنني لست بحاجة للتدليل على احتضاننا لغيرنا في دولتنا وتسامحنا معه، إلا أنني من باب التعريف لمن لا يعرف أسوق فصلاً من كتاب (من روائع حضارتنا) للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى يبين فيه مدى التسامح الذي نعم به المسيحيون في ظل الدولة المسلمة، لعل هذا الكلام يوقظ الضمير النائم، ويفتح الأعين العمياء عن الحقائق.

يقول رحمه الله تعالى:

«ومن مظاهر التسامح الديني أن كانت الوظائف تعطى للمستحق الكفاء، بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه، وبذلك كان الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمناً طويلاً. كان (ابن أثنال)^(٢) الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاص، وكان (سرجون)^(٣) كاتبه. وقد عين مروان (اتناسيوس) مع آخر اسمه (إسحاق) في بعض مناصب الحكومة في مصر، ثم بلغ مرتبة الرئاسة

١- أقصد بذلك المجزرة التي ارتكبتها اليميني المتطرف «اندرس بهرينج» في شهر تموز من عام ٢٠١١م، والتي ذهب ضحيتها (٩١) شاباً وشابة كانوا في مخيم أقامه القطاع الشبابي في حزب العمال الحاكم والذي ضم مجموعة من العرب والمسلمين، وقد أشارت التحقيقات إلى أن المجرم كان مدفوعاً بعداؤه للإسلام.

٢- تنظر أخباره في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، ص: ٩٨ - ٩٩.

٣- تنظر ترجمته في (تاريخ دمشق: ٢٠ / ١٦١، ترجمة رقم: ٢٤٠٢).

في دواوين الدولة.

ومن أشهر الأطباء الذين كانت لهم الحظوة عند الخلفاء (جرجيس بن بختيشوع) ^(١)، وكان مقرباً من الخليفة المنصور واسع الحظوة عنده.

وكان (سلمويه بن بنان) ^(٢) النصراني طبيب المعتصم، ولما مات جزع عليه المعتصم جزعاً شديداً، وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة ديانته!

وكان (بختيشوع بن جبرائيل) ^(٣) طبيب المتوكل وصاحب الحظوة لديه، حتى إنه كان يضاهي الخليفة في اللباس وحسن الحال، وكثرة المال وكمال المروءة.

وكذلك كانت الحظوة للشعراء والأدباء لدى الخلفاء والأمراء، بقطع النظر عن أديانهم ومذاهبهم. وكلنا يعلم مكانة الأخطل في العهد الأموي.

وكان الأفراد كالخلفاء يصادقون من تروق لهم مصادقتهم بقطع النظر عن دينهم. كان إبراهيم بن هلال ^(٤) (الصابي) أي من الصائبة - وهم قوم من المجوس لهم ديانة خاصة بهم - قد بلغ أرفع مناصب الدولة، وتقلد الأعمال الجليلة في تقدمه الشعراء، وكانت بينه وبين زعماء الأدب والعلم من المسلمين صلات حسنة، وصادقات وشيخة، حتى إنه لما مات رثاه الشريف الرضي ^(٥) شيخ الهاشميين العلويين ونقيبهم بقصائد خالدة.

وكانت الحلقات العلمية في حضرة الخلفاء تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم. كانت للمأمون حلقة علمية يجتمع فيها علماء الديانات والمذاهب كلها، وكان يقول لهم: ابحثوا ما شئتم من العلم من غير أن يستدل كل واحد منكم بكتابه الديني، كيلا تثور بذلك مشاكل طائفية.

ومثل ذلك كانت الحلقات العلمية الشعبية. قال خلف بن المثني ^(٦): لقد شهدنا عشرةً في البصرة يجتمعون في مجلس لا يُعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهاً، وهم: الخليل بن أحمد ^(٧) صاحب النحو (وهو سني)، والحميري الشاعر ^(٨) (وهو شيعي)، وصالح بن عبد القدوس ^(٩) (وهو

١- تنظر أخباره في (أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي: ص ٧٢).

٢- تنظر أخباره في أعلام الزركلي: ٣ / ١١٤.

٣- تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة ٢٥٦هـ.

٤- تاريخ الإسلام، وفيات: ٢٨٤هـ.

٥- تاريخ الإسلام، وفيات ٤٠٦هـ.

٦- ينظر الخبر في تاريخ الإسلام: (٤٠ / ٤) ترجمة حماد عجرد.

٧- تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٧ / ٤٢٩.

٨- اسمه إسماعيل بن محمد، تنظر ترجمته في لسان الميزان للحافظ ابن حجر: ١٧٢ / ٢، ترجمة ١٢٤٢.

٩- تنظر ترجمته في وفيات الأعيان: ٢ / ٤٩٢.

زنديق ثنوي)، وسفيان بن مجامع^(١) (وهو خارجي صفري)، وبشار بن بُرد^(٢) (وهو شعوبي خليع ماجن)، وحمّاد عجرد^(٣) (وهو زنديق شعوبي)، وابن رأس الجالوت^(٤) الشاعر (وهو يهودي)، وابن نظير المتكلم^(٥) (وهو نصراني)، وعمر ابن المؤيد^(٦) (وهو مجوسي)، وابن سنان الحرّاني^(٧) الشاعر (وهو صابئي)، كانوا يجتمعون فيتناشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار، ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هذا الاختلاف الشديد في ديانتهم ومذاهبهم!

ومن مظاهر التسامح الديني في حضارتنا الاشتراك بالأعياد الدينية بمباهجها وزينتها. فمِنذ العهد الأموي كانت للنصارى احتفالاتهم العامة في الشوارع تتقدمها الصُّلبان ورجال الدين بألبستهم الكهنوتية. وقد دخل البطريرك ميخائيل مدينة الإسكندرية في احتفال رائع وبين يديه الشموع والصُّلبان والأناجيل، والكهنة يصيحون: قد أرسل الرب إلينا الراعي المأمون الذي هو مرقس الجديد. وكان ذلك في عهد هشام بن عبد الملك.

وجرت العادة أيام الرشيد بأن يخرج النصارى في موكب كبير وبين أيديهم الصليب وكان ذلك في يوم عيد الفصح.

ومن الغريب أن مثل هذه المظاهر من الود ظلت حتى في الحروب الصليبية حيث كان الغرب يشن أقسى الحملات التاريخية على بلاد الإسلام باسم الصليب، وهذا هو الرحالة ابن جُبَيْر يقول لنا في رحلته: ومن أعجب ما يحدث أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان منهم ويقع المصاف بينهم، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض. واختلاف القوافل عن مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الأمانة على غاية، وتجار النصارى يؤدون في بلاد المسلمين ضريبة على سلعمهم، والاتفاق بينهم الاعتدال، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية والدنيا لمن غلب.

وبعد، فإن التسامح الديني في حضارتنا مما لا يعهد له مثيل في تاريخ العصور الماضية، وقد أجمع المؤرخون الغربيون ممن يحترمون الحق على هذا التسامح وأشادوا به.

١- في الخبر عند الذهبي في تاريخ الإسلام اسمه (سفيان بن مجاشع) من الخوارج الصفرية.

٢- تنظر أخباره في تاريخ الإسلام وفيات سنة ١٦٧ هـ.

٣- تنظر أخباره في تاريخ الإسلام: وفيان سنة ١٥٥ هـ.

٤- رأس الجالوت: منصب يتعهد من تولاه بتنظيم شؤون اليهود. وابنه هذا هو الذي حدث بعلمة استشهاد الحسين عليه السلام في كربلاء، ينظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ هجري (مقتل الحسين) عليه السلام.

٥- في كتاب تاريخ الإسلام ورد اسمه (ابن نظيرا) متكلم النصارى.

٦- في تاريخ الإسلام (ترجمة حماد عجرد) ورد اسمه (عمرو ابن أخت المؤيد).

٧- هو: روح ابن سنان الحرّاني الصابئي.

يقول المستر (درابر)^(١) الأمريكي المشهور: إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورقوهم إلى مناصب الدولة، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا بن ماسويه، ولم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذي ولد فيه، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة.

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر (ولز)^(٢) في صدر بحثه عن تعاليم الإسلام: (إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يُقَل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي عما في أية جماعة أخرى سبقتها..). إلى أن يقول عن الإسلام: (إنه مليء بروح الرفق والسماحة والأخوة).

ويقول (رينو)^(٣) في «تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط»: (إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير). انتهى من كتاب (من روائع حضارتنا)^(٤).

الخلاصة

بعد هذه الجولة التاريخية لنشأة مصطلح (الأقليات) مقارنة مع ما كان الحال عليه في الدولة الإسلامية عبر التاريخ، نجد أن هذا المصطلح إنما وجد ليكون عنصر فلاق في المنطقة لتفتيتها وتقسيمها أكثر مما هي مقسمة ومفتتة.

ويمكننا بكل بساطة وسهولة أن نلمح أن أعداد الناس لم تكن قديماً مشكلة أو تتولد عنها مشكلة، لكن الأطماع السياسية، والأهواء السلطوية، جعلت من هذا المصطلح (حصان طروادة) جديد تلج منه إلى واقع سياسي جديد يخدم تلك المصالح والطموحات والأهواء ولو على حساب دماء الناس وأمنهم.

كما يمكننا أن نلمح أيضاً أن الذين وافقوا على السير في هذه اللعبة إنما يسرون عكس

١- هنري درابر (١٨٢٧-١٨٨٢) فلكي أمريكي، اهتم بالتصوير الفلكي، وتمكن سنة ١٨٨٠ من التقاط أول صورة فلكية لجرم سماوي بعيد وهو سديم الجبار، كما درس الطيف النجمي وكان أول شخص يصور خطوط الطيف النجمي، ويعرف الان نظام الطيف النجمي باسمه ويرمز له (HD).

٢- هربرت جورج ويلز (٢١ سبتمبر ١٨٦٦ - ١٢ أغسطس ١٩٤٦)، مؤرخ إنكليزي مشهور، له كتاب (التاريخ القصير للعالم).

٣- أرنست رينو (٢٨ فبراير ١٨٢٣ - ١٨٩٢)، مؤرخ وكاتب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقداً تاريخياً علمياً وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس.

٤- ص (١٢٨) من طبعة (الوراق) وما بعدها.

التاريخ، ومن عاكس التاريخ خسر...

أكتفي بهذا وأسأل الله تعالى أن يجنب بلادنا عامة، ولبنان خاصة، عاديات رياح التغيير، وأن يلهم قادة العقول الإنصاف في القول والعلم، وأن يمن علينا بالأمن والأمان ورغد العيش، نحن وسائر شركائنا في الحياة إنه سميع قريب مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله تعالى رب العالمين.
انتهى البحث.

محمد غادر

أ.م. دكتور

محاسبة - جامعة الجنان

عبد الناصر ابراهيم نور

أستاذ دكتور

محاسبة - جامعة الشرق الأوسط - الأردن

أنس عليان الشريف

طالب دكتوراه

محاسبة - جامعة الجنان

تقييم مخاطر التعاقد لقبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين الأردنيين

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تقييم مدققي الحسابات الخارجيين الأردنيين لمخاطر قبول أو رفض مهمة التدقيق، وذلك من وجهة نظر مدققي الحسابات والعاملين في مكاتب التدقيق العاملة في الأردن المرخصة والمسموح لها بمزاولة المهنة. وتوصلت الدراسة إلى وجود تأثير لمخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بالعملاء وبأنشطة التدقيق وبمكتب التدقيق وبإدارة العميل على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن. وعلى ضوء النتائج قدمت الدراسة عددا من التوصيات أهمها: قيام مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن بتقييم مخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بالعملاء وبأنشطة التدقيق وبمكتب التدقيق وبإدارة العميل. والتأكيد على أهمية التزام مدققي الحسابات الخارجيين بنطاق إجراءات التدقيق والتعاقد المبكر كون ذلك يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء.

مفتاح الكلمات: مخاطر الأعمال، قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق، مدققي الحسابات

الخارجيين، مكاتب التدقيق.

المقدمة

يمثل التدقيق محوراً للعديد من الأنظمة والتشريعات، التي صدرت عن المنظمات المهنية، بهدف العمل على تقليل مخاطر الأعمال في مجال التدقيق. ومن ناحية أخرى ونظراً لصعوبة ملاحظة هذه المخاطر في التدقيق، فقد اعتمدت الدراسات التي تناولت هذا الموضوع على العديد من العوامل التي تعتبر محدّدة لهذه المخاطر، أو بدائل عنها كالعوامل المرتبطة بسمعة العميل وإدارته ونوع الأنشطة الممارسة، أو العوامل المتعلقة بمكتب التدقيق.

وقد أضحت التدقيق مجالاً خصباً للأبحاث ودراسات العديد من المهتمين والدارسين، وذلك لأهميته في الكشف عن مواطن الخلل والضعف في العمليات المحاسبية، وكذلك الأشخاص القائمين على تنفيذ هذه العمليات، مما يساعد في تصحيح المسارات والانحرافات أثناء تنفيذ الخطط الموضوعة بكفاءة.

إن التنافس الكبير الذي يلقي بظلاله على اقتصاديات العالم، ويشكك في إمكانية بقاء الكثير من الشركات الكبيرة منها أو الصغيرة، قد أدى إلى زيادة الضغوط على المدقق الخارجي للتأثير على رأيه حول عدالة البيانات المالية، وبالتالي زيادة المخاطر التي تتعرض لها مكاتب التدقيق جراء القيام بأعمالها، وقد أظهرت الدراسات ارتفاع عدد الدعاوي القضائية المرفوعة ضد شركات التدقيق مما زاد من أعبائها ومصاريها المالية، التي تنفق على الدعاوي القانونية والتي تجاوزت أحياناً ١٢ ٪ من إجمالي إيرادات هذه الشركات، مما نتج عنه إفلاس عدد كبير منها مثل شركة Laventhol & Horworth والتي كانت في عداد أكبر سبع شركات تدقيق في أمريكا.

من هنا برزت فجوة التوقعات التي اتسعت بين مستخدمي القوائم المالية والمدقق الخارجي، والتي هي عبارة عن الاختلاف بين ما يعتبره مستخدمي القوائم المالية من واجبات ومسئوليات المدقق الخارجي، وما يعتبره المدقق الخارجي فعلياً من مسؤولياته، أما فيما يتعلق بتقييم مخاطر التدقيق بالنسبة لمكاتب التدقيق فإن اتساع فجوة التوقعات أدى إلى مزيد من خوف هذه المكاتب من مخاطر المقاضاة الناجمة بشكل أساسي عن تلاعب إدارة العميل بالقوائم المالية، وبالتالي توسع المدققين بأعمال التدقيق الأمر الذي نتج عنه انخفاض أرباح هذه المكاتب، وللتقليل من أثر ذلك فإن مكاتب التدقيق تلجأ إلى ما يسمى بتقييم المخاطر المتعلقة بالعملاء، والتي يمكن تحديدها قبل الموافقة على التدقيق سواء كان ذلك بالنسبة للعملاء الجدد أو الحاليين، وبالتالي تقليل المخاطر التي قد يتعرض لها المدقق.

وبما أن المعايير الدولية لتدقيق الحسابات مطبقة في الأردن ومن بينها المعيار (٢٢٠) والمعنون برقابة الجودة لأعمال التدقيق، إذ طرح هذا المعيار أهداف سياسات رقابة الجودة في

مكتب التدقيق والتي من بينها قبول العملاء والمحافظة عليهم، حيث ينص على ما يلي: «يجب على المؤسسة إجراء تقييم للعملاء المحتملين ومراجعة علاقتها مع العملاء الحاليين بصفة مستمرة، كما يجب على المؤسسة عند اتخاذ قرار قبول أو إبقاء العلاقة مع العميل، أن تأخذ بعين الاعتبار استقلالية المؤسسة وقابليتها لخدمة العميل بشكل ملائم والأمانة التي تتمتع بها إدارة العميل»، كما أن المعيار الدولي رقم (٤٠٠) والمعنون «تقدير المخاطر والرقابة الداخلية» ينص على «أن على المدقق الحصول على الفهم الكافي لكل من النظام المحاسبي والرقابة الداخلية ومخاطر التدقيق ومكوناتها التي تشمل كل من مخاطر الملازمة، ومخاطر المراقبة ومخاطر الاكتشاف، وبالتالي تحديد العناصر المهمة لتقييم العملاء»^(١).

وقد ساهم التنافس الكبير بين مكاتب التدقيق للوصول إلى العملاء المستهدفين وتقديم الخدمات إليهم، في زيادة درجة المخاطر التي قد تواجهها هذه المكاتب عند اختيار عملائها، كما يمكن اعتبار قرار قبول العميل خطوة أولى لاحتواء الأخطار المرتبطة في خطر أعمال العميل، خطر أعمال التدقيق، وخطر أعمال مكتب التدقيق^(٢).

مشكلة الدراسة

هناك العديد من الجوانب المرتبطة بمخاطر الأعمال، تجعلها تؤثر على كثير من محددات قبول أو رفض العملاء لمدقق الحسابات، الأمر الذي يتطلب إعطاؤها اهتماما خاصا، بشكل يمكن من تحديدها وضبطها، بما يمكن من الارتقاء بمستوى جودة الخدمات التي يقدمها مدقق الحسابات. فالمدققون مطالبون بالعمل على استكشاف الجوانب المتعددة لمخاطر أعمالهم، بشكل يمكنهم من اتخاذ قرارات سليمة في ارتباطاتهم مع العملاء، وضبط وقياس هذه المخاطر، الأمر الذي يترتب عليه، الارتقاء بجودة خدماتهم والتزامهم بالمعايير المهنية وتجنب مخاطر مقاضاتهم، أو تعرضهم لعقوبات جزائية، أو أية أضرار قد تصيب سمعتهم.

وبما أن تقييم العملاء قبل الموافقة عليهم أو الاستمرار معهم يعتبر خط الدفاع الأول بالنسبة لمكاتب التدقيق من أجل احتواء وتقليل المخاطر التي قد تتعرض لها هذه المكاتب أثناء عملها، وبالتالي فإن الغرض من هذه الدراسة هو معرفة تقييم مدققي الحسابات الخارجيين الأردنيين لمخاطر قبول التعاقد مع العميل على قرارهم في قبول أو رفض مهمة التدقيق، لأن التقييم الذي يسبق الموافقة على التعامل أو الاستمرار مع العملاء يُعد مطلباً أساسياً بالنسبة لمكاتب التدقيق من أجل تقليل المخاطر التي قد تتعرض لها هذه المكاتب أثناء عملها. حيث سيحاول الباحث الإجابة على التساؤلات التالية:

1- (Fenwick&Jacobs,1991, p:16)

٢- (عيابنة،٢٠٠٢)

السؤال الأول: هل هناك تأثير للمخاطر المتعلقة بالعملاء على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن؟

السؤال الثاني: هل هناك تأثير للمخاطر المتعلقة بأنشطة التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن؟

السؤال الثالث: هل هناك تأثير للمخاطر المتعلقة بمكتب التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن؟

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تقييم مدققي الحسابات الخارجيين الأردنيين لمخاطر قبول التعاقد مع العميل على قرارهم في قبول أو رفض مهمة التدقيق، كما تحاول التعرف على العوامل المستخدمة في تقييم مخاطر التعاقد للعملاء من قبل المدقق الخارجي.

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها توضح مخاطر التعاقد بهدف التقليل من النتائج السلبية التي قد تؤثر على السمعة المهنية لمكتب التدقيق والتي قد تتسبب في خسائر مادية أيضا، إلى جانب أنها توفر جانبا من قاعدة معلومات وبيانات حول تقييم مدققي الحسابات الخارجيين العاملين في مكاتب التدقيق في الأردن لمخاطر التكليف والتعاقد على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق، فضلا عن أنها تدعم الدراسات والبحوث النظرية والتطبيقية في مجال تقييم مدققي الحسابات لمخاطر التكليف والتعاقد وتأثيره على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق، ولرفد هذه الجهات بالملاحظات والتقييم المناسب وتلافي النقص في بيئة التدقيق الأردنية في هذا الجانب البحثي الهام.

فرضيات الدراسة

HO1 لا يوجد تأثير للمخاطر المتعلقة بالعملاء على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن.

HO2 لا يوجد تأثير للمخاطر المتعلقة بأنشطة التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن.

HO3 لا يوجد تأثير للمخاطر المتعلقة بمكتب التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن.

تعريفات إجرائية

المدقق: هو المحاسب المصرح له أو المنشأة المحاسبية التي تؤدي التدقيق في الوحدات التجارية أو الوحدات غير التجارية وفقا لشروط قانونية، تراعي قواعد السلوك المهني للمحاسبين

القانونيين الصادر من الاتحاد الدولي للمحاسبين.

التدقيق: هي عملية منظمة ومنهجية لجمع وتقييم الأدلة والقرائن، بشكل موضوعي، التي تتعلق بنتائج الأنشطة والأحداث الاقتصادية، وذلك لتحديد مدى التوافق والتطابق بين هذه النتائج والمعايير المقررة، وتبليغ الأطراف المعنية بنتائج التدقيق.

مخاطر التكليف والتعاقد: وتشير إلى المخاطر التي تتعلق بقبول أو رفض التعامل مع العميل، والتي ينجم عنها تعرض العمل المهني للمدقق لاحتمال التعرض للخسائر أو إلحاق أضرار مادية بعمله وفقدان سمعته المهنية وهي تشمل مخاطر متعلقة بالعمل وبعملية التدقيق وبمكتب التدقيق. المخاطر المتعلقة بالعميل: وهي المخاطر التي تتعلق بنشاط العميل بربحية واستمرارية العميل، لذلك فإن العوامل تشمل سيولة العميل والمشاكل المتعلقة بها، بالإضافة إلى المنافسة في الصناعة، وتقاس من خلال نزاهة الإدارة وقوة المركز المالي للعميل وحجم الشركة وتعقيد أعمال العميل والرقابة الداخلية.

المخاطر المتعلقة بعملية التدقيق: هي المخاطر المتعلقة بقيام المدقق بإبداء رأي غير مناسب عندما تكون البيانات المالية خاطئة بشكل جوهري، كمخاطر الملازمة ومخاطر الرقابة، وتقاس من خلال العلاقة الشخصية وملائمة توقيت التعاقد وتوقيت إعداد القوائم المالية وأتعاب التدقيق ونطاق وإجراءات التدقيق.

المخاطر المتعلقة بمكتب التدقيق: وهي التأهيل العلمي والمهني للعاملين بمكتب التدقيق، وتقاس من خلال التأهيل العلمي والمهني لمكتب التدقيق والتخصص وحجم المكتب والخدمات الإضافية.

قرار قبول العميل: هو إمكانية تقييم مخاطر التعاقد لقبول العملاء من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن.

منهجية الدراسة

مجتمع الدراسة وعينته

يتكون مجتمع الدراسة من مكاتب التدقيق العاملة في الأردن والبالغ عددها مئة و أربعة عشر مكتباً للتدقيق مرخصاً ومزاولاً للمهنة، وقد اعتمد الباحث على عينه تحكمية (قصدية) للمدققين الخارجيين العاملين في هذه المكاتب بلغ حجمها مئتين وستة مدققين تم اختيارهم من هذه المكاتب وفقاً لتجاوبهم مع الباحث في الإجابة على أسئلة الدراسة.

مصادر جمع البيانات:

اعتمد الباحث على نوعين من مصادر المعلومات هما المصادر الثانوية، مثل كتب المحاسبة والمواد العلمية والنشرات والدوريات المتخصصة التي تبحث في موضوع مخاطر

الأعمال والتدقيق، كما اعتمد على المصادر الأولية من خلال تطوير استبانة، وللتأكد من صدقها وقدرتها على قياس متغيرات الدراسة، فقد تم عرضها على هيئة محكمين من أساتذة المحاسبة، بالإضافة إلى أنه تم استخراج معامل كرونباخ ألفا للتساق الداخلي وبلغ (٩٤, ٨٢٪).

أداة جمع البيانات:

تشمل الدراسة الحالية المدققين العاملين في مكاتب التدقيق العاملة في الأردن، حيث تم فحص العلاقات التي تربط المتغير المستقل المتمثل بمخاطر التكليف والتعاقد والمتغير التابع المتمثل بقرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، كما قام الباحث باستخدام استبانة خطية مكونة من جزأين رئيسيين هما:

١- الجزء الأول: وخصص للتعرف على العوامل الديموغرافية للمستجيبين مثل (العمر، سنوات الخبرة في مجال التدقيق، عدد المدققين العاملين بمكتب التدقيق).

٢- الجزء الثاني: وخصص للعبارات التي تغطي متغيرات الدراسة وفرضياتها، والتي تتمثل في التعرف على تأثير مخاطر التكليف والتعاقد على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، وعلى مقياس ليكرت الخماسي. الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة.

قام الباحث بالاستعانة بالأساليب الإحصائية ضمن برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في تحليل البيانات، حيث استخدم الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف على تقييمات المبحوثين لكل مفردة من مفردات فئة الدراسة، كذلك استخدم تحليل الانحدار الخطي البسيط (Simple Regression) لاختبار الفرضيات.

حدود الدراسة

١- الحدود المكانية: اقتصرت هذه الدراسة على آراء مدققي الحسابات والعاملين في مكاتب التدقيق العاملة في الأردن المرخصة والمسموح لها بمزاولة المهنة.

٢- الحدود الزمانية: لهذه الدراسة: استغرقت الفترة الواقعة ما بين شهر أيار ٢٠١١ وحتى شهر آب ٢٠١١.

الدراسات السابقة

الدراسات باللغة العربية

في دراسة أجراها احمد، (٢٠٠٩)، بهدف تطوير نموذج للمراجعة يتنبأ بالمتغيرات البيئية المستجدة، ومخاطر القياس بالقيمة العادلة، بغرض تحقيق قياس أفضل لخطر الأعمال ومن ثم رفع كفاءة وفاعلية عملية المراجعة، وقد خلصت الدراسة إلى أهم النتائج إلى أنه لا يعد

التحليل الجزئي للاستراتيجية مفيداً مثل التقييم الكامل لها في توليد تقييم دقيق لخطر أعمال العميل، كما يمثل خطر احتواء القوائم المالية على تشويه جوهرى أمراً هاماً بالنسبة للمراجع، إضافة إلى أن تحليل محتوى الإستراتيجية يؤدي إلى تحسين دقة تقدير الخطر الحتمي على مستوى المنشأة وعلى مستوى تشغيل العمليات مقارنة بحالات عدم إجراء هذا التحليل.

أما العماري، (٢٠٠٧)، فقد توصل بدراسته التي هدفت إلى تحديد العوامل المؤثرة على جودة خدمات مهنة المراجعة في المملكة العربية السعودية، إلى أن متطلبات ممارسة مهنة المراجعة في المملكة حالياً غير كافية لتطوير مستوى جودة خدمات مهنة المراجعة، وأن دور المنظمات المهنية في المملكة حالياً غير كاف لتطوير مستوى جودة خدمات مهنة المراجعة، إضافة إلى أن هناك حاجة إلى تطوير وتفعيل دور لجان المراجعة في الشركات المساهمة السعودية بما يؤدي إلى تطوير مستوى جودة خدمات مهنة المراجعة.

وخلصت دراسة الرحيلي، (٢٠٠٤)، والتي هدفت إلى التعرف على دور المدقق الخارجي في تقييم العوامل المرتبطة بالمخاطر الحتمية لأغراض تخطيط عملية التدقيق، إلى أن المدققين في السعودية يقيمون الخطر الحتمي عند المستوى المناسب باستثناء عاملين هما: العميل، والقوانين المؤثرة في صناعة العميل، حيث جاء تأثيرهم سلبياً.

وتوصلت دراسة عباينة، (٢٠٠٣)، والتي أجريت بهدف التعرف على أهمية العوامل المستخدمة في تقييم مخاطر التكليف للعملاء من قبل المدققين الخارجيين، والطرق المستخدمة للتكيف مع مخاطر التكليف، إلى أن العوامل المستخدمة التي يسترشد بها لتقييم مخاطر التكليف ذات أهمية من قبل المدقق الخارجي، وأن أكثر مخاطر التكليف أهمية هي المتعلقة بعملية التدقيق، كما بينت وجود فروق في الأهمية لكل من العمر والخبرة والشهادة المهنية لمخاطر التكليف.

وفي دراسته التي أجراها في العام (٢٠٠٠)، قدم عبد الهادي نموذجاً مقترحاً لتحديد علاقة حجم مكتب المراجع بجودة أداء مكتب المراجع في ظل التقييم الذاتي، ومراجعة النظر، حيث توصل إلى وجود علاقة إيجابية بين جودة الأداء المهني، وحجم مكتب المراجعة، وكذلك بين إشراف المنظمات المهنية على مكاتب المراجعة وجودة أدائها المهني.

الدراسات باللغة الانجليزية

في دراسة أجراها كل من (Lam and Mensah, 2006) بهدف دراسة العلاقة في اتخاذ القرار من قبل المدققين في ضوء عدم الأكيدية بالاستمرار، وذلك من خلال مخاطر التشريعات القضائية، فقد اتفقت نتيجة دراستهم مع نتائج الدراسات السابقة من أن سمعة مراقب الحسابات والمهنة يؤثران بقوة على سلوكه عند إبداء الرأي (خاصة الرأي المعدل)، وأن

مراقبي الحسابات يميلون لإصدار تقرير بالامتناع عن إبداء رأي في الحالات الحرجة نتيجة المصائب المالية، ورأي معدل مع فقرة إيضاحية عندما تكون هذه المصائب أقل حدة، فضلا عن أنها بينت أن تأثير الضغوط المهنية على مراقب الحسابات عند إصدار الرأي تكون أكثر تأثيراً من خطر الدعاوى القضائية.

وناقشت الدراسة التي قام بها (Eu-Jin, T., and Houghton, K., 2004) أن سمعة مكتب المراجعة ترتبط بشكل رئيسي بمستوى الجودة المقدمة، كما أن جودة المراجعة ترتبط بشكل إيجابي بألعاب عملية المراجعة والعكس بالعكس، في حين أن مقاضاة المراجع تؤثر سلباً على سمعته، وذلك لأنها قد تمثل مؤشراً على النقص في جودة الأداء المهني للمراجع. واعتبرت الدراسة أن العلاقة السالبة بين مقاضاة المراجع وألعاب المراجعة، تتفاقم على مستويين: مستوى الدولة أو المحلي Locality ومستوى التخصص الصناعي للعميل. كما أظهرت أن ألعاب مكاتب المراجعة التي تم مقاضاة مراجعيها تنخفض عن تلك المكاتب التي لم يتم مقاضاة مراجعيها. كما بحثت دراسة (Khurana, I., and Raman, K., 2004) عن أيهما أكثر تحديداً لجودة الأداء المهني سمعة مكتب المراجعة أم مخاطر التعرض للتقاضي. وقامت الدراسة باختبار فيما إذا كانت جودة الأداء المهني العالية المدركة لمكاتب المراجعة الأربعة الكبار، ترتبط بتعرض المراجعين للتقاضي، أو لأضرار تصيب سمعتهم، وذلك من خلال دراسة نظرية تحليلية، وأظهرت النتائج أن مخاطر التعرض للتقاضي لها دور أكبر دور من حماية سمعة العلامة التجارية لمكتب المراجعة في تحديد جودة الأداء المهني.

وبهدف تقييم أثر المكونات التنظيمية لمكاتب التدقيق على قرارات المدقق بشأن قبول العميل في ظل تأثيرات المنهج المهني والمنهج التجاري. قام الباحث (Gendron, 2002) بإجراء دراسة الميدانية على ثلاث شركات تدقيق من الخمسة الكبار في كندا، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها أن مكاتب التدقيق تدير مرحلة صنع القرار للمدققين عن طريق المكونات التنظيمية الرسمية التي تنعكس بشكل أكبر في أحد المنهجين هما المنهج المهني أو المنهج التجاري. وان مكاتب التدقيق تتخذ قرار القبول بما يتفق مع المنهج المهني أو التجاري الذي تفضله المكونات التنظيمية لمكتب التدقيق.

الإطار النظري

تمهيد

يشهد العالم ثوره علمية ونهضة تكنولوجية حضارية واسعة تتسم بالإيقاع السريع، تسببت بإحداث العديد من التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية، والتي أسهمت في تحديد ملامح وسمات حقل إدارة الأعمال وأنشطة منظمات الأعمال. وقد فرضت هذه التغيرات على الشركات

العمل على نحو تبني الأساليب والتقنيات الإدارية الحديثة، لتستطيع مواجهة ومواكبة هذه التغيرات، للحفاظ على بقائها ونموها. كما زاد التنافس الكبير بين الشركات إلى زيادة الضغوط على المدقق الخارجي للتأثير على رأيه حول عدالة البيانات المالية، وبالتالي زيادة المخاطر التي تتعرض لها مكاتب التدقيق جراء القيام بأعمالها.

ونتيجة لارتفاع عدد القضايا المرفوعة في المحاكم ضد مكاتب وشركات التدقيق، فإن أعبائها زادت إلى الحد الذي زاد من المصاريف المالية لهذه الشركات، بسبب الإنفاق على الدعاوى القانونية، والتي تجاوزت أحيانا ١٢ في المائة من إجمالي إيرادات هذه الشركات، الأمر الذي دفع بعدد كبير من هذه الشركات إلى إعلان إفلاسها، وذلك مثل ما حصل مع شركة (Laventhol & Horworth) التي كانت تعد من أكبر سبع شركات تدقيق في الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

وقد فرضت شدة المنافسة والتطور التكنولوجي السريع في عالم الأعمال تحديات كبيرة وتغيرات معقدة، مما يتطلب من المنظمات التركيز على أهمية الإدراك السليم لهذه التحديات، والتقدير الصحيح والواقعي لفرص التعامل معها، فمسألة بقاء مكتب التدقيق ونموه أصبحت صعبة ودرجة، وتستدعي تضافر الجهود وتكاملها وتناسقها على مختلف المستويات، (العدلوني، ٢٠٠٢، ص ٦)، حيث أصبح الوصول إلى العملاء المستهدفين وتقديم الخدمات إليهم محفوفًا بزيادة درجة المخاطر التي قد تواجهها هذه المكاتب عند اختيار عملائها، كما يمكن اعتبار قرار قبول العميل خطوة أولى لاحتواء الأخطار المرتبطة بأعمال العميل، والقيام بعملية التدقيق نفسها، والأعمال الخاصة بمكتب التدقيق^(٢).

وقد بينت معايير الأداء المهني للتدقيق الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية، أن على وظيفة التدقيق أن تقوم على مراجعة العمليات والبرامج للتأكد من مدى ملاءمة النتائج مع الأهداف الموضوعية، لتحديد ما إذا قد نفذت هذه العمليات والبرامج وتم إنجازها حسب ما هو مخطط لها أم لا. كما بينت هذه المعايير بأن النظام الأساسي لأنشطة التدقيق، يجب أن يكون على شكل وثيقة رسمية مكتوبة تحدد هدف التدقيق وصلحياته ومسؤولياته، وكذلك يجب أن يبين هذا التدقيق وضع أنشطة الممارسة داخل الشركة، وإجازة الوصول إلى السجلات والموظفين والممتلكات وتحديد نطاق الأنشطة المتعلقة بعملية التدقيق.

لذلك فإن عملية تقييم مخاطر التعاقد لقبول العملاء أو رفضهم أصبحت أساسية وضرورية في جميع المراحل التي تمر بها عملية التدقيق، بدءًا من مرحلة تقييم العملاء واختيارهم وتخطيط

(Johnston, 2000, p:5) -1

٢- (عبابنة، ٢٠٠٢)

عملية التعاقد، إلى أن يقوم المدقق بإصدار التقرير النهائي المتعلق بالقوائم المالية والمتضمن نتائج التقييم (Colbert and Luehlfing, 2006, p: 54).

أهمية التدقيق

إن أهمية التدقيق تتمثل في أنها أداة تمكن القائمين على أعمال الشركة من التأكد من حسن تنفيذ السياسات المالية الموضوعية، وبالتالي تحقيق الأهداف المتعلقة بمصادقية وعدالة القوائم المالية ودقة التقارير المالية المقدمة إليها، لحماية أصول الشركة من التلاعب وسوء الاستخدام، إذ يتطلب من الإدارة تقييم هذا النظام لمعرفة نقاط الضعف والعمل على تصحيحها وعلاجها. كما أن تعزيز قيم النزاهة ونظم الشفافية والمساءلة في الشركات، يرتبط بشكل وثيق بوجود بنية مؤسسية سليمة وأجهزة تدقيق قوية وفاعلة تتمتع بمهنية عالية. كذلك يرتبط بوضع آليات وأدوات رقابة ومحاسبة مهمتها الإشراف والفحص والمراجعة.

تعد أعمال التدقيق بمثابة أجهزة إنذار للتعرف على الأخطاء والانحرافات في الأداء، إذ تسعى أعمال التدقيق لاكتشاف الأخطاء، وكلمة تدقيق تعني جمع وتقييم الأدلة والقرائن التي تتعلق بنتائج الأنشطة والأحداث الاقتصادية، وذلك لتحديد مدى التوافق والتطابق بين هذه النتائج والمعايير المقررة، وتبليغ الأطراف المعنية بنتائج المراجعة، أما موضوعها فهو تبيان نواحي الضعف أو الخطأ. الأمر الذي يساهم في حماية أصول الشركة ويؤكد سلامة معلوماتها وبياناتها ويحقق أهدافها بفاعلية ويستخدم مواردها بكفاءة وفاعلية⁽¹⁾.

لقد أدى التقدم الكبير في المعايير الدولية التي تنظم مهنة التدقيق إلى إعطاء دفعا إضافيا نحو زيادة واجبات المدقق الخارجي، الذي يجب أن يكون مؤهلاً وحيادياً للتحقق من صحة معلومات ومزاعم قابله للتحقق منها، عن طريق جمع وتقييم أدلة إثبات التدقيق (إقرارات، مصادقات، ملاحظات، استفسارات، فحص) مع التقرير عن نتائج تلك العملية، للإطراف المستخدمة لتلك المعلومات لاستخدامها في اتخاذ قراراتها⁽²⁾.

وعملية التدقيق لم تعد مقتصرة على الدور التقليدي من إبداء الرأي الفني المحايد حول البيانات والقوائم المالية الختامية، التي تعطي صورة عادلة عن المركز المالي ونتيجة أعمال الشركة، بل اتسع نطاق مسؤولية مدقق الحسابات تجاه الطرف الثالث وأصبح مطلقاً، وذلك استناداً على ما يعرف بمعيار المستفيد العادي دون التحديد، حيث انه وبموجب هذا المعيار الجديد لم يعد نطاق مسؤولية المدقق تجاه الطرف الثالث محصوراً بفئة محددة، بل أصبح بالإمكان مساءلة المدقق عن الإهمال تجاه جميع الفئات الأخرى ممن يتوقع اعتمادهم على

(Arens, 2005, p:4) -1

(Arens, 2005, p:4) -2

البيانات المالية المدققة في اتخاذ قراراتهم الاستثمارية^(١).

ويشير^(٢) إلى أن بيئة التدقيق في العصر الحديث تتسم بالمنافسة الحادة، وانعكست تلك المنافسة على مهنة التدقيق وتركت آثاراً على طرفي العملية التدقيقية سواء المدقق مقدم الخدمة أو العميل طالب خدمة التدقيق، إذ أن مقدمي خدمة التدقيق مطالبين بالاستجابة لمعطيات السوق وضغوطه، وعلى الجانب الآخر فإن العميل يفضل أن يحصل على خدمة التدقيق بأعلى جودة وأقل الأسعار.

تأثير مخاطر الأعمال على برامج التدقيق

يعتقد^(٣) أنه بالرغم من تداخل مخاطر الأعمال ومخاطر التدقيق في بعض المواقف، إلا أن هناك بعض المواقف الأخرى التي لا يكون فيها تداخل، ففي المواقف التي تشغل فيها المنشأة محل التدقيق، لأسباب أخرى لا دخل للمدقق فيها، فإن المدقق قد يتعرض لمخاطر التقاضي من حملة الأسهم والدائنين، وسواء نجح التقاضي أم لا فإنه سوف يؤثر على المدقق جزئياً أو كلياً، نتيجة لتحمله التكاليف القانونية للتقاضي، وكذلك تكاليف التأثير السلبي على سمعته، ولهذا سوف يسعى المدقق دائماً لتعويض تلك التكاليف وغيرها من عناصر التكاليف الأخرى.

أولاً: مرحلة ما قبل قبول التكليف بعملية التدقيق

يقوم المدقق في هذه المرحلة بتقييم مستوى مخاطر الأعمال التي قد يواجهها نتيجة لقيامه أو لارتباطه بمراجعة القوائم المالية لشركة العميل، وفي ضوء ذلك يحدد الأتعاب التي من المتوقع أن يحصل عليها، إلا أنه من المتوقع أن يتجنب المدقق التعامل مع العملاء مرتفعي المخاطر مهما كان مستوى أتعابهم، حيث أن مجرد الموافقة على تدقيق القوائم المالية لهؤلاء العملاء يعرضه للمساءلة القانونية في الأجل القصير أو البعيد، وبالتالي يجب على المدقق الحصول على المعلومات الكافية التي تمكنه من تقييم مخاطر شركة العميل، التي تمثل المخاطر الكامنة في شركات الأعمال والنتيجة عن الخسائر المادية أو المعنوية المحتملة، التي قد تتعرض لها تلك الشركات عند تحقق حدث أو أحداث معينة، مما يؤثر على استمراريتها.

يرى (Bell, et al. 2002, P: 98) أن التقييم الفعال لمخاطر الأعمال في التدقيق يتطلب معرفة عن مجالين من أبعاد عمليات ارتباطات التدقيق هما:

١- مظاهر متميزة عن العميل وصناعته، مثل بيئة الأعمال لشركة العميل، الوضع المالي،

١- (مطر، ٢٠٠١)

٢- (طلبة، ٢٠٠٢، ص٥٧)

٣- (Huss & Jacobs, 2001, P:13)

والخصائص الإدارية، والبيئة الرقابية.

٢- القدرات الممكنة لتحقيق أرباح من الارتباط مع العميل، والتي تأخذ باعتبارها كل من تكاليف تجميع مجموعة من الإجراءات المطلوبة لتخفيض مخاطر التدقيق، إلى مستوى مقبول، والتكاليف الإضافية المرتبطة بمخاطر الأعمال المتبقية، مثل تكاليف التقاضي والسمعة. كما يواجه المدققون في ظل وجود سوق تدقيق تنافسي ضغوطاً لتخفيض أتعاب التدقيق، وبناءً على ذلك، فإن الربحية في الأجل الطويل بالنسبة لمكتب التدقيق، تتوقف على مدى قدرة المكتب على استرداد التكاليف الإجمالية للتدقيق، والتي تتضمن تكاليف مرتبطة بمخاطر أعمال التدقيق، ولذلك فإن مكتب التدقيق عند تقييمه للعملاء المرتقبين يلحظ تلك التكاليف و تلك المخاطر.

وتشير^(١) إلى أن هناك ثلاثة مستويات من مخاطر الأعمال، يتعرض لها المكتب بسبب قبوله لهؤلاء العملاء، وهذه المستويات هي:

١- عملاء قد يترتب على قبولهم مستويات منخفضة من مخاطر الأعمال، وهؤلاء يمكن قبولهم وتدقيق أعمالهم في ضوء ما تتطلبه معايير التدقيق المتعارف عليها.

٢- عملاء قد يترتب على قبولهم مستويات مرتفعة من مخاطر الأعمال، وهؤلاء يمكن رفضهم أو قبولهم، وإذا تم قبولهم فإن القدر اللازم من أعمال التدقيق الذي سيتم تنفيذه، يمكن زيادته بما يتفق مع المستويات المرتفعة من مخاطر الأعمال.

٣- عملاء قد يترتب على قبولهم مستويات مرتفعة للغاية من مخاطر الأعمال، وهؤلاء يجب على المدقق أن يعتذر عن قبول المهام الخاصة بهم، لأنها قد تسبب له أضرار مهنية بالغة.

ثانياً: مرحلة قبول التكلفة بعملية التدقيق

تؤخذ مخاطر الأعمال في الاعتبار عند تقدير كل من معدلات الأتعاب التي سوف تستخدم عند إعداد المطالبات بأتعاب مكتب التدقيق، وقدر التغطية التأمينية المناسبة لمواجهة الالتزامات المحتملة، نتيجة قبول عميل ما ذي مستوى معين من مخاطر الأعمال. وفي هذه المرحلة، إذا ما قام أحد المكاتب بعمل نوع ما من التقدير لمستوى أو حجم مخاطر الأعمال على مستوى كل عميل (أو على مستوى مجموعة من العملاء)، فإنه يمكن تعديل معدلات الأتعاب التي سوف تستخدم عند إصدار المطالبات الخاصة بالعملاء، بما يتناسب والمستوى المقدّر من مخاطر الأعمال، على أن يتم استخدام المعدلات الأكبر للعملاء ذوي مخاطر الأعمال ذات المستوى الأعلى، مما

١- (عوض، ٢٠٠٤، ص ١٧)

يؤدي إلى زيادة درجة مخاطر الأعمال^(١).

ثالثاً: مرحلة تخطيط عملية التدقيق

هناك رأي يقول أن المدققين لا يوفرّون مستويات متفاوتة من التأكيد أو الثقة من خلال رأيهم المهني المتعلق بعملية التدقيق، وبناء على ذلك، فلا يجب أن يتأثر مستوى الثقة الذي يوفرّونه في ضوء مخاطر الأعمال، أما الرأي فيقول أن تغيير حجم إجراءات التدقيق في داخل الحدود الدنيا التي تتطلبها معايير التدقيق المتعارف عليها كرد فعل لمخاطر الأعمال يكون مسموحاً به، بل ومرغوباً فيه أيضاً، ولذلك يؤكدون على أنه من المناسب للمدققين في حالة ارتفاع مستوى مخاطر الأعمال التي قد يواجهونها، وأن يقوموا بتجميع أدلة إضافية، وأن يخصصوا أفراداً على درجة عالية من الخبرة، وأن يقوموا بفحص أعمال التدقيق التي تتم بصورة مباشرة وشاملة، وذلك بالأخص في العمليات التي تتصف بارتفاع درجة التعرض للمشاكل القانونية^(٢).

رابعاً: مرحلة تنفيذ عملية التدقيق

وفي هذه المرحلة تؤخذ مخاطر الأعمال في الاعتبار عند تحديد حجم إجراءات المراجعة الواجب تنفيذها لإتمام عملية المراجعة بالمستوى المقبول مهنيّاً، والذي يتفق ومعايير التدقيق المتعارف عليها، ففي حالة توقع المدقق لارتفاع مستوى مخاطر الأعمال لدى عميل معين، فإن ذلك قد يجعله يتجه نحو تنفيذ قدر من أعمال التدقيق أكبر مما يبدو ضرورياً في الحالات العادية، وذلك للوفاء بمتطلبات معايير التدقيق المتعارف عليها، الأمر الذي يمكن معه القول بأن ارتفاع مستوى مخاطر الأعمال يتوقع أن يصاحبه زيادة حجم العمل المطلوب لإتمام إجراءات التدقيق، وهذا ما يتبعه زيادة في أتعاب عملية التدقيق^(٣).

خامساً: مرحلة تقييم عملية التدقيق

يواجه المدقق في مرحلة تقييم عملية التدقيق أو مرحلة ما بعد إعداد التقرير، الأبعاد الحقيقية المتعددة المباشرة لمخاطر الأعمال، حيث يتعرض لنوعين من الصعوبات هما: الخسائر المادية والأضرار الأدبية، وكما يلي:

١- الخسائر المادية، وتنشأ عن مصدرين رئيسيين هما:^(٤)

أ- الدعاوى القضائية التي يوجهها المدقق من قبل العملاء أو الآخرين، ويترتب عليها إلحاق

١- (عوض، ٢٠٠٤، ص ٢١)

٢- (الخطيب، ٢٠٠١، ص ٣٩)

٣- (عوض، ٢٠٠٤، ص ١٨)

٤- (صلاح، ٢٠٠٢، ص ٩٧)

أضرار مادية بالمدقق نتيجة التكاليف التي يتحملها لمواجهة هذه الدعاوى، كأتعاب المحامين، والتعويضات التي قد يحكم بها عليه قضائياً، إضافة إلى ما قد يتحملة من خسائر، نتيجة فقدته جانباً من إيراداته المتوقعة بسبب ضياع وقته في متابعة هذه الدعاوى.

ب- الجزاءات التأديبية التي قد يتعرض لها المدقق، والتي يترتب عليها انخفاض حجم العمل المهني للمدقق، فضلاً عما يستتبع ذلك من صدور مثل هذه الجزاءات من زيادة في التكاليف الخاصة بالمكتب، والتي قد تنشأ عن تطوير أعمال التدقيق الداخلية على أعمال المكتب لزيادة كفاءتها.

٢- الأضرار الأدبية التي قد تنشأ عن احتمال فقدان المدقق لسمعته المهنية نتيجة تعرضه للدعاوى القضائية والجزاءات التأديبية، وما يترتب عليهما من انخفاض في حجم العمل المهني للمدقق، واحتمال فقد المكتب لبعض عملائه، وما يترتب على ذلك من انخفاض في الروح المعنوية لدى العاملين في المكتب.

مفهوم مخاطر التعاقد ومكوناته

بدأ المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين (AICPA) في عام ١٩٩٥ باستخدام مصطلح مخاطر التعاقد، وتشتمل هذه المخاطر على كل من مخاطر العميل والمدقق ومكتب التدقيق على حد سواء، لهذا فإن المصطلح يهدف إلى توجيه المدقق نحو جميع العناصر المكونة لمخاطر التعاقد، وعلى الرغم من أن مصطلح مخاطر التعاقد يعتبر جديداً إلا أن المخاطر المكونة لمخاطر التعاقد وعناصرها تعتبر مألوفة لدى معظم المدققين^(١).

عرف^(٢) مخاطر التعاقد بأنها التغير في الانحراف المعياري لإيرادات محفظة مكونة من عملاء مكتب التدقيق ناتجة عن إضافة تكليف جديد لهذه المحفظة، ونظراً لأهمية الموضوع فإن المعهد الأمريكي للمحاسبين القانونيين (AICPA) قام بإصدار بيان التحذير حول مخاطر التعاقد عام ١٩٩٥، حيث قسم مخاطر التعاقد إلى ثلاثة مجموعات، والتي كان قد بدأ عدد من الباحثين باستخدامها مبكراً منذ مطلع التسعينات وهذه المجموعات هي:

أولاً: المخاطر المرتبطة بطبيعة نشاط العميل

وتتعلق مخاطر نشاط العميل بربحية واستمرارية العميل، لذلك فإن العوامل تشمل سيولة العميل والمشاكل المتعلقة بها، بالإضافة إلى المنافسة في الصناعة، إذ إن هذا النوع من المخاطر لم يتم الإعلان عنه بشكل رسمي في المعايير المهنية، وقد أشار (Johnstone, 2001, p:16). إلى أنها المخاطر المتعلقة بتدهور وضع العميل الاقتصادي في المدى القريب أو البعيد كإنخفاض

-1 (Colbert & Luehlfing, 2006, p:55)

-2 (Colbert & Luehlfing, 2006, p:57)

السيولة أو الربحية والتي تؤثر على استمرارية أعماله. أما المخاطر المتعلقة بالتكاليف المترتبة على رفع دعاوى لمقاضاة مكتب التدقيق وذلك بسبب فشل التدقيق، بالإضافة إلى ذلك التكاليف الأخرى الناجمة عن فشل التدقيق سواء تم رفع دعوى أو لم يتم كعدم تحصيل أتعاب التدقيق، والتأثير سلبيًا على السمعة المهنية لمكتب التدقيق. ويمكن تلخيص أهم المخاطر المتعلقة بطبيعة نشاط العميل بما يلي⁽¹⁾:

١- نزاهة الإدارة: قد يصعب على المدقق اكتشاف عدم نزاهة الإدارة، أو غشها لأنه عادة ما تلجأ الإدارة في حالة محاولتها الغش إلى بذل الجهد في إخفاء التحريف، لأن عملية التدقيق لا توفر درجة من التأكيد لعدم النزاهة التي تزيد من الخطر القادم من العميل نفسه، وفي ضوء هذه الانتقادات الموجهة للمهنة أو المدقق بحد سواء، يقع على عاتق المدقق المسؤولية الكبرى في اكتشاف نوايا الإدارة التي يتعامل معها بشكل مستمر وعلى مدار السنة المالية.

٢- قوة المركز المالي: إن قوة المركز المالي للعميل يساعد على تقدير الأخطار المرتبطة بالعميل، حيث أن القوة المالية هي استمرارية الشركة محل المراجعة، وقدرتها على مواجهة التزاماتها والعكس عند انتهاء الاستمرارية أو حدوث فشل مالي غير متوقع فإن التدقيق يكون له دور في معرفة المركز المالي وقوة العميل في الاستمرارية.

٣- تعقيد أعمال العميل: حتى يمكن القبول بعملية التعاقد يجب على المدقق فهم طبيعة عمل العميل وفهم النشاط الذي يعمل به، لأن من البديهي إن يكون المدقق ملم بعمل ونشاط وفهم مجال عملها، إذ لا يمكن أن يتم قبول تعاقد عميل يعمل في تشييد الجسور دون معرفة المدقق لطبيعة عمل هذا العميل، وأن يقوم المدقق بتفهم عمل العميل والمجال الذي يعمل به لأن كلما زاد التعقيد في مجال العمل زادت المخاطر.

٤- حجم الشركة: يلعب حجم الشركة دوراً في مخاطر التعاقد، حيث كلما كان حجم الشركة كبيراً كلما منحها ذلك القدرة للمدقق على التعامل مع العميل، وكذلك التزامها بالقوانين والتعليمات، وبالعكس الشركات الصغيرة التي تكون غير مبالية في الالتزام بهذه القوانين.

٥- الرقابة الداخلية: إن وجود نظام رقابة داخلية لدى العميل فعال وذو كفاءة، يعد من أهم الخطوات المتعارف عليها من الوجهتين العملية والنظرية، حتى يمكن الاعتماد الكلي على المعلومات المالية المخرجة في عملية التدقيق، وتعطي ثقة عالية لمدقق الحسابات ويقلل من المخاطر لدى العميل.

(1) - (58-Colbert & Luehlfing, 2006, p:55)

ثانياً: المخاطر المرتبطة بطبيعة عملية التدقيق

وهي المخاطر المتعلقة بقيام المدقق بإبداء رأي غير مناسب عندما تكون البيانات المالية خاطئة بشكل جوهري، كمخاطر الملازمة ومخاطر الرقابة. (AICPA, 1983). فقد تم التطرق لها بالتفصيل في المعيار الدولي رقم (٤٠٠) المتعلق بتقدير المخاطر والرقابة الداخلية، كذلك في المعيار رقم (47, SAS N) والمتعلق بمخاطر التدقيق والأهمية النسبية. ويمكن تلخيص أهم المخاطر المتعلقة بطبيعة عملية التدقيق بما يلي:^(١)

١- ملائمة توقيت التعاقد: وهو الوقت الممنوح لشركة التدقيق لممارسة عملها والوقت الكافي الذي يمنحها التأكيد المناسب في عملية توفر أدلة كافية لإنجاز العمل المنوط بها بوقت كافي دون وجود خطر على فشل التدقيق.

٢- العلاقة الشخصية: التشريعات الدولية والمحلية تؤكد على أن العلاقة بين العميل ومنشأة التدقيق يجب أن لا يؤثر على العملية التدقيقية في المدى القريب أو البعيد حيث إن العلاقة الشخصية قد تؤثر على استقلالية المدقق وحياده.

٣- توقيت إعداد القوائم المالية: تغطي عادة فترة زمنية هي سنة وتكون الأدلة أكثر إقناعاً لحسابات الميزانية عندما يتم التوصل إليها في تاريخ قريب من إعداد الميزانية بقدر الإمكان ولكن تركز إعداد الحسابات في نهاية السنة ينبغي أن يكون فيه مبررات لتأخرها وليس لمجرد أن تتم.

٤- أتعاب التدقيق: الأتعاب هي المقابل المادي للجهد الذي يبذله المدقق نظير عمله مدققاً للشركة خلال الفترة المالية المتفق عليها، ولكن قد تقوم إدارة الشركة باستخدام هذا العامل للضغط على المدقق، فقد يتم تهديد المدقق إذا لم يستجيب لرغبة الإدارة بعدم دفع أتعابه، أو تتهرب بدفعها للغرض السابق ذكره، وهذا يؤدي بطبيعة الحال لوجود خلاف بين المدقق وإدارة الشركة، ونتيجة هذا الخلاف الذي سوف يؤدي بالنهاية إلى وجود مخاطر على عملية التدقيق.

٥- الخلاف حول نطاق وإجراءات التدقيق: قد تقوم بعض إدارات الشركات في تحديد نطاق وإجراءات التدقيق، أو توسعتها على الرغم من أن هذا العامل يكون محدد مسبقاً بالاتفاق بين المدقق وإدارة الشركة، حيث أن بعض الشركات قد تفرض في بعض الأحيان قيوداً على نطاق عمل المدقق (مثلاً عندما تتضمن شروط التعاقد بالتدقيق شرطاً بعدم قيام المدقق بتنفيذ أحد إجراءات التدقيق التي يراها ضرورية)، ومع ذلك وعند اعتقاد المدقق بأن مثل هذا القيد في شروط التعاقد سيؤدي به إلى الامتناع عن إبداء الرأي فإن من المعتاد أن يعتذر المدقق عن قبول مثل هذه المهمة المقيدة، وقد يفرض أيضاً قيوداً على نطاق التدقيق بسبب الظروف (مثلاً في

(1) - (22-Huss, & Jacobs, 2001,p:18)

حالة كون توقيت تعيين المدقق كان بتاريخ لا يستطيع المدقق فيه الإشراف على الجرد الفعلي للبطاعة)، فإذا حدث أن المدقق لم يوافق على ذلك فإن ذلك يؤدي إلى خطر عملية التدقيق.

ثالثاً: المخاطر المتعلقة بطبيعة مكتب التدقيق:

يمكن تلخيص هذه المخاطر بما يلي:^(١)

١- التأهيل العلمي والمهني للعاملين بمكتب التدقيق: يلعب التأهيل العلمي والمهني للعاملين بمكتب التدقيق، دوراً أساسياً في إتمام عملية التدقيق بشكل صحيح ومرضي، وكلما زاد التأهيل العلمي والمهني للعاملين كلما زادت قدرتهم على إتمام عملية التدقيق بشكل صحيح وسليم، حيث تفضل العديد من الشركات المساهمة فريق التدقيق ذا المستوى العالي من التأهيل العلمي والمهني لتدقيق حساباتها، عن فريق ذي مستوى منخفض أو عادي من التأهيل العلمي والمهني. وفي الولايات المتحدة الأمريكية يتعين توافر ثلاثة متطلبات أساسية حتى يصبح الفرد محاسباً عاماً معتمداً أو مصرحاً له بممارسة المهنة وهذه المتطلبات هي:

أ- متطلب التعليم، حيث يجب أن يحصل الشخص على مؤهل عال في تخصص المحاسبة وذلك عن طريق دراسة عدد محدد من الساعات حوالي (١٥٠ ساعة).

ب- اجتياز اختبار الحصول على لقب محاسب معتمد.

ج- متطلبات الخبرة والممارسة. أي يجب على المتقدم لمزاولة المهنة أن يكون قد أمضى سنتين في أعمال التدقيق.

٢- تخصص مكتب التدقيق في قطاع معين: إن تخصص المدقق في نشاط معين يؤدي إلى زيادة كفاءة المكتب وبالتالي تخفيض تكاليفه، أي أن المدقق المتخصص في صناعة معينة أو نشاط معين، غالباً ما تكون لديه القدرة على توفير خدمات التدقيق لعملاء هذه الصناعة أو النشاط بدرجات عالية من الكفاءة دون أن يحمل العميل تكاليف كبيرة، وبالتالي فإن بعض مكاتب التدقيق قد تتخلى عن بعض عملائها وذلك لتكون متخصصة في نشاط معين، والتركيز عليه لجني الفوائد من ذلك.

٣- حجم مكتب التدقيق: إن حجم مكتب التدقيق كلما كان كبيراً كلما استطاع مكتب التدقيق تقديم خدمات أخرى بخلاف خدمة التدقيق، كخدمة الاستشارات وخدمة الضرائب، والخدمات الأخرى التي قد يطلبها العملاء، كما أن بعض قد تطلب من مكتب التدقيق خدمات أخرى بخلاف خدمة التدقيق كخدمة إصدار قوائم مالية ربع سنوية أو نصف سنوية وغيره من الخدمات الأخرى، وعلى الرغم من أن مثل هذه الخدمات تخرج عن نطاق خدمات التدقيق، وربما تتعارض مع قواعد

(١) - (لطفي، ٢٠٠٥، ص ٢١٠)

السلوك المهني لكون ذلك ممنوعاً في بعض الدول، إلا أن بعض الشركات تطلب ذلك من مكتب التدقيق.

٤- تقديم خدمات أخرى بخلاف خدمة التدقيق: قد ترغب بعض الشركات طالبة الخدمة الحصول على خدمات أخرى بخلاف خدمة التدقيق، مثل خدمات ضريبية أو الاستشارات المالية أو إعداد قوائم مالية نصف سنوية أو ربع سنوية، وعندما يكون المدقق الحالي محدود الإمكانيات، فيؤدي ذلك إلى زيادة خطر مكتب التدقيق الخارجي، لأنه محدود الإمكانيات ليس مثل مدقق ذي إمكانيات كبيرة، وبالتالي يتم استبداله بمدقق ذي مستوى خدمة عالٍ.

رقابة الجودة لأعمال التدقيق وارتباطها بتقييم العملاء

تم تعريف رقابة الجودة لأعمال التدقيق بأنها الوسيلة التي يتمكن بواسطتها مكتب التدقيق من التأكد إلى حد معقول بأن الآراء التي يبديها في عمليات التدقيق التي يقوم بها تعكس مراعاته لمعايير التدقيق المتعارف عليها أو أية شروط قانونية أو تعاقدية أو أية معايير مهنية يضعها المكتب بنفسه، وتتضمن أهداف سياسات رقابة الجودة لأعمال التدقيق التي يتبناها مكتب التدقيق عادة بما يلي:^(١)

١- المتطلبات المهنية: على كافة أفراد المؤسسة الالتزام بمبادئ الاستقلالية والأمانة والموضوعية والسرية والسلوك المهني.

٢- المهارة والكفاءة: على مكتب التدقيق أن يكون مزود بأفراد من الذين حصلوا وحافظوا على المعايير الفنية والكفاءة المهنية المطلوبة للقيام بإنجاز مهامهم بالعباية اللازمة.

٣- توزيع المهام: يجب أن تعهد أعمال التدقيق إلى أفراد ممن يمتلكون مستويات من التدريب الفني والكفاءة المهنية المطلوبة.

٤- الإشراف: ينبغي أن يكون هناك توجيه وإشراف ومتابعة للأعمال على كافة المستويات وذلك لتوفير قناعة معقولة بأن العمل المنجز يفي بمعايير الجودة المناسبة.

٥- التشاور: يجب التشاور داخل وخارج مكتب التدقيق عند الضرورة مع ذوي الخبرة المناسبة.

٦- القبول والمحافظة على العملاء: يجب على مكتب التدقيق إجراء تقييم للعملاء المحتملين ومتابعة علاقته مع العملاء الحاليين بصفة مستمرة كما يجب على مكتب التدقيق عند اتخاذ قرار قبول أو الاستمرار مع عميل سابق أن يأخذ بعين الاعتبار استقلالية المكتب وقابليته لخدمة العميل بشكل ملائم والأمانة التي تتمتع بها إدارة العميل.

١- (المجمع العربي للمحاسبين القانونيين، ١٩٩٨)

٧- المراقبة: يجب على مكتب التدقيق أن يراقب باستمرار ملائمة وفاعلية سياسات وإجراءات رقابة الجودة.

إن رقابة الجودة لأعمال التدقيق ضرورية لكل مكاتب التدقيق التي ترغب في المحافظة على عملائها وخاصة الجيدين منهم والذين يتوقعون نوعية جيدة من الأعمال ولا يمانعون بالمقابل في دفع الأتعاب الملائمة للخدمات التي يتلقونها كما أن رقابة الجودة تساهم في تجنب التعاقد مع عملاء تتميز أعماله بالخطورة وبالتالي يكون من الأفضل الابتعاد عنهم.

كما أن تبني المكتب لسياسات وإجراءات رقابة الجودة لأعمال التدقيق يؤدي إلى تحسين نوعية الخدمات التي يقدمها المكتب وبالتالي تحسين ربحية المكتب على المدى الطويل فإجراءات قبول واستمرار العملاء تتضمن المحافظة على العملاء الجيدين والابتعاد عن التعاقد مع عملاء مشكوك بقدرتهم على دفع الأتعاب أو المتميزون بالخطورة في أعمالهم.

تطور معايير الرقابة على الجودة في الأداء المهني

يرجع الاهتمام بمعايير الجودة أو الرقابة على جودة الأداء المهني للمدقق إلى لجنة أخلاقيات المهنة التابعة لمجمع المحاسبين القانونيين الأمريكي (AICPA) حين طالب بإنهاء عضوية المنتسبين إلى هذا المجمع من القائمين بأعمال التدقيق إذا أخلوا بأدائهم المهني، وفي عام ١٩٧٩ أصدرت لجنة معايير رقابة الجودة أول برنامج بمعايير الرقابة على الأداء للمتمهين واشتمل على تسعة بنود أساسية تعتبر حجر الأساس في معايير رقابة الجودة التي انتهجتها البرامج الأخرى لهذه المجال وهي: الاستقلالية، تخصيص العاملين على وظائف التدقيق، الاسترشاد برأي الآخرين، الإشراف، التوظيف، تنمية القدرات المهنية، الترقية في الوظيفة، قبول عملاء جدد واستمرار العلاقة مع الحاليين، الفحص الدوري لبرنامج رقابة جودة الأداء.

وقد مر هذا البرنامج بالعديد من التطورات وصلت إلى ثلاثة برامج حتى عام ١٩٩١ وهذه التطورات هي: (١)

١- برنامج مراقبة جودة الأداء المخصص لمنشآت التدقيق الأعضاء في قسم منشآت التدقيق للشركات العامة التي تخضع لإشراف هيئة سوق الأوراق المالية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو الوارد بالدليل الصادر في أبريل عام ١٩٩١.

٢- برنامج مراقبة جودة الأداء المهني لمنشآت التدقيق الأعضاء في قسم منشآت التدقيق للشركات العامة التي لا تخضع لإشراف هيئة سوق الأوراق المالية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو الوارد بالدليل الصادر في أبريل عام ١٩٩١.

٣- برنامج فحص جودة الأداء المهني لمنشآت التدقيق التي ليست قسما في الأقسام

السابقة ويشرف عليها شعبة فحص الجودة التابعة لمجمع المحاسبين القانونيين الأمريكي (AICPA) والوارد بالدليل الصادر في يناير عام ١٩٩١.

وتشير^(١) انه في بداية الأمر كان تطبيق تلك البرامج اختياريًا لمن يرغب بالانضمام إليها ثم أصبح ذلك إلزامًا على منشآت التدقيق بالانضمام إلى إحدى تلك البرامج، ولقد اتفقت برامج رقابة الجودة على الأداء المهني على أهمية الفحص لتحديد مدى التزام منشأة التدقيق بمعايير رقابة الجودة على أن يتم الفحص من فريق خارجي أو جهة من داخل منشأة التدقيق ذاتها للتأكد من كفاية الإجراءات الرقابية التي تطبق داخل المنشأة حيث تتضمن تلك الرقابة ما يلي:

أولاً: الرقابة الداخلية على جودة الأداء: تقع مسؤولياتها على منشأة التدقيق ذاتها إذ لا بد لها أن تضع مجموعة من السياسات والإجراءات التي تكفل لها تحقيق جودة الأداء المطلوبة طبقاً للمعايير المطلوبة.

ثانياً: الرقابة الخارجية لجودة الأداء المهني للمدقق: ويقوم بها فريق من زملاء المهنة من جهة خارجية عن منشأة التدقيق تحت إشراف الهيئة المسؤولة عن إصدار وتداول الأوراق المالية وذلك مرة كل ثلاث سنوات.

كما اصدر الاتحاد الدولي للمحاسبين (IFAC) عام ١٩٨١ معيار المراجعة الدولي رقم (٧) المتعلق بمراقبة جودة التدقيق والذي أوجب على منشأة التدقيق تطبيقه واتخاذ الإجراءات الملائمة لتحقيقه والذي شمل الصفات الشخصية للقائم بممارسة المهنة، المهارة والكفاءة، التكليف بالمهام، التوجيه والإشراف، قبول عمليات جديدة والاستمرار في عمليات قائمة، الرقابة والمتابعة. كذلك قامت المنظمات المهنية في المملكة المتحدة بتشكيل وحدة مشتركة تسمى «وحدة الفحص المشتركة» والتي قامت بإصدار بياناً إرشادياً عام ١٩٨٥ يتعلق بالرقابة على الأداء المهني للمدقق، حيث تمت صياغته بطريقة تجعله قابلاً للتطبيق على كافة منشآت التدقيق مهما اختلف حجمها وبعد تعديل قانون الشركات هناك عام ١٩٩١ تم تنظيم برنامج لرقابة جودة الأداء المهني والذي أقرته وزارة التجارة والصناعة لبدء تنفيذه اعتباراً من أول أكتوبر ١٩٩١، حيث ألزم البرنامج منشآت التدقيق أن يكون لها نظام للرقابة على الأداء يحقق أهداف رقابة الجودة الواردة في اللائحة التنفيذية للمراجعة وإرشاداتها الصادرة في أغسطس ١٩٩١ وذلك كشرط أساسي من شروط التسجيل والاستمرارية^(٢).

وقد تبنت المملكة العربية السعودية فكرة الرقابة على جودة أداء المحاسبين القانونيين (المدقق الخارجي) وذلك بعد صدور النظام الجديد للمحاسبين القانونيين وإنشاء الهيئة

١- (أميرهم، ٢٠٠٢، ص ١١٩)

٢- (محمد، وإبراهيم، ١٩٩٩، ص ١٦)

السعودية للمحاسبين القانونيين (SOCPA) في ١٣/٥/١٤٢١ والتي شكلت بها لجنة لمراقبة جودة الأداء المهني وأوكل لها مهمة إعداد البرامج التي تكفل تطوير المستوى المهني للمحاسب القانوني وبعد دراسة مستفيضة اصدر المعيار الأول للرقابة النوعية لمكاتب المحاسبين القانونيين بالقرار رقم (٣/٣) بتاريخ ٢٦/١/١٤١٥ الموافق ٥/٧/١٩٩٤ وذلك كمرجع استرشادي لمكاتب التدقيق لتطوير نوعية أعمالها وقد اشتمل هذا البرنامج تسعة بنود هي: (الاستقلال والالتزام بقواعد وسلوك وآداب المهنة، تخصيص المساعدين للعمليات، المشورة، التوظيف، تطوير وتدريب الموظفين، تقييم أداء الموظفين وترقيتهم، قبول العملاء واستمرارية العلاقة معهم، الالتزام بأحكام النظام ولوائحه، والفحص الداخلي الدوري).

وتعتبر هذه المعايير بمثابة القاعدة الأساسية التي يعتمد عليها تنفيذ البرامج، وقد أوضح القرار الصادر من الهيئة السعودية للمحاسبين القانونيين أن معايير الرقابة النوعية للمكتب الواحد تطبق على جميع مكاتب التدقيق بغض النظر عن شكلها القانوني، أو عدد ملاكها أو حجمها كما تقع مسؤولية الالتزام بهذه المعايير على عاتق ملاك المكتب.

وفي جمهورية مصر العربية قامت جمعية المحاسبين والمراجعين المصرية بإصدار إرشادات التدقيق في عام ١٩٩٢ وهي بمثابة ترجمة لما جاء بأدلة التدقيق الدولية الصادرة في سبتمبر ١٩٨١ وتتمثل في الإرشاد رقم (٧) وهي: (الصفات الشخصية كما حُدِّدَتْ في دليل اتحاد المحاسبين الدولي «القواعد الأخلاقية للمهنة»، المهارة والكفاءة، توزيع المهام، التوجيه والإشراف، قبول واستمرارية العملاء، والتفتيش).

وقد اتفقت برامج الرقابة على جودة الأداء المهني سواء الصادرة بواسطة الاتحاد الدولي للمحاسبين، أو الولايات المتحدة الأمريكية أو المملكة المتحدة أو في جمهورية مصر العربية أو المملكة العربية السعودية على الآتي:

١- اختيار مكتب التدقيق كوحدة للرقابة على جودة الأداء المهني للتدقيق.
٢- إلزام جميع مكاتب التدقيق بالخضوع لنظام رقابة الجودة من اجل تحقيق هدفها النهائي.

٣- معايير رقابة جودة الأداء المهني وعناصره.

٤- ضرورة وجود فحص دوري للجودة من قبل فريق مؤهل من خارج مكتب التدقيق.

تحليل ومناقشة نتائج الدراسة الميدانية

وصف خصائص عينة الدراسة

تم استخراج التكرارات والنسبة المئوية للمعلومات المتعلقة بالعوامل الديموغرافية لمجتمع

الدراسة، ويمكن تلخيص الإجابات بالجدول (١) التالي:

الجدول (١)

توزيع عينة الدراسة

المتغير	الفئات والمسميات	التكرارات	النسبة المئوية %
العمر	٢٥ سنة فأقل	٣٧	١٨ %
	٢٦-٣٥ سنة	٦٠	٢٩,١ %
	٣٦-٤٥ سنة	٦٦	٣٢ %
	٤٦ - ٥٥ سنة	٣٥	١٧ %
	٥٦ سنة فأكثر	٨	٣,٩ %
	المجموع	٢٠٦	١٠٠ %
عدد سنوات الخبرة	٥ سنوات فأقل	٢٢	١٠,٧ %
	٦-١٠ سنوات	٤٩	٢٣,٨ %
	١١-١٥ سنة	٥١	٢٤,٨ %
	١٦-٢٠ سنة	٢٢	١٠,٧ %
	٢١ سنة فأكثر	٦٢	٣٠,١ %
	المجموع	٢٠٦	١٠٠ %
عدد المدققين العاملين بمكتب التدقيق	أقل من ٥ مدققين	٦٣	٣٠,٦ %
	من ٥ إلى أقل من ١٠ مدققين	٩٨	٤٧,٦ %
	من ١٠ إلى أقل من ١٥ مدقق	٢٠	٩,٧ %
	أكثر من ١٥ مدقق	٢٥	١٢,١ %
	المجموع	٢٠٦	١٠٠ %

يتضح من البيانات الواردة في الجدول رقم (١) ما يلي:

١- العمر: أن المدققين الذين تتراوح أعمارهم بين (٣٦ سنة - ٤٥ سنة) قد بلغ عددهم (٦٦) مستجيباً وتشكل ما نسبته (٣٢) في المائة من حجم العينة، ثم تليها الفئة التكرارية والتي تمثل العمر (٢٦-٣٥ سنة) حيث بلغ عددهم (٦٠) مستجيباً والنسبة المئوية بلغت (٢٩,١) في المائة من إجمالي حجم العينة المبحوثة، أما المدققون الذين تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة فقد بلغ عددهم (٣٧) مستجيباً وشكلت ما نسبته (١٨) في المائة من إجمالي حجم العينة وفئة المدققين الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٤٦ - ٥٥ سنة) فقد بلغ عددهم (٣٥) مستجيباً وبنسبة (١٧) في المائة من إجمالي حجم العينة المبحوثة وأخيراً المدققون الذين تزيد أعمارهم على ٥٦ سنة وبلغ عددهم (٨) مدققين وبنسبة (٣,٩) في المائة من إجمالي حجم العينة المبحوثة.

٢- سنوات الخبرة في مجال التدقيق: أن (٦٢) مستجيباً من عينة الدراسة تزيد سنوات خبرتهم في التدقيق على ٢١ سنة حيث شكلت نسبتهم (١ , ٣٠) في المائة من إجمالي حجم العينة المبحوثة، بينما بلغ عدد من يملكون خبرة تمتد (١١-١٥ سنة) ٥١ مستجيباً ويشكلون نسبة (٨ , ٢٤) في المائة من إجمالي حجم العينة، في حين بلغ عدد من يمتلكون خبرة ٦-١٠ سنوات (٨٩) مستجيباً وبنسبة (٨ , ٢٣) في المائة بينما تساوت أعداد الفئتين أقل من ٥ سنوات و (١٦- ٢٠ سنة) وبنفس العدد لكل فئة (٢٢) مستجيباً وبنسبة (٧ , ١٠) في المائة لكل فئة.

٣- عدد المدققين العاملين بمكتب التدقيق: أن ٩٨ مدققاً ينتمون إلى المكاتب التي عدد عاملها ما بين (٥ إلى اقل من ١٠ مدققين) أي بما نسبته ٦, ٤٧٪ من إجمالي عينة الدراسة، في حين أن المدققون الذين ينتمون إلى المكاتب التي عدد العاملين فيها اقل من ٥ مدققين بلغ ٦٢ مدققاً من إجمالي عينة الدراسة، أما المدققون الذين ينتمون إلى المكاتب التي عدد العاملين فيها أكثر من ١٥ مدققاً فقد بلغ ٢٥ مدققاً من إجمالي عينة الدراسة، وأخيراً جاء المدققون الذين ينتمون إلى مكاتب تضم من (١٠ إلى اقل من ١٥ مدققاً) قد بلغ عددهم ٢٠ مدققاً من إجمالي عينة الدراسة.

تحليل البيانات واختبار الفرضيات

تم اختبار فرضيات الدراسة في الجزء الثاني من الاستبانة والجدول التالي يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لهذه المتغيرات:

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمخاطر التكلفة والتعاقد المتعلقة بالعملاء

ت	العبرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	قوة المركز المالي للشركة يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٧٣٧	١,٤٢٤
٢	الشركات ذات الحجم الصغير تقلل بها مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٥٢٩	١,٤٨٧
٣	توفر السيولة مع العميل يقلل من مخاطر التعاقد معهم	٣,٦٦٩	١,٤٣٤
٤	تؤثر درجة تعقيد أعمال العملاء على مخاطر التعاقد معهم	٣,٥٣٤	١,٥٨٨
٥	وضوح أعمال العميل يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٥٤٥	١,٥٦٨

٦	زيادة رأسمال الشركة يؤدي ذلك إلى زيادة مخاطر التعاقد	٣,٥٣٩	١,٤٤٦
٧	تؤدي نزاهة الإدارة إلى تقليل مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٦٨٤	١,٥٧١
٨	جودة الرقابة الداخلية تقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٥٣٠	١,٥٢١
	المتوسط العام	٣,٦٣٠	١,٥٠٠

يوضح الجدول (٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر مخاطر التكلفة والتعاقد المتعلقة بالعملاء على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق للفقرات (١-٨) حيث استجابات مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن على هذه الفقرات قد سجلت متوسط حسابي عام بلغ (٣,٦٣٠). وقد تراوحت إجابات مدققي الحسابات ما بين (٣,٧٣٧) على الفقرة (١) والتي حصلت على أعلى نسبة من الإجابات وتتص هذه الفقرة على أن «قوة المركز المالي للشركة يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء» أما الفقرة (٢) فحصلت على أقل نسبة من الإجابات حيث بلغ متوسطها (٣,٥٢٩) وتتص هذه الفقرة على أن «الشركات ذات الحجم الصغير تقلل بها مخاطر التعاقد مع العملاء». وتعكس مثل هذه الاستجابات على أن هؤلاء المدققون ينظرون إلى أن أي عمل يقومون به يحتاج إلى التأكد من مركز العميل المالي. كما أن أولوياتهم في اختيار العملاء يتطلب وجود عملاء مناسبين مما يؤثر على قرار القبول.

الجدول (٣) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمخاطر التكلفة والتعاقد

المتعلقة بأنشطة التدقيق

رقم العبارة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
٩	التزام المدقق بنطاق إجراءات التدقيق يقلل من المخاطر	٤,٠٦٨	١,٢٥٥
١٠	الخلاف حول نطاق إجراءات التدقيق يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٦١٦	١,٤٧٣
١١	الخلاف حول أتعاب عملية التدقيق يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٨٧٨	١,٣١٤
١٢	التعاقد المبكر يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٤,٠٢٩	١,٢٩٥
١٣	تلعب العلاقات الشخصية دورا هاما في تقليل مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٦٤٦	١,٤٩٠

١٤	إعداد القوائم المالية في وقت مبكر يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٦٠٦	١,٤٧٣
١٥	تأخر توقيت التعاقد يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٦٣٠	١,٤٧٣
١٦	تركز إعداد القوائم المالية في نهاية السنة يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء	٤,١٠٦	١,٢٣٣
	المتوسط العام	٣,٩٣٧	١,٣١٤

يوضح الجدول (٣) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر مخاطر التكلفة والتعاقد المتعلقة بأنشطة التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق للفقرات (٩-١٦) حيث استجابات مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن على هذه الفقرات قد سجلت متوسط حسابي عام بلغ (٣,٩٣٧). وقد تراوحت إجابات مدققي الحسابات ما بين (٤,١٠٦) للفقرة (١٦) والتي حصلت على أعلى نسبة من الإجابات وتنص هذه الفقرة على أن «تركز إعداد القوائم المالية في نهاية السنة يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء» أما الفقرة (١٤) فحصلت على أقل نسبة من الإجابات حيث بلغ متوسطها (٣,٦٠٦) وتنص هذه الفقرة على أن «إعداد القوائم المالية في وقت مبكر يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء». ويمكن أن يكون مرد ذلك أن نظرة مدققي الحسابات إلى مخاطر التكلفة والتعاقد المتعلقة بأنشطة التدقيق هي ضرورية جداً فيما قبول التعاقد مع العملاء.

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمخاطر التكلفة والتعاقد المتعلقة بمكتب

التدقيق

ت	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١٧	كبر حجم مكتب التدقيق يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٣٩٨	١,٤١٠
١٨	تخصص المدقق في قطاع العميل يقلل من مخاطر التعاقد معهم	٣,٨٤٤	١,٣١٢
١٩	يحد حجم مكتب التدقيق من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٣٨٨	١,٤٩٦
٢٠	يأخذ التأهيل العلمي والمهني للعاملين بعين الاعتبار عند التعاقد مع العملاء	٣,٣٩٠	١,٤٥٥

٢١	يرغب العميل بالتعاقد مع مكتب متخصص في نشاطه وهذا يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٩٩٥	١,٢٩٧
٢٢	يرغب العميل بالتعاقد مع مكاتب تقدم خدمات بخلاف خدمة التدقيق	٣,٣٩٠	١,٤٣١
٢٣	يلعب التأهيل العلمي والمهني للعاملين بمكتب التدقيق دورا مهما في تقليل مخاطر التعاقد مع العملاء	٣,٧٤٢	١,٤٢٦
٢٤	تقديم مكتب التدقيق خدمات بخلاف خدمة التدقيق يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء	٤,٠١٩	١,٣٣٢
	المتوسط العام	٣,٧٩٧	١,٣٧٢

يوضح الجدول (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر مخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بمكتب التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق للفقرات (١٧-٢٤) حيث استجابات مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن على هذه الفقرات قد سجلت متوسط حسابي عام بلغ (٣,٧٩٧)، ولما كانت الإجابات قد تراوحت ما بين (٤,٠١٩) للفقرة (٢٤) والتي حصلت على أعلى نسبة من الإجابات وتنص هذه الفقرة على أن «تقديم مكتب التدقيق خدمات بخلاف خدمة التدقيق يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء» أما الفقرة رقم (١٩) فحصلت على أقل نسبة من الإجابات حيث بلغ متوسطها (٣,٣٨٨) وتنص هذه الفقرة على أنه «حجم مكتب التدقيق يحد من مخاطر التعاقد مع العملاء». ويمكن القول أن سبب هذا التفاوت في الاستجابات من فقرة إلى أخرى هو أن عدم القدرة على تحديد حجم مكتب التدقيق والذي يخضع إلى العديد من الجهات قد يؤدي في بعض من الأحيان إلى عدم قبول التعاقد مع العملاء.

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير التابع: قرار قبول أو رفض مهمة

التدقيق

ت	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
٢٥	ارتفاع معدل العائد على المبيعات	٣,٥٥٩	١,٤٨٩
٢٦	ارتفاع حالات مقاضاة المدقق	٣,٥٠٠	١,٣٨٩
٢٧	تركيز المكتب على الالتزام بأخلاقيات المهنة	٣,٥٤٨	١,٤١٢

٢٨	تركيز المكتب على إجراءات وسياسات الجودة	٤,٠٠٤	١,٣١٢
٢٩	جودة عملية التدقيق	٤,١٦٥	١,١٩٠
٣٠	قرارات سليمة في قبول العملاء	٣,٥١٦	١,٤٦٧
٣١	تقييم شامل لمخاطر ممارسة مهنة التدقيق	٤,١٣١	١,٢٦٠
٣٢	الإفصاح عن درجة المخاطرة النهائية التي يتحملها المدقق	٣,٨٣٩	١,٥٠٠
	المتوسط العام	٣,٩٢٧	١,٣٣٠

يوضح الجدول (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير التابع وهو قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق للفقرات (٢٥-٢٢) حيث استجابات مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن على هذه الفقرات قد سجلت متوسط حسابي عام بلغ (٣,٩٢٧)، وتتراوح إجابات مدققي الحسابات ما بين (٤,١٦٥) للفقرة (٢٩) والتي حصلت على أعلى نسبة من الإجابات وتتص هذه الفقرة على أن «جودة عملية التدقيق» أما الفقرة رقم (٢٦) فحصلت على أقل نسبة من الإجابات حيث بلغ متوسطها (٣,٥٠٠) وتتص هذه الفقرة على أن «ارتفاع حالات مقاضاة المدقق».

اختبار الفرضيات

تم اختبار الفرضيات باستخدام تحليل الانحدار البسيط (Simple Regression) والجدول التالي (٦) يبين النتائج التي تم الحصول عليها عند اختبار الفرضيات:

الجدول (٦)

نتائج اختبار الانحدار البسيط (Simple Regression) لتأثير المتغيرات المستقلة على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق

القرار الإحصائي	قيمة T الجدولية	قيمة T المحسوبة	R ^٢	.Sig	المتغير المستقل
رفض العدمية	١,٦٧٩	٧,٥٩٠	٢٩٧	٠٠٠	المخاطر المتعلقة بالعملاء
رفض العدمية	١,٦٧٩	٨,٦٤٠	٥٢٦	٠٠٠	المخاطر المتعلقة بأنشطة التدقيق
رفض العدمية	١,٦٧٩	٦,٣٩٦	٤١٧	٠٠٠	المخاطر المتعلقة بمكتب التدقيق

يتضح من البيانات الواردة في الجدول رقم (٦) ما يلي:

١- الفرضية الأولى: إن قيمة T المحسوبة هي (٧, ٥٩٠) فيما بلغت قيمتها الجدولية (١, ٦٧٩)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه «يوجد تأثير لمخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بالعملاء على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن»، وهذا ما تؤكد قيمة الدلالة (Sig.) البالغة صفرًا حيث إنها أقل من ٥٪، كما تشير إلى أن التباين في مخاطر التكليف والتعاقد يفسر ما نسبته (٢٩٧٠) من التباين في قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق، مما يعكس الدرجة المتوسطة لقوة العلاقة ودرجة تفسير متغير مخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بالعملاء لمتغير قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن.

٢- الفرضية الثانية: إن قيمة T المحسوبة هي (٨, ٦٤٠) فيما بلغت قيمتها الجدولية (١, ٦٧٩)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه «يوجد تأثير لمخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بأنشطة التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن»، وهذا ما تؤكد قيمة الدلالة (Sig.) البالغة صفرًا حيث إنها أقل من ٥٪، كما تشير إلى أن التباين في مخاطر التكليف والتعاقد يفسر ما نسبته (٥٢٦٠) من التباين في قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، مما يعكس ارتفاع قوة العلاقة ودرجة تفسير متغير مخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بأنشطة التدقيق لمتغير قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق.

٣- الفرضية الثالثة: إن قيمة T المحسوبة هي (٦, ٣٩٦) فيما بلغت قيمتها الجدولية (١, ٦٧٩)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه «يوجد تأثير لمخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بمكتب التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن»، وهذا ما تؤكد قيمة الدلالة (Sig.) البالغة صفرًا حيث إنها أقل من ٥٪، كما تشير إلى أن التباين في مخاطر التكليف والتعاقد يفسر ما نسبته (٤١٧٠) من التباين في قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، مما يعكس ارتفاع قوة العلاقة ودرجة تفسير متغير مخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بمكتب التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق.

مناقشة النتائج

قام الباحث بعرض لأهم النتائج مع مناقشتها:

١- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير لمخاطر التكاليف والتعاقد المتعلقة بالعملاء على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، حيث بينت النتائج أن قوة المركز المالي للشركة وتوفر السيولة مع العميل يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء، وانه كلما كانت نزاهة الإدارة مرتفعة أدى ذلك إلى تقليل مخاطر التعاقد مع العملاء.

٢- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير لمخاطر التكاليف والتعاقد المتعلقة بأنشطة التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، حيث بينت النتائج أن تركيز إعداد القوائم المالية في نهاية السنة يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء، وان التزام المدقق بنطاق إجراءات التدقيق يقلل من مخاطر التدقيق، كما بينت أن التعاقد المبكر يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء.

٣- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير لمخاطر التكاليف والتعاقد المتعلقة بمكتب التدقيق على قرار قبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن، حيث بينت النتائج أن تقديم مكتب التدقيق خدمات بخلاف خدمة التدقيق يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء، كما أن رغبة العميل بالتعاقد مع مكتب متخصص في نشاطه يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء، كذلك يقلل تخصص المدقق في قطاع العميل من مخاطر التعاقد مع العملاء.

التوصيات

على ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات يمكن تلخيصها بما يلي:

١- استمرار مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن بتقييم مخاطر التكاليف والتعاقد المتعلقة بالعملاء، وخاصة ما يتعلق بقوة المركز المالي وتوفر السيولة مع العميل، وان يكون هناك وقت كافٍ لإتمام عملية التعاقد قبل البدء في إعداد القوائم المالية للعميل حتى يقوم المدقق بتدقيق أعمال العميل منذ بداية السنة.

٢- قيام مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن بتقييم مخاطر التكاليف والتعاقد المتعلقة بأنشطة التدقيق ومكتب التدقيق، ولا سيما وأن تركيز إعداد القوائم المالية في نهاية السنة يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء.

- ٣- الاتفاق على قيام مكتب التدقيق بتقديم خدمات أخرى غير خدمة التدقيق، والتنوع في اختصاص مكاتب التدقيق في تدقيق كافة المجالات التدقيقية لأن ذلك من شأنه التقليل من مخاطر التعاقد مع العملاء، ويعمل على زيادة قدرة المكاتب على تدقيق جميع مجالات العمل.
- ٤- التأكيد على أهمية التزام مدققي الحسابات الخارجيين بنطاق إجراءات التدقيق والتعاقد المبكر كون ذلك يقلل من مخاطر التعاقد مع العملاء.
- ٥- التطوير المستمر للتأهيل العلمي والمهني للعاملين بمكاتب التدقيق لمواكبة التطور المستمر في المعايير المحاسبية والتدقيق.
- ٦- قيام مدققي الحسابات الخارجيين في الأردن بتقييم مخاطر التكليف والتعاقد المتعلقة بإدارة العمل، لأن ضعف سمعة الإدارة في مجتمع الأعمال يزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء، وأن الخلافات في الإدارة تزيد من مخاطر التعاقد مع العملاء.
- ٧- تصنيف مكاتب المراجعة الأعضاء في جمعية المحاسبين الأردنيين إلى فئات ومستويات، تتناسب مع إمكانيات كل مكتب في تقديم خدمات المراجعة للعملاء، من حيث الموارد البشرية المتاحة للمكتب والموارد المادية والتكنولوجية الحديثة في المراجعة، بحيث يصبح لكل فئة الحق في مراجعة حجم معين من الشركات، ومع مراعاة إمكانية انتقال المكتب من فئة إلى فئة أخرى أعلى إذا توافرت له الشروط اللازمة.
- ٨- تضمين أساليب تقييم العمل ضمن امتحان مزاولة المهنة والذي تعقده جمعية المحاسبين الأردنيين.
- ٩- قيام جمعية المحاسبين الأردنيين بعقد ندوات توعية حول مخاطر التعاقد وذلك بإيضاح العوامل المرتبطة بمخاطر التعاقد وإيجاد سبل المعالجة لها.
- ١٠- ضرورة قيام جمعية المحاسبين الأردنيين بصياغة وإعداد معيار ضمن معاييرها، يحدد طبيعة ونطاق مسؤولية المراجع تجاه انتهاكات العملاء للقوانين واللوائح، ويحدد له القواعد والإرشادات اللازمة لفحص تلك المجالات.

Dr. Walid Mohammed Amer

Associate Professor of linguistics
the Islamic University of Gaza

**An investigation into the differences
between English and Arabic position and order of adjectives:
A contrastive study with pedagogical implications**

ملخص الدراسة

إن كثيراً من الدراسات قد كتبت في موقع وترتيب الصفات في اللغة الانجليزية مع ذلك لا توجد حسب معلوماتي أي دراسة تفصيلية تتحدث عن موقع وترتيب الصفات بطريقة تحليلية تقابلية في الانجليزية والعربية لذا فإن هذه الدراسة تركز على الاختلاف بين موقع وترتيب الصفات في كل من العربية والانجليزية.

والاعتقاد السائد أن الطلبة العرب يقابلون صعوبة كبيرة ويرتكبون اخطاءً كثيرة في هذا المجال بسبب الاختلاف في موقع وترتيب الصفات في اللغتين.

وللتأكد من صحة هذا الاعتقاد فقد طبقت الدراسة على الطالبات الجدد المتخصصات في اللغة الانجليزية في الجامعة الإسلامية، وقد تبين ان هؤلاء الطالبات يواجهن صعوبة في تركيب الجمل التي تحتوي على عدة صفات لموصوف واحد.

ومن أهم الأسباب لارتكاب الاخطاء التي وجدت في هذا المجال تلك التي تتمثل في الجانب اللغوي الخاص بالتداخل السلبي في موقع الصفات وترتيبها بين الجملة الانجليزية والعربية. وتنتهي الدراسة بوضع بعض التوصيات للتغلب على هذه الاخطاء وتلك الصعوبات.

Abstract

Lots of studies have been done on the position and order of adjectives in English. However, as far as my knowledge is concerned, no analytical and contrastive study has been conducted on this point in English and Arabic. Thus, this paper reviews the latest studies done on the position and order of adjectives in English and Arabic. Then, it describes the differences between the position and order of adjectives in both languages. The study also touches upon pedagogical implications for teaching adjectives in English.

Here, it is believed that the Arab learners of English encounter great difficulty in constructing sentences involving a number of adjectives. One of the most prominent causes of committing errors found in this area is assumed to be the linguistic differences between the adjective position and order in English and Arabic. To prove this assumption, the researcher applied his study on the Islamic university of Gaza (IUG) freshman students majoring in English to test their perception of the position and order of English adjectives and to shed light on the areas of difficulty that students encounter when using English adjectives. The paper focuses on the errors most students commit concerning the position and order of English adjectives and ends with recording some recommendation for solving this pedagogical problem.

KEYWORDS: Adjective, literature review, attributive adjectives, predicative adjectives, position of adjective, adjective order, pedagogical implications, negative interference.

1. INTRODUCTION

The English learning-teaching process aims at having the speakers who can communicate effectively using English. Therefore, the first duty is to find the fastest shortcuts to determine the problematic issues in learning such a language and find quick solutions for them.

One of the most problematic issues facing IUG freshman students majoring in English is the mastery of the position and order of English adjectives. These students encounter great difficulty in constructing sentences involving a number of adjectives. One of the most prominent causes of committing errors in this area is assumed to be the linguistic differences between the adjective position and order in English and Arabic.

To prove this assumption the study investigates the IUG freshman students' perception of the position and order of English adjectives. It attempts to shed light on the areas of difficulty that such students encounter in using such English adjectives.

After introducing the topic, the paper highlights the purpose of study, research questions, research hypothesis, and limitations of the study. (Sec.1). (Sec2) refers to literature review. It summarizes some of the works done in the field of position and order of English adjectives. The theoretical framework is then described (Sec.3). After then the study shifts to describing the position and order of adjectives in English (sec. 4). Then it touches the position and order of adjectives in Arabic (sec5). (Sec6) discusses the methodology to be adopted in this study, along with results and analysis. (Sec7) is left for summary remarks and recommendations.

2. Purpose of the study

This study aims at:

investigating the IUG freshman students' perception of the position and order of English adjectives.

attempting to shed light on the areas of difficulty that students encounter regarding the use of English adjectives.

identifying the type of errors students commit concerning the position and order of English adjectives.

giving some recommendations that may help to reduce errors committed when using English adjectives.

3. Research question

To what extent do the Islamic university freshman students majoring in English perceive the correct position and order of English adjectives?

4. Research hypothesis

the Islamic university freshman students' perception of the correct position and order of English adjectives is very limited.

5. Limitations of the study

The study is limited to the following:

This study is interested in the position and order of English adjectives only.

This study is applied upon 65 female Islamic university freshman students majoring in English.

The study was applied in the summer term of the scholastic year 2010-2011.

6. Literature review

A few studies were conducted in the position and order of adjectives. Thus the researcher managed to review two previous studies which focus on adjective order.

6.1. David Kemmerer et al. (2008)

This study aims at investigating the neural substrates of the semantic constraints of multiple adjectives order that are used to modify a noun. The researcher administered three tests on 34 brain-damaged patients and 19 healthy participants.

Six patients failed a test that required them to discriminate between semantically determined correct and incorrect sequences of adjectives e.g., thick blue towel vs. *blue thick towel but they passed a test that assessed their knowledge of two purely syntactic aspects of adjective order, specifically, that adjectives can precede nouns, and that adjectives can precede other adjectives. Moreover, they also passed a test that assessed their knowledge of the categorical (i.e., class-level) features of adjective meanings that interact with the semantic constraints

underlying adjective order - e.g., that thick is a dimensional adjective and that blue is a color adjective. These behavioral findings suggest that the six patients have selectively impaired knowledge of the abstract principles that determine how different semantic classes of adjectives are typically mapped onto different syntactic positions in NPs.

6.2. Nicoladis, E & Rhemtulla, M (2006)

This study tests how children learn to use many adult-like grammatical rules in the preschool years. The researcher argued that children make the biggest strides in learning to use many adult-like grammatical rules in the preschool years. This argument is based on how children use novel verbs in verb clauses: many English speaking 2-year olds are willing to use novel verbs in ungrammatical order; by four, few children are willing to use novel verbs in a non-SVO order. In verb clauses, the word order determines the semantic/syntactic role (e.g., subject). By focusing on verbs, researchers have failed to take into account that children might also be learning how meaning and semantic/syntactic function are related. To test this interpretation, novel adjectives are taught to 35 monolingual English-speaking children between 2 and 4 years old, either in a prenominal or postnominal position. Results showed that, children were more likely to reverse the order of novel postnominal adjectives, even 4-year olds used the new adjectives in the order they were modeled more than half the time. The results of this study suggest that during the preschool years, children are learning to map word order onto semantic/syntactic function.

7. Theoretical framework

In studying adjectives in English and Arabic, this study will adopt Contrastive Analysis (CA) or Contrastive Linguistics approach as a theoretical framework. This describes similarities and differences among two or more languages at various linguistic levels. "This approach was developed and practiced in the 1950s and 1960s as application of structural linguistics to language teaching" (Richards, Platt & Platt, 1992, p. 83).

In the late 1950s, Robert Lado proposed contrastive analysis as a means of identifying areas of difficulty for language learners, although already in 1945 Charles Fries had formulated the theory.

The study here applies this theoretical framework to discover areas of difficulties that result mostly from the asymmetries between the adjective position and order in both English and Arabic.

7. Theoretical background

7.1 Adjectives in English

Definition of adjective?

The adjective can be defined as "a word that modifies, or qualifies, a noun or pronoun, in one of three forms of comparative degree: positive (strong, beautiful), comparative (stronger, more beautiful), or superlative (strongest, most beautiful).

It is also described as “. . . a word whose main syntactic role is to modify a noun or

pronoun, giving more information about the noun or pronoun's definition. Collectively, adjectives form one of the traditional English eight parts of speech, though linguists today distinguish adjectives from words such as determiners that also used to be considered adjectives. Wikipedia

Consequently, the main role of the adjective is to add some quality to a noun or pronoun to distinguish it from others. Meetu (2009, NA) states:

For better understanding let us break the word Adjective as 'Ad+ject; i.e., adds to the subject'. So it can be said that words that add to the subject are known as adjectives. Adjectives are words that modify, and add more meaning to the noun or the pronoun. E.g.: lazy girl. (What kind of girl is Rania? The answer is lazy. The word 'lazy' is an adjective as it gives more information about the noun Rania.) The naughty boy was punished. (Which boy was punished? The answer is naughty. The word 'naughty' is an adjective.)

To introduce more about adjectives lets consider some examples about adjectives quoted from MacFadyen (NA):

e.g. Large towers could be seen from long distance.

The fish-shaped balloon floated over the treetops.

The back room was filled with large, yellow rain boots.

The coal mines are dark and dank

The girls are happy.

In the preceding examples, the adjectives large, long, fish-shaped and large, yellow \modify the nouns towers, balloon and rain boots successively. Whereas the adjective dark, dank and happy modifies the noun mines and girl.

It is worth noting that adjectives can be formed from two or more words combined by the use of hyphens.

e.g. the three-year-old child
a sixty-dollar sweater.
a two-week journey.

As illustrated in these examples, the nouns in such hyphenated expressions are generally in the singular. Thus, the singular forms of the nouns year, dollar and week are used. (cf Amer 2011 for more details)

Most English adjectives have the same form for the singular as for the plural. The only exceptions are the demonstrative adjectives this and that.

7.2. Position of adjectives

According to Swan (2005) and Meetu (2009), most adjectives can go in two main places in a sentence.

1) Attributive adjectives: When an adjective is used before the noun it is said to be used attributively.

The new secretary is a Bsc. holder.

The tall men are basket ball players.

2) Predicative adjectives: When an adjective is used after the verbs 'be, seem, look, become and other 'link verbs' and is a part of the predicate, it is said to be used predicatively.

She is afraid of ghosts

That dress is new, isn't it?

She looks rich. I feel unhappy.

However, there are some exceptions that let adjectives do not follow the main grammatical rules. Here are some of these exceptions that Swan (2005, 9-10) mentions:

Adjectives come immediately after nouns in a few special cases.

Fixed phrases

Adjectives come after nouns in some fixed phrases.

Secretary General, President elect,

court martial (= military court) God Almighty!

Poet Laureate, Attorney General

The Secretary General of the United Nations has called for new peace talks.

Available, possible etc.

Some adjectives can be used after nouns in a similar way to relative clauses.

This is common with adjectives ending in -able-ible.

Send all the tickets available, available tickets.

(= ... tickets which are available.)

It's the only solution possible, possible solution.

Something, everything etc

Adjectives come after something, everything, anything, nothing, somebody, anywhere and similar words.

Have you read anything interesting lately?

Let's go somewhere quiet.

Present, proper

Before a noun, present refers to time; after a noun it means 'here/there', 'not absent'. Compare:

the present members (= those who are members now)

the members present (= those who are/were at the meeting)

Before a noun, proper means 'real', 'genuine'. After a noun it refers to the central or main part of something. Compare:

Snowdon's a proper mountain, not a hill.

After two days crossing the foothills, they reached the mountain proper.

7.3 Types of adjectives

Linguists used to classify adjectives into different types. Meetu (2009) mentions some of these types as follow:

7.3 .1. Proper adjectives

Proper adjectives are adjectives derived from proper nouns. In English, proper adjectives must begin with a capital letter. The proper adjectives in the following sentences are underlined.

e.g. Jerusalem the Palestinian capital has an interesting history.

Many of my friends are Norwegians .

This house is a fine example of Islamic architecture.

The derivation of some proper adjectives from proper nouns is somewhat irregular. The spelling of the following proper nouns and proper adjectives is a case in point.

<u>Proper Noun</u>	<u>Proper Adjective</u>
America	American
China	Chinese
Germany	German
Mexico	Mexican
George	Georgian
England	English

7.3 .2 Attributive adjectives

As mentioned earlier, the adjective which precedes the noun it modifies is usually referred to as attributive adjective.

Attributive adjectives are of various types. Consider:

7.3 .2 .1 Adjectives of Quality: Adjectives of quality refers to a quality of the subject.

Egypt is a beautiful country.

She is a tall girl.

7.3.2.2 Adjectives of Quantity: Quantitative Adjectives answer the question how much?

He is a little stupid.

I had some tea.

7.3 .2.3 Adjectives of Number: As the name implies, Adjectives of number denote numbers. They can be:

Definitive Numeral Adjectives: Used to denote exact numbers.

Give me five pencils.

I have one pencil with me.

Indefinite Numeral Adjectives: Do not denote a specific number.

Give me some pens.

Several students attended the meeting.

Distributive Numeral Adjectives: Distributive Adjectives refer to each one of a number. Words like each, every, either and neither fall in this category.

1. Each of the students is to pay a fine.

2. Our country expects every man to do his duty.

3. Each student must take his turn.

4. Every boy, girl, man, and woman was enjoying the fine weather.

5. Neither side was secured.

6. Mohammed wanted everyone to do his duty honestly & efficiently.

7. Either reference will meet my need

7.3 .2.4 Demonstrative Adjectives: Demonstrative Adjectives point at a specific person or thing.

This boy is my brother. (Which boy?)

These fruits are spoiled.

7.3 .2 .5 Interrogative Adjectives: When words like what, which, whose are used with nouns to ask questions; they are known as Interrogative Adjectives.

Whose car is this?

Which lecture did you attend?

7.3 .2.6 Possessive Adjectives: A possessive adjective («my,» «your,» «his,» «her,» «its,» «our,» «their») is similar or identical to a possessive pronoun; however, it is used as an adjective and modifies a noun or a noun phrase, as in the following sentences:

I can't complete my assignment because I don't have the textbook.

What is your aim.

One can use multiple adjectives on one subject, using commas. For example:

- The white, hungry cat ate the cheese.
- The bike is red, slow and very old.

When using adjectives after the subject, with less than three adjectives, "and" is used to join these multiple adjectives. For anything above two, one uses commas. Consider:

- Alistair is cool, funny, intelligent and smart.
- Mary is silly and annoying

7.3 .2.7. Distributive Numeral Adjectives: These adjectives refer to each one of a number. For example: -

1. Each student must take his turn.
2. Every boy, girl, man, and woman was enjoying the fine weather in the rainy season.
3. Neither side was safe.
4. the leader wanted every soldier to do his duty honestly and efficiently.
5. Either book will solve my purpose.

A participial adjective is one that has the form of a participle, but differs from it by rejecting the idea of time; as,

"An amusing story,"

"A lying divination"

A compound adjective is one that consists of two or more words joined together, either by the hyphen or solidly: as, nut-brown, laughter-loving, four-footed; threefold, lardlike, lovesick.

Further, the following are further classifications of adjectives:

Cardinal; One, two, three, four, five, six, seven, eight, nine, ten, eleven, twelve, thirteen, fourteen, fifteen, sixteen, seventeen, eighteen, nineteen, twenty, twenty-one, twenty-two, &c.

Ordinal; First, second, third, fourth, fifth, sixth, seventh, eighth, ninth, tenth, eleventh, twelfth, thirteenth, fourteenth, fifteenth, sixteenth, seventeenth, eighteenth, nineteenth, twentieth, twenty-first, twenty-second, &c.

Multiplicative; Single or alone, double or twofold, triple or threefold, quadruple or fourfold, quintuple or fivefold, sextuple or sixfold, septuple or sevenfold, octuple or eightfold, &c. But high terms of this series are seldom used. All that occur above decuple or tenfold, are written with a hyphen, and are usually of round numbers only; as, thirty-fold, sixty-fold, hundred-fold.

7.4. Order of adjectives

Adjectives can be attributive, predicative or interpolated. Such the order of such adjectives can be clarified as appears along the following lines:

In many languages, attributive adjectives usually occur in a specific order; for example, in English, adjectives pertaining to size generally precede adjectives pertaining to age ("little old", not "old little"), which in turn generally precede adjectives pertaining to colour ("old green", not "green old"). This order may be more rigid in some languages than others; in some, [as Arabic] it may only be a default (unmarked) word order, with other orders being permissible to shift the emphasis. (Wikipedia).

Swan (2005, 11) states that there is not specific and agreeable criteria for ordering a cluster of attributive adjectives. "When several adjectives come before a noun, they usually have to be put in a particular order. The rules for adjective order are very complicated, and different grammars disagree about the details."

Wikipedia (internet) adds that "English has no official order for attributive adjectives, but English students are often taught the mnemonic OSASCOMP, which stands for Opinion, Size, Age, Shape, Color, Origin, Material, Purpose. (Wikipedia)

The order of predicate adjectives relative to one another is generally the same as the order of attributive adjectives relative to one another. The following examples illustrate the order of predicate adjectives.

e.g. The package is small and light.

The weather is clear, cold and dry.

The footstool is round and black.

In the first example, the adjective small, indicating size, precedes the adjective light, indicating weight. In the second example, the general descriptive adjective clear precedes the adjective cold, indicating temperature, which precedes the adjective dry, indicating humidity. In the third example, the adjective round, indicating shape, precedes the adjective black, indicating color.

Punctuation

As can be seen in these examples, the last two adjectives in a list of predicate adjectives are usually separated from each another by the word and, and any preceding adjectives are usually separated from one another by commas.

e.g. The clothes were clean and dry.

The dancers were tall, slender and graceful.

In a list of three or more predicate adjectives, an additional comma is sometimes placed before the word and.

e.g. The dancers were tall, slender, and graceful.

However, this additional comma is usually considered unnecessary.

. Adjectives which can be used only as predicate adjectives

The following are examples of adjectives with the prefix a which can be used only as predicate adjectives, not as attributive adjectives. The prefix 'a' was formerly a preposition meaning on.

Adjectives used only Predicatively

afloat
afraid
aglow
alive
alone
asleep

In some cases, related words can be used as attributive adjectives. In the following examples, words used only as predicate adjectives and related words used as attributive adjectives are underlined.

Predicative Adjectives

The boat is afloat.
The child is afraid.
The sky is aglow.
The animal is alive.
The boy is asleep.

Attributive Adjectives

the floating boat
the frightened child
the glowing sky
the live animal
the sleeping boy

As illustrated below, the words here, there and ready can be used as predicate adjectives.

e.g. The children are here.

The records were there.

I am ready.

The words here and there are often used as adverbs, and cannot be used as attributive adjectives. The word ready is used as an attributive adjective only in certain expressions such as ready money and a ready answer.

As illustrated in the following examples, a few adjectives differ in meaning, depending upon whether they are used as predicate adjectives or attributive adjectives.

e.g. The treasurer was present.

the present treasurer
Robin Harris was late.
the late Robin Harris
My friend is poor.
my poor friend

In the sentence the treasurer was present, the predicate adjective present indicates that the treasurer was not absent. However, in the phrase the present treasurer, the attributive adjective present indicates that the person referred to holds the position of treasurer at the present time.

In the sentence Robin Harris was late, the predicate adjective late indicates that Robin Harris did not arrive on time. However, in the phrase the late Robin Harris, the attributive adjective late indicates that Robin Harris is no longer alive.

In the sentence my friend is poor, the predicate adjective poor indicates that my friend has little money. However, in the phrase my poor friend, the attributive adjective poor indicates that my friend is in an unfortunate situation.

Linking verbs

In addition to the verb to be, certain other verbs can be followed by predicate adjectives. Such verbs are sometimes referred to as linking verbs, since they can link nouns or pronouns to modifying adjectives. For instance, the following verbs can be used as linking verbs.

Linking Verb

to become
to feel
to grow
to look
to seem
to smell
to sound
to taste
to turn

Linking Verb used with Predicative Adjective

The wind became stronger.
The blanket feels soft, warm and comfortable.
The weather is growing cold.
The sky looked grey and overcast.
His reasoning seems logical.
The soup smelled good.
The story sounds interesting.
The carrots tasted sweet.
The leaves turned scarlet.

In the above examples, the linking verbs link noun subjects with predicate adjectives. When a verb is used as a linking verb, it is intransitive, since it does not take an object. It should be noted that many of the verbs listed above can also be used transitively. e.g. The child felt the blankets.

We smelled the soup.

In these examples, the verbs to feel and to smell are used transitively, taking the objects blankets and soup respectively.

Interpolated adjectives As well as being used as attributive or predicate adjectives, general descriptive adjectives and adjectives indicating color can also be placed elsewhere in a sentence. When used in this way, adjectives can be said to be interpolated into a sentence. In the following sentences, the interpolated adjectives are underlined. e.g. The child, happy and excited, ran along the beach. Startled, the small yellow bird stopped singing. Tense, expectant and alert, we waited to see what would happen.

Since the use of interpolated adjectives is somewhat uncommon, the use of interpolation can serve to emphasize the adjectives. Interpolated adjectives are most often placed immediately after a noun, as shown in the first example; or before a noun or

pronoun at the beginning of a sentence, as shown in the second and third examples. As illustrated above, a noun can be modified simultaneously by both interpolated and attributive adjectives. For instance, in the second example, the noun *bird* is modified by both the interpolated adjective *startled* and the attributive adjectives *the small yellow*. Care must be taken in the positioning of interpolated adjectives, since the reader or listener will usually assume that the adjectives modify the nearest noun or pronoun. As can be seen from the examples, the punctuation of interpolated adjectives is similar to that of predicate adjectives. When more than one adjective is used, the last two adjectives are separated from one another by the word *and*, and previous adjectives are separated from one another by commas. However, unlike predicate adjectives, interpolated adjectives must also be separated from the rest of the sentence by commas. For instance, in the first example above, the interpolated adjectives *happy* and *excited* are separated from the rest of the sentence by a comma before the word *happy*, and a comma following the word *excited*. Likewise, in the second example, the interpolated adjective *startled* is separated from the rest of the sentence by a comma; and in the third example, the interpolated adjectives *tense*, *expectant* and *alert* are separated from the rest of the sentence by a comma following the word *alert*. Interpolated adjectives are used more often in written English than in spoken English.

7.5. Adjectival phrases and clauses Nouns and pronouns can be modified not only by adjectives, but also by adjectival phrases and clauses. In the following examples, the adjectival phrases and clauses are underlined.

e.g. The table near the door is made of oak.

The one on the desk is mine.

The chair, which was placed in front of the window, was an heirloom. Those who decide to come will not be disappointed.

In the first example, the noun *table* is modified by the adjectival phrase near the door. In the second example, the pronoun *one* is modified by the adjectival phrase on the desk. In the third example, the noun *chair* is modified by the adjectival clause which was placed in front of the window. In the fourth example, the pronoun *those* is modified by the adjectival clause who decide to come.

It should be noted that phrases do not contain verbs, whereas clauses do contain verbs. Phrases and clauses will be discussed further in the chapters dealing with prepositions and conjunctions. As illustrated in the preceding examples, an adjectival phrase or clause usually immediately follows the noun or pronoun being modified.

7.6. Participles used as adjectives As has already been mentioned, present and past participles of verbs can be used as adjectives.

a. Present participles Present participles used as adjectives refer to actions being performed by the things being described. In the following examples the present participles used as adjectives are underlined.

e.g. the falling star the barking dog The first example indicates that the star is performing the action of falling. The second example indicates that the dog is performing the action of barking.

b. Past participles

Past participles used as adjectives refer to actions which have been performed on the things being described. In the following examples, the past participles used as adjectives are underlined.

e.g. the scattered leaves the broken drum

The first example indicates that something has scattered the leaves.

The second example indicates that something has broken the drum.

c. Dangling participles

As well as being used as attributive and predicate adjectives, past and present participles can also be used at the beginning of adjectival phrases interpolated into a sentence. In the following sentences, the interpolated adjectival phrases are underlined. As illustrated by the examples, an interpolated phrase must be separated from the rest of the sentence by a comma.

e.g. Feeling hungry, the child ate an apple.

Disconcerted by the news, we headed for the nearest farmhouse.

In the first example, the present participle feeling begins the adjectival phrase feeling hungry, which modifies the noun child. In the second example, the past participle disconcerted begins the adjectival phrase disconcerted by the news, which modifies the pronoun we.

Since the listener or reader tends to assume that an interpolated adjectival phrase is meant to modify the nearest noun or pronoun, care must be taken to make sure that such a phrase is positioned close to the noun or pronoun to be modified. A participle that begins an interpolated phrase that is not sufficiently close to the noun or pronoun to be modified is usually referred to as a dangling participle. Dangling participles can result in ambiguity, or in sentences which do not make sense. In the following sentences, the phrases beginning with dangling participles are underlined.

e.g. The photographer focused the camera, holding his breath. Running across the road, his hat blew off.

In the first example, the noun to be modified is photographer. However, the phrase holding his breath is separated from the noun to be modified by the noun camera. Thus, the phrase holding his breath seems to modify the noun camera. In the second example, the noun or pronoun to be modified is missing from the sentence, and the phrase running across the road seems to modify the noun hat. These examples illustrate two basic types of dangling participle. In one type, the participle begins an adjectival phrase which is separated from the noun or pronoun to be modified by another noun or pronoun. In the other type, the participle begins an adjectival phrase that is meant to modify a noun or pronoun which in fact is not present in the sentence.

When an adjectival phrase is separated from the noun or pronoun to be modified by another noun or pronoun, the sentence can be corrected by positioning the adjectival phrase next to the noun or pronoun to be modified. This can often be accomplished by moving the phrase

from one end of the sentence to the other.

For instance, in the sentences below, the nouns to be modified and the phrases containing dangling participles are underlined.

e.g. The photographer focused the camera, holding his breath. Working as quickly as possible, our car was repaired by a mechanic. Lost for over thirty years, she was overjoyed to find the diaries. In these examples, holding his breath seems to modify the noun camera, working as quickly as possible seems to modify the noun car, and lost for over thirty years seems to modify the pronoun she.

These sentences can be corrected as follows.

e.g. Holding his breath, the photographer focused the camera. Our car was repaired by a mechanic, working as quickly as possible. She was overjoyed to find the diaries, lost for over thirty years.

In the corrected sentences, the adjectival phrases are correctly positioned near the nouns to be modified. When an adjectival phrase is meant to modify a noun or pronoun which in fact is not present in the sentence, the sentence can be corrected by rewriting either the adjectival phrase or the rest of the sentence, so that the missing noun or pronoun is supplied. For instance, in the sentences below, the phrases containing dangling participles are underlined.

e.g. Running across the road, his hat blew off. Sitting lost in thought, the book slipped from her hand. Determined not to be late, our watches were set ten minutes fast. These sentences can be corrected as follows. In the corrected sentences, the noun or pronoun which was missing from the original sentence is underlined. Two corrected versions are given for each of the preceding sentences.

e.g. As he ran across the road, his hat blew off. Running across the road, he lost his hat.

As she sat lost in thought, the book slipped from her hand. Sitting lost in thought, she let the book slip from her hand.

Because we were determined not to be late, our watches were set ten minutes fast. Determined not to be late, we set our watches ten minutes fast.

In the first corrected version of each of the preceding sentences, the adjectival phrase has been changed to an adjectival clause containing the pronoun which was missing from the original sentence. Thus, the interpolated phrase running across the road has been changed to the subordinate clause as he ran across the road, the interpolated phrase sitting lost in thought has been changed to the subordinate clause as she sat lost in thought, and the interpolated phrase determined not to be late has been changed to the subordinate clause because we were determined not to be late.

In the second corrected version of each of the sentences, the main clause of the sentence has been rewritten so that the pronoun which was missing from the original sentence is positioned next to the adjectival phrase which is meant to modify the pronoun. Thus, whereas in the incorrect sentences, the underlined adjectival phrases seem to modify the adjacent nouns hat, book and watches; in the corrected sentences, the adjectival phrases correctly

modify the pronouns he, she and we.

Following the description of adjective order above let's now summarize the most important rules for ordering a series of adjectives:

Swan (2005, 11) mentions the most important rules for ordering a series of adjectives:

7.7.1. description before classification: an old political idea

Words which describe come before words which classify (say what type of thing we are talking about).

	description	classification	noun		
<i>an</i>	<i>old</i>	<i>linguistic</i>	<i>idea</i>	NOT	<i>a linguistic old idea</i>
<i>the</i>	<i>latest</i>	<i>educational</i>	<i>syllabus</i>	NOT	<i>the educational latest syllabus</i>
<i>a</i>	<i>yellow</i>	<i>juice</i>	<i>bottle</i>	NOT	<i>a juice yellow bottle</i>
	<i>plastic</i>	<i>swimming</i>	<i>pool</i>	NOT	<i>swimming plastic pool</i>

7.7.2. opinion before description: a wonderful old house

Words which express opinions, attitudes and judgements usually come before words that simply describe. Examples are lovely, definite, pure, absolute, extreme, perfect, wonderful, silly.

	opinion	description		noun
<i>a</i>	<i>lovely</i>	<i>hot</i>	(NOT <i>a hot lovely drink</i>)	<i>drink</i>
<i>a</i>	<i>wonderful</i>	<i>old</i>	(NOT <i>an old wonderful castle</i>)	<i>castle</i>
	<i>beautiful</i>	<i>green</i>	(<i>gardens</i> (NOT <i>green beautiful gardens</i>))	
<i>that</i>	<i>silly</i>	<i>thin</i>	(NOT <i>that thin silly boy</i>)	<i>boy</i>

7.7.3. order of descriptive words

The order of descriptive words is not completely fixed. Words for origin and material usually come last. Words for size, age, shape and colour often come in that order.

	size	age	shape	colour	origin	material	noun
<i>a</i>	<i>thin</i>	<i>old</i>		<i>white</i>			<i>caw</i>
<i>a</i>	<i>big</i>	<i>new</i>		<i>grey</i>	<i>British</i>	<i>woolen</i>	<i>sweater boots</i>
<i>a</i>	<i>big</i>		<i>round</i>	<i>black</i>		<i>leather</i>	<i>suitcase</i>
<i>an</i>	<i>enormous</i>			<i>brown</i>	<i>Italian</i>	<i>glass</i>	<i>mug</i>
<i>a</i>	<i>little</i>	<i>modern</i>	<i>square</i>			<i>brick</i>	<i>building</i>

7.7.4. numbers

Numbers usually go before adjectives.

six large eggs the second big shock

First, next and last most often go before one, two, three etc.

the first three days (More common than the three first days)

7.8. Arabic Adjectives

Arabic adjectives agree with the noun they postmodify in gender, number, case and definiteness/indefiniteness. Consider: طويل

definite, nominative, masculine: The big man - (ar-rajul-u T-Taweel-u) الرجل الطويل

indefinite, nominative, feminine: a big queen - (malikatun 'adelatun عاذلة ملكة

definite, nominative, feminine: The big queen - (al-malikatu l-'adelatu) الملكة ألعاذلة

Here, it appears that the definite article is used with both the noun and adjective, or nunation is used with both.

The feminine singular form of an adjective is usually formed by adding the clitic a ta-marbuta (ة) to the masculine form.

As mentioned earlier, the adjective agrees with the noun in gender, number case and determination. This is however not the case when it comes to plural nouns which refer to non-persons. In this case the adjective is placed in its feminine singular form!

consider the following examples in nominative case, the first two phrases refer to non-persons and use the singular feminine form of the adjective, the second two refer to persons so they use the plural form agreeing with the gender of the noun (the masculine plural form of kabeer is kibar, the feminine plural form is kabeeratul).

Indefinite, non-person: big books - (kutubun kabeeratul) كتب كبيرة

Definite, non-person: The big books - (al-kutubu l-kabeeratu) الكتب الكبيرة

Indefinite, person, masculine: big men - (rijālun kibārun) رجال كبار

Definite, person, masculine: The big men - (ar-rijālu l-kibāru) الرجال كبار Indefinite, person, feminine: big girls - (banātun kabeerātun) بنات كبيرات Definite, person, feminine: The big girls - (al-banātu l-kabeerātu) البنات الكبيرات

Just like Spanish and German, Arabic has masculine and feminine adjective forms; we learned earlier how to form the feminine from masculine in nouns, same steps will be taken to form feminine adjectives too.

Colors and most adjectives starting with “a” “أ” for example take in most cases a different form, which is represented in this model word è (cvccv ?a??aa'), the steps to model our feminine irregular adjective is: extract the consonants from the masculine adjective and place them respectively in the place of the question marks, here are some

examples:

Blue azraq أزرق (masculine) zrq (raw consonants) (cvccvv ?a??aa') raw model zar- qaa' زرقاء (after replacing the ??? with the consonants)

Dumb abkam أبكم (masculine) bkm (raw consonants) (cvccvv ?a??aa') raw model bak- maa' بكماء (after replacing the ??? with the consonants)

7.8.1. Dual Adjectives in Arabic

To form a dual masculine adjective in Arabic we simply add “aan” “ان” to the end of the adjective, note that you can do that even with adjectives starting with “a” “أ”,

Big kabeer كبير (masculine singular) Big kabeeraan كبيران (masculine dual)

Blue azraq أزرق (masculine singular) Blue azraqaan أزرقان (masculine dual)

To form a dual feminine adjective add “ataan” “تان” to the masculine adjective:

Big kabeer كبير (masculine singular) Big kabeerataan كبيرتان (feminine dual)

For adjectives starting with “a” “أ” the dual feminine will take the “?a??awataan” form, by replacing the question marks with our consonants:

Blue azraq أزرق (masculine singular) Blue zarqawaan زرقاوان (feminine dual) (after replacing the “?” of ?a??awataan with azraq consonants)

7.8.2 Adjective order

Syntactically, adjectives have no specific order in Arabic. However these adjectives semantically are ordered according to their importance in the sentence.

He is strong and honest ?nnahu hwa l-qaweyu l-?ameen انه هو القوى الامين

In praising, the order of adjectives starts with adjectives denoting ethics, and if there be more than one adjective modifying the noun in the sentence, then the order of such ethical adjectives relies on their importance. Consider the following example:

He is a worshiper, obedient, sincere and charitable. hwa 'abed, moTee', mpxleS, motasadeq هو عابد مطيع مخلص متصدق

Sadeq ?ameen-un motaSadeq. هو صادق أمين متصدق

The adjective is of different forms in Arabic. It may stand as a single word, a quasi-sentence or a sentence. Details appear in the following lines:

7.8.2.1. Numerous Adjectives used for a single qualified entity

A qualified entity may have numerous adjectives, which may be a single quality, a quasi-sentence or a sentence. The standard case in this situation is to give front position to the

singular adjective, mediate the quasi-sentence and delay the sentence. An instance of this is illustrated in Q 40:28:

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ (غافر: ٢٨)

At that, a believing man of Pharaoh's family, who [until then] had concealed his faith, exclaimed (40:28).

مُؤْمِنٌ	<i>a singular adjective</i>	<i>faithful</i>
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ	<i>a quasi-sentence adjective</i>	<i>of Pharaoh's family</i>
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ	<i>a sentence adjective</i>	<i>who [until then] had concealed his faith</i>

The sentence adjective may have frontal position as in Q5:54

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ (المائدة: ٥٤)

يُحِبُّهُمْ	<i>a sentence adjective</i>	<i>whom He loves</i>
أَذِلَّةٍ	<i>a singular adjective</i>	<i>humble</i>
أَعِزَّةٍ	<i>a singular adjective</i>	<i>proud</i>

“God will in time bring forth [in your stead] people whom He loves and who love Him - humble towards the believers, proud towards all who deny the truth (Q5:54).

The sentence adjective يُحِبُّهُمْ has heads the singular adjectives أَذِلَّةٍ and أَعِزَّةٍ. However, the measure and most common is the case stated in 40:28.

A qualified entity may have numerous singular adjectives. In such case, head and tail position will depend on the quality's importance in the context. The least important may precede a higher quality and vice versa. An instance of the first is (Q68:10-12)

فَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ

Furthermore, defer not to the contemptible swearer of oaths, (10) [or to] the slanderer that goes about with defaming tales, (11) [or] the withholder of good, [or] the sinful aggressor; (12)

هَمَّازٍ	<i>a sentence adjective</i>	<i>slanderer (need not walk)</i>
نَمَامٍ	<i>a singular adjective</i>	<i>defamer (transmitter + walker)</i>
مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ	<i>a singular adjective</i>	<i>the withholder of good (more harmful than the above)</i>
مَّعْتَدٍ	<i>a singular adjective</i>	<i>aggressor (most harmful)</i>
أَثِيمٍ	<i>a singular adjective</i>	<i>sinful (combines all harm)</i>

The sequence of adjectives commences with the least to most harmful. They all conform in this respect beginning with the least harmful quality in its simple state and increment-

ing by and by to reach the top instance of the adjective.

This is illustrated in (Q66:5):

عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ
وَأَبْكَارًا (التَّحْرِيم: ٥)

O wives of the Prophet!] Were he to divorce [any of] you, God might well give him in] your stead spouses better than you - women who surrender themselves unto God, who have faith, devoutly obey His will, turn [unto Him] in repentance [whenever they have sinned] worship [Him alone] and go on and on [seeking His goodly acceptance] - be they women (previously married or virgins. (Q66:5

مُسْلِمَاتٍ	<i>who surrender</i>
مُؤْمِنَاتٍ	<i>who have faith</i>
قَانِتَاتٍ	<i>who devoutly obey</i>
تَائِبَاتٍ	<i>who turn to him in repentance</i>
عَابِدَاتٍ	<i>who worship him alone</i>
سَائِحَاتٍ	<i>who go on and on seeking acceptance</i>

These faith-related adjectives listed above precede the physical adjectives listed below.

ثَيِّبَاتٍ	<i>previously married</i>
وَأَبْكَارًا	<i>virgin</i>

The first set of adjectives have precedence over the latter ones implying that moral adjectives are far significant than physical ones as perceived from the Prophetic tradition in this respect commending the faithful spouse. Moreover, the faith-related qualities are ordered incrementally starting with the least where surrendering to God is lesser than having faith in Him. This note is illustrated in (Q49:14).

A devout person is one constant and patient in worship; a faithful one may show some slackness as noted in (Q57:16) and thus the devout is higher in degree than a faithful person. The devout in case of some error may repent and have his record cleared as if he never erred. The status of a repentant, therefore, ranks better than the devout. Consequently, these lexical items are incrementally ranked in this context on the basis of their order with regards to creed.

The later couple of adjectives, “previously married, and virgins,” are ranked hierarchically as well. The previously married spouse is ranked below a virgin one. In the final analysis, adjectives related to creed and physical qualities are ordered in a hierarchy. Implicit in this sequence of adjectives is the proposition to the Prophet’s wives that if opted to part with them their rank would be lower than the least quality of a Muslim. Hence, the adjectives of the spouses suggested to the Prophet commence with “those who surrender, have faith, devout, etc.”

An illustration of the second type of adjectives is (Q66:6):

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (التحریم: ٦)

O YOU who have attained to faith! Ward off from yourselves and those who are close to you that fire [of the hereafter] whose fuel is human beings and stones: [lording] over it are angelic powers awesome [and] severe, who do not disobey God in whatever He has commanded them, but [always] do what they are bidden to do. (Q66:6)

غِلَاظٌ
شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ

*Powers awesome
severe
who do not disobey god*

The sign contains three adjectives. The first and second adjectives are single items and the third is a sentence. Foregrounding the single adjective conforms to our preceding statement. However, placing the quality ‘powers awesome’ ahead of ‘severe’ gives precedence to the most numerous over the least or the general over the specific. The quality ‘powers awesome’ implies thickness and severity, whereas ‘severity’ does not always involve ‘awesome power’. Such precedence of the first adjective indicates a further degree of threatening, an adjective befitting the guardians of ‘Fire’.

To sum up, in describing the adjective position and order in English and Arabic, it appears doubtlessly that these position and order systems are asymmetrical in the two languages. Consequently, they represents an area of difficulty for Arab students of English.

To set a clear-cut evidence for this conclusion, let's consider the pedagogical implications of English adjective order that face the Islamic university freshman students majoring in English..

8.. Methodology

8.1 Introduction

This section aims to investigate the IUG freshman students majoring in English perception of the position and order of English adjectives. It attempts to shed light on the areas of difficulty that students encounter when using English adjectives. It also seeks to identify where most students commit errors concerning position and order of English adjectives.

8.2. Research design

The researcher used the descriptive analytical method to achieve the goal of the study. The descriptive analytical method is hoped to be suitable for this quasi-experimental study since it depends on pre and post test and the analysis of the collected data after conducting these tests. This approach can help readers understand the causes of errors committed by Arab students in position and order of English adjectives.

8.3. Tools of the study

The researcher believes that conducting pre and post tests could be very suitable and helpful tool to carry out the objectives of the study. So, the researcher adopted and adapted the pre test from different resources on the internet and from his experience in teaching English grammar, and translation for the IUG freshman students majoring in English.

8.4. The Participants

The participants of this study are 65 female freshman students majoring in English at IUG.

8.5. Validity and reliability

To ensure validity and reliability of the tool of the study, the researcher consulted some of his experienced colleagues in teaching English along with some university professors specialized in the field from other local universities. Moreover, the researcher analyzed the results of the test statistically in order to get valid analysis of the collected data.

8.6. Procedures of the study

In order to apply the study, the researcher adopted the following procedures:.

Preparing participants to have the pre test explaining the problem to them.

Conducting the pre test and collecting data from it to see to what extent students understand the correct position and order of adjectives.

Analyzing the collected data then seeking for interpretation

Frequencies, Means, Standard Deviations and Percentages for each item of the pre-test and their order (N=30)

Question No	F	Mean	Std Deviation	Percentage
1	24	0.8	0.407	80
2	12	0.4	0.498	40
3	12	0.4	0.498	40
4	19	0.633	0.49	63.33
5	12	0.4	0.498	40
Question No	F	Mean	Std Deviation	Percentage
1	4	0.133	0.346	13.33
2	16	0.533	0.507	53.33
3	17	0.567	0.504	56.67
4	9	0.3	0.466	30

5	13	0.433	0.504	43.33
6	19	0.633	0.49	63.33
7	11	0.367	0.49	36.67
8	18	0.6	0.498	60
9	17	0.567	0.504	56.67
10	13	0.433	0.504	43.33
First	79	2.633	1.217	52.67
Second	137	4.567	1.478	45.67
Total	216	7.2	1.919	48

The results of the pre test show that students did badly in both two domains. In the first question of the first domain, it is obvious that most students 80% chose the right choice (A).

A. Lion is a strong animal

B. Lion is an animal strong.

This may refer to the students' clear knowledge and daily use of the normal position of adjectives.

Concerning the second domain, the students proved lack of knowledge of the correct order of a series of English adjectives. therefore the errors committed are interlingual. This may be due to the interference of their first language (Arabic), since Arabic does not have clear criteria of adjective order as it is found in English as clarified above.

Frequencies, Means, Standard Deviations and Percentages for each item of the Post (Test and their order (N=30

Question No	F	Mean	Std Deviation	Percentage
1	27	0.9	0.305	90
2	17	0.567	0.504	56.67
3	18	0.6	0.498	60
4	22	0.733	0.45	73.33
5	14	0.467	0.507	46.67
Question No	F	Mean	Std Deviation	Percentage
1	15	0.5	0.509	50
2	16	0.533	0.507	53.33
3	20	0.667	0.479	66.67
4	13	0.433	0.504	43.33
5	17	0.567	0.504	56.67
6	20	0.667	0.479	66.67
7	12	0.4	0.498	40
8	21	0.7	0.466	70

9	20	0.667	0.479	66.67
10	17	0.567	0.504	56.67
First	98	3.267	1.143	65.33
Second	171	5.7	1.622	57
Total	269	8.967	1.671	59.78

The post test table shows that the students' results are better. However, the results are still weak. Explaining the rules to the students and providing them with sufficient exercise can not enhance the performance of the students very highly. This may refer to the complex rules of English adjective order and also to the fact the Arabic adjective position and order differ completely from that of English.

Means, Standard Deviations and T value

Domain		N	Mean	Std Deviation	T Value	.Sig value	.sig level
Fist	Pre Test	30	2.633	1.217	4.08	0.000	sig. at 0.01
	Post Test	30	3.267	1.143			
Second	Pre Test	30	4.567	1.478	6.158	0.000	sig. at 0.01
	Post Test	30	5.7	1.622			
Sum	Pre Test	30	7.2	1.919	8.305	0.000	sig. at 0.01
	Post Test	30	8.967	1.671			

The table shows that calculated T value is greater than tabular T value in the overall value of the test. This indicates that there are statistically significant differences at ($\alpha \leq 0.05$) in favor of the post test.

9. Summary remarks and recommendations

It appears clearly that the position and order of English adjectives are problematic for the IUG freshman students, due to the difference in this structure in both languages. This causes students to commit serious errors resulting from negative interference. Therefore teaching adjectives should be done contextually and by using authentic materials that attract the attention of students. Second, since the position and order of English adjectives is essential for constructing descriptive sentences, teachers should teach their learners such a subject inductively and not deductively so that learners can use adjectives easily and appropriately. Third, tutors should introduce the position and order of adjectives by using suitable activities that can facilitate understanding. These are like; memo cards activities, work sheets with incomplete sentences, Contradictory adjectives with pictures. Flashcards. Guess and act activity, Word Relay Match Five activity, etc. Fourth, tutors should train their students on translating sentences containing a number of adjectives from Arabic to English and vice versa. Finally, tutors should use a list of new adjectives at the end of each text. They should stimulate stu-

dents to write these adjectives correctly and to compose sentences using these adjectives so as to ensure they recognize their usage.

مالك الشعار

أستاذ دكتور

مفتي طرابلس والشمال

الإسلام في فرنسا^(١)

هذا الموضوع للوهلة الأولى، قد يبدو محرّجاً أو مستغرباً... لكن الذين يعيشون قضية الإنسان والمستقبل، ويعملون من أجل السلام والسّلم الأهلي والعالمي، ويحلّقون في فضاء فكري واسع، يعتبرون أن الكلام في مثل هذا الموضوع يصب في خانة أو إطار الضروري والمهم :

أولاً - لأن مفهوم التحضر والتقدم والترقي عند الإنسان يجعل اهتماماته وحركته الفكرية أبعد وأوسع من الاهتمام بالنفس والذات والأنا ..

وثانياً - لأن التحضر في مضمونه وعمقه الإنساني لا يتوقف عند حدود الزمان والمكان والدين، وإنما يتعداه في طموح دائم لكشف نقاب المعرفة، وفي سعي متواصل حثيث لتقريب المسافات بين أبناء الجنس البشري على مساحة الأرض التي نعيش عليها، وبخاصة بعدما أطلق

١- محاضرة أقيمت في فرنسا في مجلس الشيوخ بدعوة من تيار المستقبل في فرنسا مع جماعة من المستشرقين وصناع القرار في الحكومة الفرنسية، وذلك أثناء إقامته في باريس بسبب التهديد الأمني الذي تعرض له في لبنان. فكانت هذه الإقامة سبباً لفتح حوار مع المسؤولين الفرنسيين حول الإسلام حيث كانت عندهم مفاهيم مغلوطة عن حقيقة الإسلام وأحكامه، ثم توجت هذه اللقاءات بهذه المحاضرة التي أعقبها حوار مفتوح، كان له أثر إيجابي كبير في نفوس السامعين، حتى إن ممثلة تيار المستقبل في باريس، وهي مسيحية لبنانية، تقول: أنا مسلمة على مذهب سماحة المفتي الدكتور مالك الشعار.

ولأهمية الأفكار الناصعة عن الإسلام التي عرضها سماحته عرضاً يمتّع العقل والقلب، مبيّناً حقيقة الرحمة في الإسلام وواجبات المسلم الشرعية في بلاد الإغتراب....

ولأن مثل هذه المفاهيم الصافية الصادقة التي تحمل الحب والخير للآخرين، تُساهم في تحقيق الأمن والسلام في العالم. أحببنا أن نشارك القراء الكرام هذه القيم التي نأمل أن نجدها عند كل عامل في الحقل الدعوي والإنساني.....

على العالم بأنه قرية كونية كبرى ..

وهذا ما نفسر به قيام مؤتمرات حوار الأديان والثقافات والحضارات.

ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن الإسلام في فرنسا خاصة، وفي الغرب بصورة عامة ..

وبداية الحديث إليكم أن الإسلام له اعتباران أو تصوران:

عند المؤمنين ، وعند غير المؤمنين.

فالإسلام عند المؤمنين دينٌ سماويٌّ ، وهو ثمرة نتاج وحيٍ إلهيٍّ إلى واحدٍ من الأنبياء والمرسلين وهو محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه ..

وهو بهذا الاعتبار يماثل ما جاء به السيد المسيح نبي الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام ، الذي أنزل عليه كتابٌ سماويٌّ هو الإنجيل.

كما يماثل ما جاء به نبي الله ورسوله موسى عليه السلام الذي أنزل عليه التوراة ...

ويماثل كذلك ما جاء به نبي الله ورسوله داود عليه السلام الذي أنزل عليه الزبور ، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ (١).

وعن القرآن والتوراة والإنجيل قال الله تعالى: ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٢) **﴿٣﴾** مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ .. ﴿٤﴾ ، والمراد بالفرقان هو القرآن الكريم .

وهنا لا بد من بيان العلاقة بين الإسلام وسائر الرسالات السماوية والكتب المنزلة ، وأنها علاقة تكاملية أي: أن كل رسالة سماوية جاءت مصدقةً للتي قبلها ومتممةً لها ، وأنها مجتمعةً تمثل كياناً واحداً كما يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» (٣).

كما تمثل الرسالات السماوية كلها مجتمعةً ديناً واحداً كما يبين النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) (٤).

١- (من الآية ١٦٣ من سورة النساء)

٢- (من الآية ٤ من سورة آل عمران)

٣- (البخاري)

٤- (البخاري)

والمراد بقوله: (ودينهم واحد) ، أي: أن الأصول الإيمانية واحدة، كما أن القيم والأخلاق تكاد تكون متطابقة، ولا يعني أبداً أن تكون كل رسالة صورة طبق الأصل عن غيرها، وإلا لانتفى مبرر وجودها، ولأن الرسائل السماوية تتفاوت أحكامها تبعاً لتفاوت الأزمنة وإلف الإنسان لها، فكأن الشرائع كانت تتناسب مع تطور الإنسان وترقيه .. وتكيف مع الزمان والإنسان والمكان .. وكانت الرسالة التي بعدها تأتي مكملة لها ...

ولما كانت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الشرائع لزم أن تكون كاملة ليس فيها نقص، وتامة لا تقبل الزيادة، وهذا الذي قاله ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ..﴾^(١)

وكمال الشريعة وتامها يعني شيئاً آخر أنها ينبغي أن تستوعب كل مستجدات الحياة عبر القواعد الشرعية ومصادر التشريع التي لا تتوقف عند الأصوليين الأساسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وهي أقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وتقريراته أو إقراراته، وإنما تتعدى ذلك لتتناول القياس، والإجماع، والاستحسان، والاستصحاب، وشرع من قبلنا، وغيرها كثير من المصادر والقواعد، ويكفي أن نشير إلى قاعدة شرعية يقررها الفقهاء، وهي (حيثما وجدت المصلحة فتم شرع الله).

وهذا بحد ذاته يقودنا للحديث عن مقاصد الشريعة ومقاصد الأحكام التي ما جاءت إلا لتحقيق الخير والمصالح للعباد كما يقول علماء الشريعة.

ومن هنا ندرك عوامل السعة والمرونة في ذاتية الإسلام وطبيعته التي تجعله يستوعب حركة الحياة زماناً ومكاناً وناساً ..

فضلاً عن القاعدة الفقهية التي تقر بأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان، مما جعل للإمام الشافعي، وهو أحد أكابر الأئمة من أصحاب المذاهب، مذهبين: مذهب قديم عندما كان في العراق، ومذهب جديد عندما انتقل إلى مصر حيث تغيرت بعض فتاواه ومرئياته نظراً لتغير المكان والزمان والإنسان ..

ولا أريد أن أسترسل أكثر من ذلك في الاعتبار الأول للإسلام عند المؤمنين ...

وأنتقل إلى الاعتبار الثاني للإسلام عند غير المؤمنين الذي يأتي في إطار النظرية التي تمثل فلسفة الإنسان والحياة .. وتستحق بالحد الأدنى أن نوليها شيئاً من الاهتمام في إطار البحث والمناظرة والحوار، وكشف النقاب عن الأبعاد والمقاصد والأهداف التي يكتنزها الإسلام ويذخر بها.

١- من الآية ٢ من سورة المائدة.

وطلاب المعرفة ورؤاد الفكر يدركون قيمة هذا الاعتبار أو هذا الاهتمام؛ لأن الإنسان عدو ما جهل، ولا لأن العلم بالشيء خير من الجهل به؛ ولكن لأن ما يزيد على مليار مسلم يدينون دين الإسلام، ويعتقدون أنه دين سماوي ينتظم حياتهم، كما المسيحية واليهودية لأبنائها، وعليه فلا يمكن أن يكونوا سرايا، أوليس لهم دورٌ أساسيٌّ في صناعة الحياة وقيادة الأمم؟!...

ومن هنا يكتسب الحديث عن الإسلام في فرنسا هذا الاهتمام، ويصب؛ كما ذكرت؛ في دائرة الضروريات ومهام الأمور والأولويات.

أولا - لأن الإسلام فيه من مقومات الوجود وعوامل الاستمرار والاستقرار والبقاء واستيعاب الزمان والمكان والإنسان، مما أمل أن أتحدث عنه لاحقا..

وثانيا - لأن الإسلام لا يزهر ولا يثمر ولا يعطي ويتألق إلا من خلال مناخ ثقافي متقدم، منفتح، يسوده العقل والمعرفة، ويأخذ البحث العلمي فيه مساحة اهتمام كبيرة، وسبيله الحوار مع الآخر، أيًا كان، وفي جو من الحرية الفكرية والعلمية لا تعرف حداً إلا عند حدود الانتظام العام وحقوق الآخرين ...

وفرنسا أم الحريات، ومحضن المعرفة، وفضاء ثقافي واسع لن يضيق بالإسلام كدين، ولن يخافه كفكر ونظرية وفلسفة حياة ...

والإسلام - بمقومات وجوده، ومصادره التشريعية، وقواعده الفقهية - لن يكون عائقاً أمام حركة التقدم والتطور والتحضر، بل سيكون مصدر عطاء وقوة لمطلق مسيرة علمية تبني المجتمع والدولة، وتولي الإنسان همًا واهتماماً في تأمين متطلباته الضرورية والحاجيات والتحسينية، بل حتى والكماليات التي تصب في خدمة الإنسان ورفاهيته. ولا غرو، فالإنسان هو القضية الأم في هذه الحياة؛ من أجله أرسل الله له رسله وأنبياءه، ومن أجله أنزل كتبه ورسالاته، ومن أجله جعل الله في الكون خاصيةً التسخير عبر قوانين ونواميس ونظم كلما أدركها الإنسان واكتشفها استطاع أن يركب الفضاء أكثر، وأن يجعله في خدمة الإنسان.

من خلال ما تقدم ندرك بعين اليقين أن التقارب والتلاقي، بل والتعايش، بين المسلمين والمسيحيين واليهود، ينبغي أن يكون قضية العصر، وأن يكون همًا مشتركاً لدى فريق العلماء والعقلاء والحكماء والمثقفين وحاملي رايات التحضر والتقدم، والعاملين في بناء حضارة الإنسان وحضارة الغد والمستقبل، وأن لا يكون هذا الهم قاصراً على أهل السياسة والحكم والمؤسسات الدولية ..

وينبغي أن نعمل جميعاً لرفع الحواجز الوهمية بين أبناء الشرائع السماوية، وأن نزيل الغربة بينهم، خاصة أولئك الذين تتشأ عندهم بعض مشاعر الكراهية والبغضاء والتنافر مما تنهى عنه

سائر الرسالات السماوية : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .

إن السِّلْمَ الأهلي، أو السلام العالمي، لا يتحقق ولا يكتمل إلا إذا عرف الناس قيِّم الأديان وأنها كلها محبة ورحمة وخيرٌ للإنسانية، وأن خير الناس أنفعهم للناس، (وأن الخلق كلهم عيال الله وأن أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)، كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم، وكما جاء في الإسلام، هذا فضلا عن أن الإنسان أخٌ للإنسان: (كلكم لآدم وآدم من تراب) ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

فالبشر جميعا إخوة لأب واحد وأم واحدة ، وإنما كانوا شعوبا ليتعارفوا ...

وهذا كله جاء من بعد ما قرر الإسلام، كما جاء في خطبة الوداع: «يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا - وهو يوم عرفة - في شهركم هذا - وهو شهر ذي الحجة من الأشهر الحرم - في بلدكم هذا - مكة المكرمة - ..»^(٢).

فالدماء مصانئةٌ، والأعراض مصانئةٌ، والأموال مصانئة. ثم لكل دينه (لكم دينكم ولي ديني .

ثم إن العلاقة بين الإسلام والمسيحية واليهودية ليست وليدة اليوم ولا الأمس، وإنما هي موجودة من أيام البعثة النبوية، وفي السنوات الأولى منها، وذلك عندما أذن النبي صلى الله عليه وسلم لبعض من أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة طلبا للسلام والأمان والعدل، وقال لهم: (إن فيها ملكا لا يظلم عنده أحده)، مع العلم أنه كان نصرانيا، وهاجر يومها ما يزيد على الثمانين رجلا ومنهم عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

ثم تجلت العلاقة بوضوح أكثر عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة وأقام مجتمعا إسلاميا، وكان من الأسس التي قام عليها مجتمع المدينة تلك الوثيقة الدستورية التي حددت العلاقات الداخلية بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، ثم العلاقات الخارجية بين مجتمع المدينة وبقية المجتمعات الأخرى. ...

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المواطنة لا على أساس الدين والمعتقد ...

وجعلهم جزءاً من الدولة والأمة والوطن، كما أعطاهم كامل الحرية، وبخاصة الحرية الدينية، على قاعدة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

١- الآية ١٢ من سورة الحجرات وتسمى بسورة الأخلاق

٢- جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرک

ثم بيّن الفقهاء :

وجوب حماية الدولة لهم من الاعتداء الخارجي والدفاع عنهم، ووجوب الخروج لقتال من يحاربهم في حال كان بينهم وبين المسلمين إتفاقية تنص على ذلك، وهو ما يشبه اليوم (إتفاقية الدفاع المشترك) .. وبالتالي وجوب القيام أيضا بدورهم في بناء المجتمع والدفاع عنه كونهم جزء لا يتجزأ منه..

حماية ضرورياتهم الست .. وحاجياتهم ، وحالهم في ذلك حال المسلمين .

والضروريات الست هي: حماية انفسهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ، ولا يجوز التعرض إلى ما كان مباحا عندهم ولو كان محرما عندنا ، كالخمر مثلا .. ثم تأمين حريتهم الدينية، والتعامل معهم بالعدل، وحمايتهم من الظلم، وتحقيق التكافل الاجتماعي لهم في حالات الفقر والحاجة والعجز والشيخوخة ، فإذا أصبح المواطن - غير المسلم - فقيرا وعاجزا أو شيخا مسنا فإن الدولة لا تتركه يتعرض للإهانة والضياع والعوز ، بل تصفه وتحميه وتؤمن له العيش الكريم. .. ولا بد لي في نهاية المطاف من بيان الحقوق الواجبة على المسلم الذي يعيش في بلاد الغرب ، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

١ - وجوب الوفاء بالعقود والعهود، سواء كان ذلك مع المسلم أو غير المسلم، فليس هناك من تمييز بين أبناء المجتمع أو الدولة. يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٢).

٢ - عدم القيام بالغش، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غش فليس منا»^(٣).

٣ - عدم الكذب، لتحذير النبي صلى الله عليه وسلم الشديد من الكذب: «.. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٤).

٤ - عدم جواز الغدر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي، قال الله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصْمَتَهُ﴾ وذكر منهم: (رَجُلًا عَطَى بَيْتَهُمْ غَدْرًا، ..)^(٥). ومن الغدر حمل السلاح على المجتمع الذي أعطانا الأمان.

٥ - الالتزام بالقوانين واللوائح السائدة في البلد، مثل قوانين الضرائب والتأشيرات، ولا

١- من الآية ١ من سورة المائدة

٢- من الآية ٢٤ من سورة الإسراء

٣- أخرجه الترمذي

٤- البخاري

٥- مسند أحمد

يجوز مخالفة القوانين العامة لأن من دخل بلدا ما بتأشيرة أعطته إياها حكومة ذلك البلد، أو حاز على إقامة في بلد ما أو جنسية، فإنه ضمنا قد وافق على كل الأنظمة المرعية في تلك البلد، وأعطى الميثاق على مراعاتها، لذلك فإن مخالفتها أيضا تعتبر من الغدر بالعهد المعطاة من قبل المسلم للمجتمع الذي احتضنه.

٦ - عدم الاعتداء على المخالفين لنا في المعتقد، وإذا كان الاعتداء عليهم محرما في الدولة المسلمة، فإن حرمة في مجتمع غير مسلم أشد تأكيدا، ولا تقبل فيه التبريرات مهما كانت. وعليه فإن الاعتداء على دور العبادة على اختلاف انتماءاتها لا يجوز في فقهاء وفهمنا الشرعي. وهنا لا بد من التأكيد على أنه بمجرد حصول الإنسان على تأشيرة دخول لأي بلد من بلدان العالم فإنه، في مفهومنا الشرعي، قد أعطى العهد والميثاق ضمنا على احترام قوانين البلد الذي منحه التأشيرة، والمعروف عرفا كالمشروط شرطا، إذ لا يوجد بلد في العالم يعطي تأشيرة دخول لرجل وهو يعلم أنه يعيث في المجتمع فساداً ...

وأريد بعد كل الذي تقدم أن ألفت النظر إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتمن على كثير من ودائع العرب وكانوا مشركين، بل ومحاربيين له، فلما حاولوا قتله أمر عليا رضي الله عنه أن يرد الودائع إلى أصحابها، ولم يقل في نفسه إن المشركين اعتدوا على أصحابه ووضعوا أيديهم على بعض ممتلكات الصحابة فهذا من شأنه أن يجيز له أن يأخذ أموالهم أو ودائعهم؟ لا ..

إن الإسلام لا يعرف معنى لردات الفعل التي تجعل من الحرام حلالا، أو تغيير المحظورات والمنهيات إلى الجواز أو الإباحة .. ولا يجوز أن ننسب إلى الإسلام أو الدين مطلق مخالفة قانونية فضلا عن أي اعتداء من أية جهة صدر..

إن الإسلام، أو الدين، الذي يُنظرُ إليه أنه مصدر الإرهاب والقلق .. هو مصدر الأمن والاستقرار والسلام. لكن .. أن يدرك الناس مضمونه وأحكامه وقيمه وأخلاقه ..

الفهرس

- مقدمة العدد الخامس أ. د. علي لاغا
مدير مركز البحث العلمي بالبحث العلمي ٨
- ◆ انقطاع التيار الكهربائي وعلاقته بالاكتئاب النفسي لدى العاملين بهيئة التقاعد العام
بمحافظة غزة
وليد خالد القدوة ١٠
- ◆ المدن والقرى والمواضيع اللبنانية من خلال أمثالها
د. سافو فؤاد كرم ٣٧
- ◆ لغتنا الزاخرة ذاخرة
أ. د. عبد المنعم بشناتي ٥١
- ◆ واقع القضية الفلسطينية في مناهج التعليم المدرسية في لبنان
د. ربي ناصر المصري الشعراي ٨٠
- ◆ «مدى امتلاك طلبة الصف الثالث المتوسط في المدارس العالمية بالرياض للمهارات الحياتية
المتعلقة بمقرر العلوم»
أ. جهاد علي توفيق المومني / أ. صالح محمود بني ياسين ٩٧
- ◆ الإخوان المسلمون في الأراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧-١٩٨٧
أ. عدنان عبد الرحمن أبو عامر ١٢٢
- ◆ الأقليات في لبنان والخوف على المصير (بحث في النشأة والدوافع)
أ. د. ماجد الدرويش ١٥٧

◆ تقييم مخاطر التعاقد لقبول أو رفض مهمة التدقيق من وجهة نظر مدققي الحسابات الخارجيين
الأردنيين

أ. م. د. محمد غادر / أ. د. عبد الناصر ابراهيم نور / أنس عليان الشريف ١٧٥

◆ **An investigation into the differences between English and Arabic position and order of adjectives:**

A contrastive study with pedagogical implications

٢٠٥ Dr. Walid Mohammed Amer

◆ الإسلام في فرنسا (محاضرة ألقيت في فرنسا)

مفتي طرابلس والشمال الشيخ الدكتور مالك الشعار ٢٣٠

تم بحمد الله